عصام يوسف

2 ضباط

رواية واقعية

مصر
2003

الدار المصرية اللبنانية

كلمة شكر

أود أن أقـدم تقديـري واحترامي لكل من سـاهم في إخـراج هذا العمل إلـى النور، بداية مـن كتابته ومراجعتـه، ونهاية بطباعته، ونشـره وتوزيعه.. أشكركم..

عصام يوسف
essam.youssef@gmail.com

تنويه

عزيز القارئ..

بيـن يديك رواية واقعية، ولكن تم تغيير أسـماء أبطالهـا وزمانها مراعاة للمصلحة العامة، وأي تشـابه في الأسـماء أو الوظائف تجده في صفحات الروايـة، فهـو من قبيل الصـدفـة؛ فالمعالجة الدرامية هنـا لا تهدف أبدًا إلى التشهير أو تشويه أحد سواء بقصد أو بغير قصد.

لذا لزم التنويه.

المؤلف

إهـــداء

إلى «ماما لبنى»...

كم اشتقت إليك يا أمي..

عصام يوسف

الفصل الأول 1

جزيرة الروضة، القاهرة، سنة 1992.

وقف وليد خلف زجاج غرفته، ينظر إلى مياه النيل وهي تتلألأ، يتابع المراكب الشراعية التي تمر أمامه، يسرح معها وهو يفكر في مستقبله، أحلامه، مها، أصدقائه، أخيه الصغير عماد، أمه الحنون ووالده الذي اشتاق إليه كثيرا بعد سفره إلى مقر عمله بالسعودية.

غرفة وليد بسيطة ومنظمة؛ سرير، دولاب، مكتب قديم يحبه ويرفض الاستغناء عنه، مكتبة كبيرة مليئة بالكتب، وضع عليها أكثر من كأس، في أماكن مختلفة، على الحائط شهادات تقدير من كلية الشرطة، وميداليات حصل عليها من بطولات عديدة لرياضة الملاكمة التي كان ومازال يعشقها ويمارسها..

تحرك وليد داخل الغرفة بعد أن اختفت الشمس تماما، وقف يكوي القميص، فلابد أن يكون على «سنجة عشرة».. كلاسيكيٌّ في اختيار ملابسه، مهتمٌّ بالخامة وليس بالماركة، الحذاء والحزام لون واحد.. ارتدى ملابسه، ووقف أمام المرآة يُهندِم نفسه ويصفف شعره القصير الذي لا يتعدى المليمترين، ثم خرج من غرفته، انحنى على والدته مقبِّلا رأسها، وهو يقول جملته الشهيرة:

- أنا واقف تحت شوية يا أمي، عايزة حاجة؟

- شكرا يا حبيبي، بس كلم اخوك واطمن عليه.

- حاضر يا أمي.

اعتاد وليد، وهاني، وإسماعيل، وعمرو الجلوس معًا منذ الطفولة على ضفاف نيل جزيرة الروضة والذي شهد ألعابهم وأفكارهم، ضحكاتهم وأحزانهم، أحلامهم وأسرارهم.. ذكريات لم ولن ينسوها أبدا.. قضى الأصدقاء الأربعة سنوات على ضفاف النيل، يمر عليهم بانتظام صديقهم «عم رمضان» بائع السميط مناديا: «السميط السخن.. السميط الطازة»..

قفز إسماعيل من مكانه وتحرك خطوات في اتجاه عم رمضان معاتبا:

- إنت فين يا عم رمضان؟ اتأخرت كده ليه النهاردة؟

- حقك عليا يا أستاذ اسماعيل.

وضع عم رمضان السلة المليئة بالسميط السخن فوق السور الحجري سائلًا:

- كام واحدة يا بهوات؟

أجاب إسماعيل بدون تردد:

- أنا عايز 3 وزودلي الدقه.

عقّب عمرو ساخرا:

- إسماعيل ملك السميط! بذمتك يا عم رمضان، فيه حد بيشتري منك 3 وياكلهم لوحده؟!

- يا أستاذ عمرو ماتقطعش عيشنا..

ضحك الأصدقاء الثلاثة على كلمات عم رمضان الذي أضاف قائلا:

- ياريت كل الزباين زي الأستاذ اسماعيل.. كان زماني فتحت دكان سميط.

استمرت التعليقات والضحك على إسماعيل الذي اهتم بصفارة وليد، صفارة استمع إليها الحي كله على مدار عمر هؤلاء الشباب، نغمة استطاعت حبيبته أن تميزها عن ظهر قلب.. خرجت مها بعد لحظات معدودة، نظرت إليهم لثوانٍ ثم اختفت لدقائق.. عادت ومعها علبتان، وضعتهما في سلة وبدأت في إنزال الحبل..

ابتسم إسماعيل ابتسامة عريضة قائلا لوليد بحماس:

- يلا.. بسرعة.

عبر وليد الطريق برشاقة.. أخذ العلبتين ووضع مكانهما سميطتين طازجتين.. وكالعادة وجد الأصدقاء علبة بها «جبنة وطماطم» وأخرى بها «زيتون وطرشي».. مازال الأصدقاء يتذكرون تلك الليلة التي ظهرت فيها مدام عفاف فجأة خلف ابنتها التي ارتبكت وأفلتت الحبل من يديها، وقعت السلة أمام وليد.. فأشار له هاني بالاختباء. عاد وليد بخطوات سريعة إلى الخلف في لحظة إلى أن اختفى تماما عن الأنظار.. نظرت الأم وابنتها إلى السلة وهي في منتصف الرصيف، بينما الأصدقاء الثلاثة يتابعون الموقف وهم يتهامسون في دهاء وهدوء، أما وليد فوقف صامتا ومرتبكا داخل مدخل العمارة..

- أنا واقف تحت شوية يا أمي، عايزة حاجة؟

- شكرا يا حبيبي، بس كلم اخوك واطمن عليه.

- حاضر يا أمي.

اعتاد وليد، وهاني، وإسماعيل، وعمرو الجلوس معًا منذ الطفولة على ضفاف نيل جزيرة الروضة والذي شهد ألعابهم وأفكارهم، ضحكاتهم وأحزانهم، أحلامهم وأسرارهم.. ذكريات لم ولن ينسوها أبدا.. قضى الأصدقاء الأربعة سنوات على ضفاف النيل، يمر عليهم بانتظام صديقهم «عم رمضان» بائع السميط مناديا: «السميط السخن.. السميط الطازة»..

قفز إسماعيل من مكانه وتحرك خطوات في اتجاه عم رمضان معاتبا:

- إنت فين يا عم رمضان؟ اتأخرت كده ليه النهاردة؟

- حقك عليا يا أستاذ اسماعيل.

وضع عم رمضان السلة المليئة بالسميط السخن فوق السور الحجري سائلًا:

- كام واحدة يا بهوات؟

أجاب إسماعيل بدون تردد:

- أنا عايز 3 وزودلي الدقه.

عقَّب عمرو ساخرا:

- إسماعيل ملك السميط! بذمتك يا عم رمضان، فيه حد بيشتري منك 3 وياكلهم لوحده؟!

- يا أستاذ عمرو ماتقطعش عيشنا..

ضحك الأصدقاء الثلاثة على كلمات عم رمضان الذي أضاف قائلا:

- ياريت كل الزباين زي الأستاذ اسماعيل.. كان زماني فتحت دكان سميط.

استمرت التعليقات والضحك على إسماعيل الذي اهتم بصفارة وليد، صفارة استمع إليها الحي كله على مدار عمر هؤلاء الشباب، نغمة استطاعت حبيبته أن تميزها عن ظهر قلب.. خرجت مها بعد لحظات معدودة، نظرت إليهم لثوانٍ ثم اختفت لدقائق.. عادت ومعها علبتان، وضعتهما في سلة وبدأت في إنزال الحبل..

ابتسم إسماعيل ابتسامة عريضة قائلا لوليد بحماس:

- يلا.. بسرعة.

عبر وليد الطريق برشاقة.. أخذ العلبتين ووضع مكانهما سميطتين طازجتين.. وكالعادة وجد الأصدقاء علبة بها «جبنة وطماطم» وأخرى بها «زيتون وطرشي».. مازال الأصدقاء يتذكرون تلك الليلة التي ظهرت فيها مدام عفاف فجأة خلف ابنتها التي ارتبكت وأفلتت الحبل من يديها، وقعت السلة أمام وليد.. فأشار له هاني بالاختباء. عاد وليد بخطوات سريعة إلى الخلف في لحظة إلى أن اختفى تماما عن الأنظار.. نظرت الأم وابنتها إلى السلة وهي في منتصف الرصيف، بينما الأصدقاء الثلاثة يتابعون الموقف وهم يتهامسون في دهاء وهدوء، أما وليد فوقف صامتا ومرتبكا داخل مدخل العمارة..

دخلت مها ووالدتها الشقة فأشار عمرو «ملك المقالب» لصديقه بالعودة إليهم، ولكن وليد لم يثق فيه إلى أن لوّح إليه هاني بعلامة النصر.. عبر وليد الطريق سريعا وفي يده علبتا مها، وقف وسط أصدقائه وكأن شيئا لم يكن. بالرغم من أن الأم كانت تحترم وليد وتنتظر اليوم الذي يتقدم فيه لخطبة ابنتها إلا أنها اعترضت وبشدة على وقوف مها المتكرر في الشرفة لرؤيته.. سيناريو وخلاف دائم على مدار السنين.

قال عمرو ساخرا:

- مش بالذمة عيب واحد هايبقى ظابط كمان سنة، ولسه عمال يجري ويستخبى؟!

أضاف إسماعيل وهو يأكل بشهية:

- بقالكم زمن بتحبوا بعض، على الأقل اتخطبوا.. اقروا فاتحة.. اعملوا أي حاجه.. زهقتونا.

وأخيرا قال هاني سائلا:

- أنا مش فاهم انتوا مستنيين إيه؟!

أجاب وليد بابتسامته المعهودة، وكأن الأصدقاء الثلاثة يتحدثون عن شخص آخر.

وليد هادئ الطباع، طيب وكما يقال: «قلبه أبيض، جدع وابن بلد»، مؤدب وخجول.. يحترم الجميع فيحترمه كل من حوله.. رزين، قليل الحديث إلا أنه يداوم على إلقاء التحية «السلام عليكم». الحصول منه على معلومة في غاية الصعوبة، الكلمة في مكانها، وفي الوقت المناسب،

وكان «الكلام بفلوس».. وليد رياضي من الطراز الأول، قوام رشيق، طوله 178 سم، صاحب بشرة خمرية، عيناه سوداوان واسعتان، شعره أسود قصير، حاجباه أسودان كثيفان، وفي أعلى الحاجب الأيسر علامة من إصابة قديمة.. اعتاد منذ انضمامه لكلية الشرطة قص شعره بنفسه.. لاحظ هاني ذهابه إلى الحلاق كل عشرة أيام، فأهداه ماكينة حلاقة (ألماني) عالية الجودة.. ذهبت الموضة وعادت الموضة ومع ذلك استمر وليد في ارتداء النظارة «الريبان» الخضراء ذات المظهر الكلاسيكي المعروف.. لم يفلت من تعليق صديقه عمرو الذي قال ساخرا:

- إنت حتفضل عايش في دور توم كروز في «Top Gun» لغاية إمتى؟!

أجاب وليد مبتسما:

- إنت آخر واحد يتكلم بالفانلة (البفتة) اللي انت لابسها دي.

أحب وليد كرة القدم ومارسها هوايةً، ورث عشق الزمالك من والده، ولكنه احترف رياضة الملاكمة منذ الطفولة إلى أن فاز في أكثر من بطولة وهو في السابعة عشر من عمره.. أكمل تدريباته وانتصاراته حتى أصبح مدربًا للناشئين في نادي الزمالك، وفي السنة الأخيرة في الكلية أصبح أصغر مدرب ملاكمة في نادي الشرطة، وبالرغم من قدراته إلا أنه لم يستخدم قوته في تعاملاته مع أحد، مقتنعا بأن العنف هو لغة الضعفاء.

أسلوب وليد، شكله ومظهره أعجب كثيرا من فتيات النادي اللاتي حاولن التقرب منه، استوعب ذلك ولكنه ظل على إخلاصه لمها..

تخرج وليد في كلية الشرطة سنة 1993، وتم تعيينه على قوة قطاع الأمن المركزي بالقاهرة.. وبعد عام من تخرجه تقدم لخطبة مها التي كانت في قمة سعادتها وهي تفتح يدها أمام وجهها قارئة الفاتحة. انتظرت هذه اللحظة لسنوات بفارغ الصبر.. وبعد مرور عام من الخطوبة حاول وليد إقناع الدكتور رأفت والد مها بالزواج سريعا إلا أن والدها رفض وأصر على تخرج ابنته أولا..

مها مصرية جميلة، وجه ملائكي جذاب ذو ملامح صغيرة، شعر بني قصير، عينان عسليتان ساحرتان.. جمالها في طبيعتها، تستخدم الماكياج في المناسبات فقط.. جسمها النحيف وقصر قامتها جعلا البعض يعتقد، حتى بعد تخرجها، أنها مازالت طالبة في المدرسة أو بالأكثر في أول سنة دراسية بالجامعة.. مها مغرمة بالقطط، تعامل قطتها «كاندي» كابنتها.. تهتم بها اهتمامًا شديدًا، فرشة، شامبو، طعام مستورد ورعاية طبية فائقة..

كانت في عراك مستمر مع وليد اعتراضا منها على عدم اهتمامه بالقطة سائلة:

- إنت ليه مش بتدلع «كاندي»؟

أمسك وليد يدها قائلًا:

- أنا مش هدلع غير قطة واحدة.

سحبت مها يدها قائلة:

- دلعها هي، وسيبك مني أنا.

أمسك وليد يدها مرة أخرى:

- موافق بس على شرط.

- إيه؟!

- تديني بوسة، بس طويلة.

- بس بقى يا وليد، عيب كده.

اهتم وليد منذ الطفولة بجارته، وتعامل معها كأخ أكبر.. اعتاد أخوه الصغير عماد اللعب مع أحمد شقيق مها في منزلهم.. كانت مها في الرابعة عشر من عمرها عندما انتهزت الفرصة وأعطت عماد خطابًا من سبع كلمات ليعطيه لأخيه، «هو انت يا وليد بجد هتبقى ظابط؟» قرأ وليد الكلمات باهتمام وهو في منتهى السعادة، لكنه أحس بالخجل والحرج من أن يعطي أخاه الرد.. في هذا التوقيت لم يفهم وليد سبب السؤال: هل هو حب استطلاع، سعادة وفخر بأن صديق وجار الطفولة سيصبح ضابطًا، أم هو إعجاب وحب؟ لحظات وأحس وليد بأن اهتمام مها الجميلة بالسؤال عنه أهم من السؤال نفسه، وبالفعل كانت هذه الكلمات هي السبب في بداية قصة حب بين وليد ومها والتي تُوِّجت بالزواج في أكتوبر سنة 1998، أقيم الفرح في دار القوات الجوية، حضره الأهل والأصدقاء والجيران.. امتلأت القاعة عن آخرها بالضيوف في سهرة من أجمل ما يكون..

تخرجت مها في كلية صيدلة، بتقدير عام جيد جدًا، انضمت إلى شركة أدوية كبرى.. أتقنت عملها وأحبته. تمنت أن تمتلك صيدلية في يوم من الأيام، ولكن وليد رفض بإصرار قائلًا:

- وكل 5 دقايق يدخل واحد يعاكسك؟ مش هيحصل.

عشقت مها وليد عشقا، فهي لم ترَ ولم تسمع رجلًا غيره.. كان يبهرها التزامه منذ الطفولة وهو يعبر الطريق متجها إلى الجامع لأداء صلاة الفجر في ليالي السهر، ليالي امتحانات الثانوية العامة..

لم يَحْتَجْ وليد أن يسأل مها عن أي شيء، فهي عكسه تماما، تتحدث بدون توقف، تحكي كل الأحداث باستفاضة.. تستمتع بأخذ رأيه قبل اتخاذ القرار فهي تعي جيدا أن تفكيره مرتب، أما اهتمام وليد بمعرفة أدق التفاصيل فلم يكن عن عدم ثقة إنما عن حب، غيرة واطمئنان..

وعلى الصعيد العملي، وفي قطاع الأمن المركزي بالقاهرة تعرف وليد على زملاء جدد، توطدت علاقته بالجميع في وقت قصير، واتسمت بالاحترام من أول رئيس القطاع إلى آخر مجند انضم إلى الوحدة.. اكتسب ثقة الجميع حتى تسابق زملاؤه لأخذ رأيه في الأمور الشخصية، فهو مستمع جيد، محلل بارع وصاحب منطق ولا يهاب قول الحقيقة تحت أي ظرف.. صفات اكتسبها من والده محمد سامي، قدوته ومثله الأعلى..

عمل محمد سامي مديرًا إداريًا وماليًا في إحدى الشركات الاستثمارية بالسعودية.. كان من أوائل الموظفين الذين أسسوا الشركة، إلى أن تحولت لصرح استثماري كبير في سنوات قليلة.. ربع قرن من الزمان وهو يعمل بحب واجتهاد ملحوظين.. أول من يحضر يوميا إلى مقر الشركة وآخر من يترك المكان.. تم رفض استقالته أكثر من مرة، وأخيرا في يناير سنة 1997 اتفق مع الشيخ عرفان صاحب المجموعة الاستثمارية على عودته إلى مصر بشرط أن يستمر عمله معه استشاريًا مواظبا على السفر إلى السعودية

كل ثلاثة أشـهر على الأكثر.. التزم الأسـتاذ سامي بوعده إلى أن اشتد عليه المرض فجأة.. وفي أبريـل 1999 توفـاه الله بعـد صراع مـع المرض لم يستمر أكثر من شهرين.. كانت وفاة هذا الرجل البار صدمة قوية ومؤلمة للجميع.. لم يكن حضور صاحب المجموعة الشـيخ عرفـان وابنه واثنين من الزمـلاء من الرياض إلى القاهـرة لتقديم واجب العـزاء مفاجأة لأحد؛ فقـد كان الفقيـد أخـا لهم، ومثالًا فـي الأدب والالتزام.. وفـي اليوم التالي للعزاء ذهب الشـيخ عرفان للأسـرة فـي المنزل، وأثناء الزيـارة أعطى وليد شيكا براتب والده عن فترة عمله قبل مرضه، وشيكا آخر تقديرا منه للرجل الذي عمل معه لأكثر من خمسـة وعشـرين عامًا.. قَبِلَ وليد الشـيك الأول ورفض بإصرار الشـيك الثاني وعندما سأل الشيخ عرفان عن السبب حكى له وليد ما أوصاه به والده قبل وفاته بأيام:

- الشـيخ عرفـان اداني مكافئة نهاية الخدمة خلاص، هو شـيخ فاضل وكريـم. هايحاول يديلك فلوس تاني، اشـكره واطلب منه انه يوزع المبلغ على كل زملاء المجموعة بالتساوي..

أدمعت الكلمات عيني الشـيخ عرفـان الذي وعد بتنفيذ الوصية.. وقبل أن يرحل قدم للأسرة دعوة لأداء العمرة، ثم طلب من وليد دوام التواصل.. كان حضـور هذا الشيخ الجليل شـهادة تقدير للعائلة بأكملها وأفضل تكريم لروح الأب رحمة الله عليه..

وضـع والـد وليد معظـم مدخراته منذ سـنين عمله وكفاحه في شـقتين بعمارة جديدة تبتعد خطوات عن منزلهم بالروضة.. شقة في الدور السادس

تزوج فيها وليد وأخرى في الدور السابع لأخيه الصغير عماد.. وعندما عاد إلى القاهرة اشترى (شاليه) في قرية مارينا بالساحل الشمالي، وفي أيامه الأخيرة، وعندما اشتد عليه المرض وقبل نقله إلى المستشفى بأيام أوصى زوجته وأولاده بدفع جزء من التركة لصالح جمعية خيرية لرعاية الأيتام، وقد التزموا بذلك..

والدة وليد، «مس آمال»، كما يناديها الجميع، مديرة مدرسة ابتدائي خاصة بالجيزة.. عاشقة للعلم والمعرفة.. يحبها جميع أطفال المدرسة، وفي نفس الوقت يحترمونها ويهابونها بشدة.. إدارية ناجحة، وصارمة في اتخاذ القرار.. تقضي معظم يومها في المدرسة وسط الطلبة والمدرسين وتعود سريعا في الرابعة مساءً إلى المنزل للقاء الأخوين وليد وعماد.. تهوى قراءة الروايات الإنجليزية القديمة، تجلس في المساء على كرسي في الشرفة والروايات في يدها لساعات.. صاحبة أشهى وأطيب المأكولات، وكما لقبها وليد؛ «طباخة بريمو».. وليد ابنها البكر، تعتمد عليه باستمرار، تثق في آرائه، وقراراته.. نقطة ضعف آمال الوحيدة هي ابنها الصغير عماد؛ أحلامه مجابة، تدلله باستمرار، تدافع عنه وتحميه من انتقادات أخيه الأكبر، صراع دائم في المنزل لا يتوقف..

تخرَّج عماد في كلية تجارة جامعة القاهرة بصعوبة بعد دراسة استمرت خمس سنوات.. وبالرغم من أن وليد تمنى تجنيد أخيه في الجيش إلا أنه حصل على الإعفاء بالصدفة.. بعد التخرج نجح عماد من خلال علاقاته الشخصية في الانضمام إلى شركة عالمية لبيع الأجهزة والملابس

الرياضيـة.. بالرغـم مـن نجاحه فـي الوظيفـة إلا أن فكرة العمـل الخاص سـيطرت على تفكيره وأحلامه.. حاول إقناع وليد بأكثر من مشروع فوجد نفس الإجابة:

- بابا اتغرب وتعب في الفلوس دي.. سـابهالك علشـان تجوز بيها، مش علشـان تتعلم فيها البزنس!!

تحولت «البلاي ستيشن» في حياة عماد إلى إدمان.. بعد ساعات العمل يجلس هو وأحمد وأصدقاؤهما ساعات أمام الشاشة في مباريات حماسية طويلة.. حاول وليد السيطرة على كم الوقت المُهْدَر لكنه فشل مقتنعا في النهاية بأنه قدر أخف من قدر.. وفي ليلة وبدون أي مقدمات أعلن عماد عن رغبته في الهجرة خارج مصر معترضا على نمط الحياة المصرية جملة وتفصيلًا.. حاول وليد إقناعه بالسفر إلى السعودية والعمل في إحدى شركات الشيخ عرفان، الذي رحب بذلك أكثر من مرة، إلا أن عماد رفض بإصرار معلنا اختياره أستراليا للهجرة إليها.. عماد صاحب قصص وروايات حب لا تنتهي.. في كل سنة تبدأ قصة حب جديدة وتختفي بهدوء، وكأنها لم تكن موجودة.. انتشر عماد في وسط أصدقاء وليد بقوة، تقرب منهم فأحبوه لذكائه، وخفة دمه وشقاوته.. دخَّن أول سيجارة مع عمرو صديق وليد قبل أن يتم السادسة عشرة.. التزم بالتدخين فقط دون أن يتطرق إلى تعاطي المخدرات أو شرب الخمر.. كثير الشبه من وليد مع اختلاف كبير وواضح في الشخصية..

***

الآيس كريم، أحلى ما اتفق عليه الأصدقاء الأربعة منذ الصغر، تحول المشي إلى «الجوركي» بالمنيل إلى عادة بل وروتين حياة، وبمرور السنين أصبح لديهم اختيار آخر، هو الذهاب إلى «ماجيك» بمصر الجديدة. امتلك وليد سيارة ميتسوبيشي لانسر، اختارت مها اللون الفضي وأصرت عليه، فوافق بالرغم من حبه للون الأسود.. اهتم وليد بصيانة وسلامة ونظافة سيارته حتى أنه منع الجميع من التدخين فيها.. كان عمرو على النقيض تماما، سيارته جيب شيروكي، يسيء استخدامها بشدة؛ الصيانة بالصدفة، تمتلئ بأشياء غريبة من أوراق ومجلات، ملابس وأحذية، وصلات كمبيوتر، أكياس وجبات سريعة وأكواب قهوة بأحجام مختلفة.. حاول معه أصدقاؤه كثيرا لتغيير سلوكه ولكنهم فشلوا أمام إهماله وآرائه:

- إنتوا مش فاهمين.. هي العربيات الجيب معموله علشان كده.

وفي نفس الوقت اعترض الجميع على سيارة إسماعيل، أوبل كورسا، صالون صغير من الداخل، إضافة إلى أنهم جميعا سئموا من قيادة صديقهم:

- إنت فعلا يا اسماعيل أوحش واحد بيسوق في مصرا!

أكمل عمرو تعليقه وهو يوجه حديثه لوليد قائلا:

- أنا مش عارف انتوا اديتوا لواحد زي ده رخصة ازاي؟!

انتهى المطاف في أغلب الأوقات بالخروج في سيارة هاني.. اشترى والده سيارة «فولفو 850» جديدة وأعطى هاني سيارته القديمة؛ الـ«فولفو 244» الكلاسيكية القوية.. كان لدى هاني الفرصة لبيعها وتغييرها لكنه

رفض، بل قرر تجديدها بالكامل حتى أنه صرف مبلغًا كبيرًا كان يكفي لشراء سيارة جديدة.. وفي مصر الجديدة اصطفت سيارة هاني أمام «أبو حيدر» صاحب أقوى سندوتشات شاورمه وألذ عصير مانجو.. وقف الأصدقاء خارج السيارة يأكلون ويشربون وهم يضحكون على الصراع المستمر والدائم بين عمرو وإسماعيل الذي قال وهو في قمة الحقد:

- أنا مش فاهم انت ما بتتخنش ليه مع إنك بتاكل أكتر مني بكتير؟!

أجاب عمرو باستفزاز:

- أنا عندي مخ بيحرق.. إنت ما عندكش حاجة، أعملك إيه؟!

ثم بدأ عمرو في التطبيل بيده على سقف سيارة هاني وهو يغني لحكيم:

- أعملك ايـه حيرتني.. أعملك ايه جننتني؟!

وفي طريق العودة إلى الروضة، مرت السيارة الفولفو أمام لجنة شرطة على مشارف كوبري عباس.. طلب إسماعيل من وليد إبراز كارنيه الشرطة للأمين، فعلق هاني سائلا:

- من إمتى وليد بيطلع الكارنيه؟!

- إنت مش معاك رخص يا هاني؟!

- آه معايا.

- طيب عايزين كارنيهي ف إيه؟!

عاد إسماعيل وسأل وليد قائلا:

- طيب افرض معهوش رخص؟!

أجاب وليد برد منطقي:

- ويبقى ليه معهوش رخص؟!

وأثناء تلك المناقشة أعطى هاني الرخص للأمين، الذي فحصها بدقة، ثم خفض رأسه ونظر إلى ركاب السيارة بإمعان .. أعاد الرخص لهاني الذي انطلق بالسيارة، فعقب إسماعيل قائلا:

- كان ناقص يطلب البطايق!!

ابتسم وليد وأجاب بهدوء شديد:

- ولو طلبها.. حقه.

***



الفصل الثاني

شـريف، «آخر العنقود»، الولد الوحيد بعد ثلاث بنات: حبيبة، وفاطمة وكريمـة.. حبيبـة الأخت الكبرى، فاطمة وكريمة توأم، متشـابهتان شـكلا وموضوعًا، ولهما عالمهما الخاص..

طـار الحاج بيومي مـن الفرحة بعـد أن كاد يفقد الأمل فـي ولد يحمل اسـمه.. اختارت الوالدة فوزية اسم شريف للمولود، وأقنعت والده بجملة واحدة قائلة:

- تخيل كده يا حاج؛ الدكتور شريف بيومي.

أعجب الأب باللقب قائلا:

- مع إني كان نفسـي يمسـك معايا الشـغل، بس برضه حلـوة حكاية الدكتور شريف بيومي دي!!

الحاجة فوزية، سـيدة منزل مصرية بمعنـى الكلمة، تهتـم بتربية الأبناء وتعمـل على راحتهـم.. تتواجد معظم أوقات النهار بالمطبخ وفي المسـاء تتابع المسلسـلات والبرامـج.. أما الحـاج بيومي، فتاجر سـيارات، ورث المهنـة أبًا عـن جد، يمتلك معرض سـيارات كبيـرًا في حدائـق القبة، وذو علاقات وطيدة بكبار التجار في القاهرة، والإسـكندرية..

اعتاد شـريف منـذ أن كان طفلًا الذهاب مع والـده إلى معرضه بحدائق القبـة.. عشـق الصبـي السـيارات عشـقا، تعلـم المشـي والجـري حولها، واسـتمتع بالجلوس خلف جميع إطـارات القيادة.. ومع مرور الزمن، لم يكن شـريف سـعيدا بمهنة والده؛ إذ تمنى أن يكـون صاحب توكيل وليس صاحب معرض، رجل أعمال وليـس تاجرًا، وقد أثر ذلك الفكر والإحساس عليه مُخلِفًا عقدة، وشعورًا بالنقص ليس له سبب على الإطلاق..

اهتـم الحاج بيومـي بتعليم أبنائه تعليمـا متميزا، ألحقهم جميعا وسـط أولاد الـذوات في مدرسـة خاصة بالزمالك. كره شـريف المذاكرة بشـدة؛ مما جعل والده يسـتعين بجميع مدرسي الفصل لإعطائه دروسًا خصوصية في جميع المواد.. كان هذا هو الحل الوحيد لنجاح ابنه المدلل على مدار السـنين.. وفي الثانوية العامة اجتهد الحاج بيومي في مسـاندة ابنه للخروج مـن عنـق الزجاجة.. في منتهى السـرِّية بحـث وتقصى إلـى أن التقى بأحد مشـرفي المراقبـة على الامتحانـات.. اسـتطاع الاتفاق معـه بمقابل مادي على مسـاعدة ابنه في اللجنة، وبالرغم من هذه الصفقة إلا أن شـريف نجح بمجموع 61٪.. أسعدت النتيجة العائلة بأكملها؛ لأن الجميع توقع رسوب شريف.. بالطبع انتهى حلم الأم، ولكن الحاج بيومي أصبح سعيدًا لأن ابنه سـيعمل معه في إدارة شـئون المعـرض.. وفي موعد التنسـيق اقترح الأب على ابنه التقديم في جامعة خاصة للحصول على أي شهادة، إلا أن شـريف كان له رأي آخر:

- أنا عايز ادخل كلية الشرطة.

مفاجـأة لـم يتوقعها أحد. اعتـرض الأب، أمام ترحـاب وموافقة جميع أفراد الأسرة.. سـاعدت حبيبة أخاها في إقناع الوالد الذي رضخ بشرط أن يقضـي ابنه معـه أيام الإجازة من الكلية في المعرض.. وافق شـريف بدون تردد فالسيارات تجري في دمه.

منذ أن كان صغيرًا انتبه شـريف لجارهم الضابط أمين، الذي كان يمشي ملكًا، واثق الخطوة، يجري أمامه وخلفه اثنان من عساكر الخدمة.. احترمه وهابه الصغير والكبير بداية مـن حارس البناية، إلى صاحـب العقار.. ابنته شـهد صديقة حبيبة المفضلـة، تخرجا معًا في كلية تجـارة جامعة القاهرة.. وفي نفس الليلة التي أعلن فيها شريف عن رغبته اتصلت حبيبة بشهد لترتيب موعد مع والدها الذي حصل على رتبة عميد منذ عام واحد فقط..

وفي مساء يوم الجمعة وقف الضيوف على باب المنزل وفي يد شريف تورتـة بينما أمسـكت حبيبة طبقًا كبيـرًا من الفضة الخالصـة كتبت عليه آية قرآنية.. كان الاسـتقبال حميمًا، هنأ فيه العميد أمين الجميع بنجاح شـريف الـذي جلـس في أدب جم دون أن ينطق بكلمة واحدة، وأثناء تناول الشـاي شكر الحاج بيومي جاره على استضافتهم ثم أضاف قائلا:

- شـريف من وهو صغير شايف سـعادتك قـدوة ومثـل أعلى، نجح وفاجئنا كلنا بإنه عايز يبقى ظابط.. أنا طبعا كان نفسـي يمسـك معايا المعرض، بس هاعمل إيه؟!

أجاب العميد أمين مبتسما:

- أنا كمان كان نفسي محمد يطلع ظابط، بس هو صمم على هندسة.. في الحقيقة يا حاج الاختيار اختيارهم، واحنا علينا نساعدهم.

- نفس اللي انا قلته والله.

ثم شرح العميد أمين أهمية وخطورة هذا القرار قائلا:

- لازم الأول شريف يبقى فاهم إن الشرطة مش لعبة، دي التزام ومسئولية، مسئولية مش سهلة.

ثم تطرق أمين إلى ضَعْفِ المقابل المادي خاصة في السنوات الأولى بعد التخرج، فقاطعه الحاج بيومي قائلا:

- إنت عارف سعادتك ان الفلوس مش هي الموضوع.

استمرت المناقشة لمدة ساعة إلى أن تحدث شريف وأصر على اختياره، وأمام هذا الموقف الواضح عاد العميد أمين وأكد استعداده التام للمساعدة معتبرا شريف مثل ابنه محمد.. شكره الحاج بيومي، ثم استأذن من الأبناء للجلوس مع سيادة العميد على انفراد للتحدث معه في أمر شخصي..

دخل الحاج مباشرة في الحديث قائلا:

- أنا عارف طبعا ان ممكن يكون فيه مصاريف للموضوع ده.. من 1000 لـ 100 ألف، لـ .

قاطعه أمين وأجاب مبتسما:

- لا يا حاج، مفيش مصاريف ولا حاجة..

- أو لو فيه عربية نقدر نخدم فيها، يعني اللي سعادتك شايفه صح أنا تحت أمرك..

اضطر العميد لإنهاء الحوار فقال بنبرة واضحة وجادة:

- حاج بيومي.. انتهينا.

أجاب بيومي بخجل:

- اللي تؤمر بيه سعادتك.

مرت الأيام وكما وعد العميد أمين وفّى.. اهتم، وتابع إجراءات تقديم واختبارات التحاق شريف بيومي إلى أن تم قبوله بكلية الشرطة.. وبعد ظهور النتيجة، أصر الحاج بيومي على دعوة العميد أمين على العشاء.. وافق العميد على مضض وذهب في سيارة بيومي المرسيدس إلى مطعم «أبو شقرة».. وبكرم الضيافة امتلأت المائدة بالمأكولات، السلطات والمشروبات.. وأثناء العشاء تبادل الاثنان أطراف الحديث الذي استمر لأكثر من ثلاث ساعات.. تحدث العميد عن عمله في الداخلية بكلمات قليلة، أما الحاج بيومي فأذاع تفاصيل ومشاكل تجارة السيارات بالكامل.. وفي طريق العودة إلى المنزل، فتح الحاج بيومي درج السيارة وأخرج ساعتين من أحدث طراز «رادو»، إحداهما رجالي والثانية حريمي، أهداهما إلى العميد أمين الذي حاول الاعتذار، إلى أن قال له جاره بلغة حميمة:

- ده النبي قبل الهدية، وبعدين دي ولا حاجة قصاد جمايل سعادتك.

أمسك العميد أمين الهدية دون النظر إليها قائلا:

- شكرًا يا حاج، بس ماكنش فيه لزوم للكلام ده.

تمنى الحاج بيومي أن يساعده ابنه في معرضه بحدائق القبة إلا أن هذه الأمنية تبخرت في أول يوم رأى فيه شريف ببدلة طلاب كلية الشرطة.. حيث قال بفرح:

– إيه الجمال ده، ما شاء الله، عقبال النجمة.

– قول عقبال النسر يا حاج.

مرت سنوات الدراسة بكلية الشرطة سريعا.. لم يكن شريف الطالب المثالي.. أتقن التزويغ من الكلية، واستطاع بذكائه الظهور والاختفاء في الأوقات المناسبة.. كان عند شريف استعداد قوي للانحراف، فانضم إلى شلة احترفت السهر والشرب.. أحب البنات وتعددت علاقاته التي لم تستمر طويلا، بل كانت تنتهي أسرع من تخيُّل شريف نفسه.. علاقة هدفها واحد.

تخرج شريف في كلية الشرطة سنة 1989، وتم توزيعه للعمل في مصلحة الأمن العام، وبالتحديد قسم مصر الجديدة، وبعد مرور عامين نجح العميد أمين في تحقيق رغبة شريف بضمه إلى إدارة مباحث نفس القسم، موقع مهم، قوة ونفوذ حسده عليهما معظم زملائه وأصدقائه من خريجي الكلية.

شريف ذكي ذكاءً حادًّا، قوي الملاحظة، تعلم أن يظهر ويتصرف بشكل متحضر وسط أصدقاء المدرسة والنادي، وكأنه ابن من أبناء العائلات الأرستقراطية.. اعتاد الذهاب مع صديقه معتز إلى «الجيم»، ليس فقط للتدريب على رفع الأثقال، ولكن للالتقاء بجميلات النادي.

اكتملت هيئة شريف بعد تخرجه.. استقامت قامته، اعرضّت كتفاه، وأصبح جسمه صحيًا ورياضيًا.. شريف صاحب بشرة نقية بيضاء.. حاد الملامح، عيناه سوداوان وشعره أسود داكن.. اعتاد الظهور بشارب محدد وذقن خفيفة «دوجلاس» في الأعياد والإجازات الرسمية الطويلة، عاشق للمظاهر، مهتم بكل وأدق التفاصيل، سيارة موديل السنة، ميدالية ذهب، ملابس ذات ماركات واضحة، نظارة «Police»وساعة «Tag».. سلاحه الميري لا يفارقه، جزء أساسي من تركيبة شخصيته.. يضعه في جانبه صباح كل يوم، إلى أن يعود إلى منزله فيحفظه في خزينته الخاصة..

معتز فودة، وحيد والديه، أعز أصدقاء شريف وزميل المدرسة.. نجح في الثانوية العامة والتحق بالجامعة الأمريكية.. في السنة الثانية وأثناء الدراسة انفصل والداه؛ والدته من عائلة أرستقراطية وغنية، اهتمت بحياتها وعلاقاتها، ومظهرها ومظهر ابنها وسعادته.. في آخر سنة دراسية استقر معتز تماما في منزل الأم التي استمرت في تدليله، حتى أنها اشترت له سيارة «مرسيدس كوبيه»، موديل السنة بالرغم من اعتراض والده بشدة.. استغل معتز هذا الانفصال أبشع استغلال؛ إذ تنقل بين المنزلين بدون رقيب.. بعد أن تخرّج معتز بصعوبة في قسم إدارة أعمال، التحق بالعمل في مصنع والده، لم يلتزم بالذهاب في مواعيد العمل الرّسمية، حججه الواهية واختفاءاته المتكررة أدت للعديد من المشاكل بينهما.. معتز قصير، ولكنه صاحب بنيان قوي.. بالرغم من تعاطيه للحشيش، وشربه للخمر إلا أنه واظب بشكل لافت على الذهاب إلى «الجيم».. أهم لحظات حياته على شاطئ بيانكي بالعجمي، عندما يكتسب جسمه اللون البرونزي ويتجول بالشورت ومن حوله البنات.

مرت السنوات وانتقل شريف من مباحث مصر الجديدة إلى مباحث أسوان. كان يمضي عشرين يومًا بالعمل وعشرة أيام راحة بالقاهرة. في فترة إجازة شريف في القاهرة اعتاد الصديقان السهر معًا في «مورو» و«يلوز». استغل شريف نفوذه، ونجح بحضوره القوي وسلطاته في السيطرة على «بودي جاردز وجرسونات» هذه الأماكن، «برستيج» ومعاملة خاصة أسعد به صديقه..

أما معتز كوجه آخر لهذه العلاقة، فهو غني و«ابن ناس» سخي بأمواله ووقته، على استعداد للخروج والسهر والسفر في أي وقت.. محبوب ومتشعب في علاقاته مع الشباب، كما يقال «منتشر»؛ مما جعل ذلك سببًا أول في تعرف شريف على أجمل بنات القاهرة..

في مساء يوم أربعاء، كان الصديقان في جيم شهير بالجيزة، وفي وسط التدريب الجاد، لفت انتباه شريف رقي وجمال بنت أرسل إليها معتز التحية رافعا يده، إلى أن ذهب وحياها بنفسه.. بالرغم من ارتدائها ملابس رياضية إلا أن الأناقة كانت واضحة وضوح الشمس، وبريق الـ«رولكس» «زغلل» عينيه.. انتظر شريف بفارغ الصبر عودة معتز سائلا بنظراته:

- مين القطة؟

انحنى معتز قريبا منه قائلا:

- بيري.. إنت عارف بنت مين؟!

كان شريف في هذه اللحظة على ثقة تامة أنه سيسمع اسمًا من أسماء رجال الأعمال المرموقين في المجتمع.. هز رأسه نافيا متنبها في انتظار معرفة من هو والد بيري.. أضاف صديقه بفخر:

- المحفوظ.. راغب المحفوظ.

سمع شريف الاسم ولم يرد..

راغب المحفوظ، رجل أعمال من الطراز الأول.. يستثمر أمواله في شتى المجالات.. تنقيب بترول، مشاريع عقارية، منتجعات سياحية، توكيلات تجارية، صرح عملاق يُدِرُّ عليه الملايين سنويًا.. والدتها أميرة، اسم على مسمى، انقسمت هذه العائلة الصغيرة إلى فريقين، أميرة والابنة الكبرى باكينام، وراغب والابنة الصغرى بيريهان.. وبالرغم من وضوح العلاقات في المنزل فإن الحب والتفاهم والاحترام ساد بين جميع أفراد الأسرة.. وفي وسط المجتمع الراقي حافظت أميرة على ظهورها بجانب زوجها ومساندتها له.. اهتمت أيضا بالأعمال الخيرية إلى أن أصبحت عضوًا بارزًا في نادي الروتاري..

تزوجت الابنة الكبيرة باكينام من دبلوماسي، سافرت معه إلى نيويورك بعد انضمامه لبعثة مصر في الأمم المتحدة.. أما بيري المحفوظ، عشرون سنة، خريجة المدرسة الأمريكية وطالبة متفوقة بالجامعة الأمريكية، قسم إدارة أعمال.. تعيش مع والديها في فيلا فاخرة بالمعادي، بها حمام سباحة، و«جاكوزي» و«ساونا»، ومنطقة خاصة «للباربكيو» وسط حديقة واسعة ممتلئة بالأشجار النادرة والورود الجميلة.. بيري شخصية واضحة، عراقة وثراء عائلتها أعطياها ثقة بلا حدود، وفي نفس الوقت متواضعة ومحبوبة من جميع أصدقائها.. بيري، صاحبة بشرة خمرية ناعمة لامعة، وشعر أسود طويل وكثيف، تحبه وتستمتع بأن تمسكه وتحركه يمينا وشمالا، وفي أوقات أخرى ترفعه متعمدة فيظهر وجهها الجميل الجذاب.. عيناها

سوداوان واسعتان، نظراتها ثاقبة وجريئة، وفي لحظات أخرى يكسوهم الخجل والبراءة، من ينظر إلى عينيها بحب يستطيع أن يفهم ويعي ما يدور في ذهنها، ولكنها لم تكن تعطي هذه الفرصة لأحد..

تابع شريف ابنة المحظوظ التي كانت تتدرب بجدية ونشاط.. حاول إخفاء نظراته، ولكن معتز انتبه لاهتمامه وتركيزه، فابتسم قائلا:

- شكلها عجبتك؟

- أوي.. إنت ازاي تعرفها وسايبها؟

- يا عم دي بتاعة جواز.. وانا مش عايز اتجوز.

عقب شريف في داخله: «أنا بقى عايز اتجوز».

كانت السهرة تلك الليلة في «ريتمو».. انطلق معتز كعادته وسط الشباب، أما شريف فوقف مع إحدى البنات على جانب من البار.. لم يكن مهتما بها أو بمن حوله بعد أن سيطر عليه جمال بيري واسم والدها.. بحث شريف عن معتز بنظراته إلى أن رآه وسط الأضواء الخافتة فأشار إليه بالحضور.. اقترب معتز من صديقه الذي سأله في أذنه:

- معاك تليفونها؟

- تليفون مين؟

- بيري يا أخي؟

ابتسم معتز بخبث قائلا:

- أنا أعرفها من بعيد لبعيد بس عندي واحدة صاحبتي صاحبتها أوي، وبكره هتبقى عندك كل أخبارها.

- بس حاسب نتفضح.

- عيب عليك.

وفي اليوم التالي اتصل معتز بصديقه سائلا:

- تحب ابتدي منين؟

- يا عم ابتدي من أي حته وخلصني.

تحدث معتز دون توقف، ساردا كمًا رهيبًا من المعلومات.

بيري تقود سيارة «بي إم دبليو 318، ذهبي»، لا تهوى الخروج من المعادي.. تتردد على نادي الجزيرة قليلا. تذهب كثيرا إلى «الجولدز جيم»، الذي تم افتتاحه مؤخرا بالمعادي، لا تدخن ولكنها تشرب أحيانا النبيذ الأحمر على العشاء مع والدها ووالدتها.. تظهر في المناسبات فقط، فهي حريصة دائما على مجاملة أصدقائها.. في شهر يوليو التزمت بالذهاب خلال أيام الأسبوع إلى مقر شركة والدها للتدريب، وفي إجازة عطلة نهاية الأسبوع سافرت مع والدتها إلى قرية غزالة بالساحل الشمالي.. وفي شهر أغسطس، سافرت إلى نيويورك لمدة شهر مع والدتها لزيارة أختها الكبيرة [illegible]، وفي طريق العودة إلى القاهرة أمضت مع أميرة ثلاثة أيام في لندن، مدينة بيري المفضلة..

ثم أضاف معتز أهم خبر ضاحكا:

- ويا ابن المحظوظة مش مصاحبه، بس بيحوم حواليها كتير.

- أكيد، بس كده يا معلم يبقى لازم نخش بسرعة، نلخّص ونخلص.

ثم مدح شريف صديقه على المعلومات التي حصل عليها قائلا:

- تصدق، اني أول ما هابقى رئيس مباحث هاخدك معايا معاون.. بس أنا عندي سؤال، طيب هي إيه اللي جابها الجيزة؟

- ممكن يكون «الترينر» بتاعها بيروح الجيزة يوم الأربع، أو من باب التغيير.

ثم تذكر معتز معلومة مهمّة فأضاف:

- نسيت أقولك إنها بتروح «جريكو» كل يوم جمعة وسبت الصبح، مع رنا وشيرين أصحابها الأنتيم.

- إيه «جريكو» ده؟

- يا بني جريكو المعادي، أجمد قهوة فيكي يا مصر.

- لعلمك كل المعلومات اللي انت قلتها كوم، والمعلومة الأخيرة دي كوم تاني! هو انت فين يا معتز؟

- عند أمي في الزمالك..

- طب اجهز وهاعدي عليك كمان شوية. آه صحيح، أنا عايز اشتري ساعة رولكس، ما تعرفش اجيبها منين؟!

انتهت المكالمة، وبعد أقل من ساعة كان الصديقان في زيارة علاء السوري صديق معتز.. جلس الثلاثة معًا في مكتب علاء بالزمالك وشاهدا مجموعة رائعة من الساعات ذات الماركات العالمية.. لم يَحْتَرْ شريف

للحظة، مد يده وأمسك ساعة «سب مارينر» بمينا زرقاء، وأستيك نصف ذهب.. ثم سأل عن سعرها فأجاب علاء بثقة:

- 23 وعلشان خاطركم 22.. ولعلمك الميناء الزرقا بتزيد ألف جنيه كمان!!

سأل معتز صديقه:

- هي الجديدة بكام؟

- 38، بس مش موجودة اليومين دول.

استأذن شريف وذهب إلى السيارة ثم عاد بمبلغ سبعة آلاف جنيه بعد أن اتفقا معًا على دفع خمسة آلاف جنيه شهريا لمدة ثلاثة أشهر.

شكر الصديقان علاء ورحلا معًا بعد زيارة ناجحة، فقال شريف معقبا:

- بصراحة صاحبك علاء ده طلع جدع.

- علاء؟ ده جدع جدا، كلنا في النادي ساعاتنا من عنده.

ثم نظر شريف في يده فرحًا وفخورًا قائلا:

- ساعة بنت كلب، هاتعمل شغل.

أجاب معتز بكلمته الشهيرة:

- إنت حبيبي يا بني!!

***



التحق وليد في بداية خدمته بقطاع الهايكستب للأمن المركزي بالقاهرة، واستمر به لمدة ثماني سنوات. في خلال هذه الفترة حصل على العديد من الفرق المتميزة أبرزها الصاعقة والمهام القتالية وعمليات الشرطة، إلى أن تم نقله في يوليو سنة 2001 إلى قطاع الأمن المركزي بمحافظة المنيا.. في نهاية عامه الثاني بالقطاع أثبت النقيب وليد كفاءة عالية إلى أن كلفه اللواء عبد الحميد صقر رئيس القطاع بقيادة أهم سرية، سرية الدعم والمجموعات القتالية.. كان وليد أصغر قائد سرية يكلف بهذه المهمة في تاريخ القطاع بأكمله، وقد كان هذا القرار سببا في تحفيز وليد حتى أنه بذل أقصى جهد لإثبات أحقيته بهذه الريادة.. عشرون يوما يقضيها وليد في عمله بالمنيا وعشرة أيام راحة بالقاهرة.. تأقلم بسرعة على الوضع، ولكن المشكلة كانت في زوجته مها التي افتقدته كثيرا..

اعتاد الزوجان عدم الخروج ليلة سفر وليد إلى المنيا.. جلسا معًا وتناولا العشاء أمام شاشة التلفزيون.. كانت مها تحكي عن مشكلة نشبت بين اثنين من زملائها في العمل، ثم توقفت عن الحديث عندما لفت انتباهها لقاء بين مذيع وطبيب نساء شهير في حلقة موضوعها «تأخر الإنجاب وطرق

علاجه بالحقن المجهري أو أطفال الأنابيب».. اهتم وليد أيضا، وأنو معًا دون أي تعليق إلى أن انتهى اللقاء الذي استمر أكثر من نصف ساعة كان واضحًا تمكُّن وثقة الدكتور في حديثه وعلمه..

أنهت مها الصمت والتوتر الذي سيطر عليهما قائلة بحزن شديد:

- مش هينفع نستنى أكتر من كدا يا وليد.

دمعت عيناها وهي تضيف قائلة:

- أنا بجد تعبت.. أرجوك نروح نشوف حل للموضوع ده.

أجاب وليد بعد صمت لثوانٍ:

- خلاص يا مها، حاضر، حاولي تعرفي فين عيادة الدكتور ده ونروحله؟!

أجابت مها بدون تفكير:

- واروحله لوحدي ليه؟!

- علشان انا مسافر بكره عشرين يوم.

لم تعقب مها.. قامت من مجلسها وأخذت بعض الأطباق لتضعها في المطبخ، فارتفع صوت وليد عاليًا:

- الشاي يا باشا.

لم ترد مها بعد أن انسابت الدموع من عينيها..

لقد مر حوالي خمســة أعوام على زواج وليد ومها دون حمل، وبالرغم من تكرار الزيـارة لأطباء مختلفيــن إلا أن الإجابة واحــدة ومكررة: «ليس هناك مانع لحدوث حمل». وكانت آخر زيارة لطبيب منذ عام تقريبا وعندما جادل وليد في محاولة فهم الموقف أجاب المعالج قائلا:

- مراتـك دكتــورة والتحاليـل فـي إيدها وهـي فاهمة كويــس ان انتوا معندكوش أي موانع طبية.

- يعني فيه إيه؟! لازم فيه حاجة.

أجاب الطبيب بمنتهى الهدوء:

- إنهـا مشـيئة اللـه يـا سـيادة النقيب، قـال اللـه تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم.

حاولـت مهـا بعد هذه الزيـارة إقناع وليـد بفكرة «أطفـال الأنابيب» إلا أنه اعترض بشــدة رافضا أن يعرّض زوجته لمخاطر التجربة. قرأ كثيرًا عن الآثار الســلبية الجســدية والنفسـية على السـيدات جراء هذه العملية إلا أنه استسلم اليوم أمام دموع وإصرار زوجته.

دقائق وعادت مها بعد أن غســلت وجهها.. تناول الكوب وأخذ رشـفة مداعبا:

- أحلى شاي في العالم.. تسـلم إيدك يا باشا.

أمسك وليد يد مها، أجلسها بجانبه، ثم حضنها بحنان قائلا:

- استني لما ارجع ونروح سوا.

أجابت بابتسامة:

- عُلم وينفذ!!

وقف وليد ماسكا يدها:

- طيب تعالي ندخل جوه علشان انا عايزك في موضوع مهم أوي أوي أوي.

***

وفي الصباح استيقظ وليد باكرا، أعدت مها حقيبته، وهو يرتدي ملابسه استعدادًا للسفر.. وكعادته قبّل زوجته قائلا:

- لا إله إلا الله.

أجابت مها بصوت حزين:

- سيدنا محمد رسول الله.

جلس وليد في القطار الذي انطلق بعد دقائق إلى المنيا.. أمسك إحدى صحف المعارضة وبدأ في قراءتها.. في نفس عربة القطار، وعلى أحد الكراسي الخلفية جلس يحيى ابن اللواء عبد الحميد رئيس قطاع الأمن المركزي بالمنيا.. كم كان يحيى سعيدًا برؤية وليد، قام من مجلسه، حياه ثم طلب بأدب من الرجل الذي يجلس بجانبه تبديل الأماكن، وقد رحب بذلك.

بدأ يحيى عبد الحميد دراسته في إحدى المدارس الخاصة، ثم تخرج منذ عامين في كلية تجارة جامعة عين شمس بتقدير عام جيد.. كان الحديث عائمًا إلى أن سأله وليد عن عمله بالأرض والزراعة.. كلمات اللواء عبد الحميد عن تقديره وثقته في وليد، وإعجاب يحيى بفكر وتحضر وليد في التعامل مع من حوله جعله يطمئن فتحدث بحرية وانطلاق.. سرد يحيى تفاصيل يومه؛ فهو يستيقظ في السادسة صباحًا، يستعد ويذهب إلى أرض والده التي تقع بعد مدينة الشروق، ولا يعود إلى منزله قبل الساعة الثامنة مساءً.. يقضي كل يوم ساعة على الطريق ذهابًا، وعلى الأقل ساعة ونصف في طريق العودة.. ساعات عمل طويلة، إرهاق بدني وذهني شديدين.. وبدون مقدمات فاجأه يحيى بسؤال محرج:

- تفتكر انا باخد كام في الشهر؟!

أجاب وليد بدبلوماسية:

- مش عارف.

- طيب خمن.

أصر وليد على عدم الإجابة قائلا:

- ماعنديش أي تخيل.

قال يحيى بصوت منخفض:

- 600 جنيه.

لم يُبدِ وليد أي تعليق، فأضاف يحيى ساخرًا:

- بس باخد كوبونات بنزين.

مرتب ينتهي بعد عشرة أيام على الأكثر، ثم يبدأ يحيى في اس
المساعدات من والدته وأخته الكبرى.. لم تكن المشكلة المادية هي الأه
من وجهة نظر يحيى، فشرح شعوره في كلمات قليلة:

- أنا حاسس اني ماكنة، طور في ساقية، اللي بيات فيه بصبح فيه
وبعدين انا ما بحبش الشغلانه دي.

استمع وليد بتركيز واهتمام شديدين لحديث يحيى إلى أن سأله وليد
سؤالًا طبيعيًا:

- طيب انت ليه ماتكلمتش مع والدك في كل ده؟

أجاب يحيى بنبرة حزينة مؤكدًا:

- طبعا اتكلمت معاه وأكتر من مرة كمان، بس مافيش فايدة. هو
بيعاملني كأني عسكري عنده، توجيهات وتعليمات وبس.

وفي نهاية حديثه استخدم جملة والده المتكررة: «إنت بتعمل المجهود
ده في أرضك».

لم يتمالك وليد نفسه، فحرك وجهه يمينا ويسارا تعبيرًا عن عدم اقتناعه
بوجهة نظر اللواء عبد الحميد، فعقب يحيى على رد فعل وليد قائلا:

- مجبر أخاك لا بطل.

ساد الصمت للحظات ثم أضاف يحيى:

- إنت عارف أصل المشكلة فين؟

انتبه وليد جيدا، فأكمل يحيى حديثه:

- أبويا كان هيموت واطلع ظابط.. عمل معايا كل حاجة علشان يقنعني بس فشل.. أقولك حاجة وماتزعلش مني.. أنا أصلا بكره الشرطة.. هبقى ظابط ازاي؟

- مابنفعش طبعا.. طيب انت نفسك تشتغل إيه؟

- أنا بحب البيزنس..

لحظات أخرى من الصمت، يحيى يفكر في مأساة حياته، ووليد يفكر في حل له للخروج من هذا المأزق، إلى أن سأله وليد سؤالا آخر:

- طيب انت حاولت تشتغل حاجه تانية؟

- لأ..

- ليه لأ.. دوّر، جايز تلاقي فرصة أحسن..

انتبه يحيى جيدا لاقتراح وليد، وفي نهاية الحديث اتفقا معًا، أن يعد يحيى سيرة ذاتية على أن يرسلها إلى وليد على بريده الإلكتروني ليعطيها لصديقه عمرو لمراجعتها وتصحيحها قبل تقديمها للشركات والبنوك.. ارتاح يحيى لهذا القرار، بعد أن بعث له إحساسًا جديدًا ممتلئًا بالأمل..

مرت الرحلة سريعا، ووصل القطار إلى المنيا، كانت هناك سيارة في انتظار وليد وأخرى في انتظار يحيى.. انطلق كل منهما في طريقه، يحيى

إلى مكتب والده، أما وليد فذهب إلى غرفته بالقطاع، موطنه الثاني، والذي يقضي فيه معظم أيام الشهر..

قطاع الأمن المركزي بالمنيا، أرض شاسعة وواسعة.. على مسافة عشرة أفدنة أو أكثر.. لوحات التحفيز كُتبت عليها شعارات حماسية، مقولات مأثورة ومشهورة في كل مكان، بداية من المدخل، وفي كل ركن وعلى كل حائط.. سور مرتفع أعلاه أبراج حراسة ومراقبة من جميع الاتجاهات.. مكتب أمن في مدخل القطاع وعلى يمينه جراج الحملة من سيارات القطاع، أتوبيسات، لوارٍ، عربات بيك آب، مدرعات، ثم أرض فضاء، والمطبخ ومخازن التعيين.. في الجهة الأمامية يوجد ميدان للرماية ومن بعده أرض التدريب. وفي نهاية هذا الاتجاه «عنابر العساكر».. أربع مبانٍ في الجهة الشمالية تضم: سرايا الدعم، والسرايا القتالية، وتشكيلات الفض، واستراحة الضباط.. وفي الجهة الشرقية مكتب اللواء عبد الحميد قائد القطاع، يليه مبنى العمليات والذي يضم أقسام: الشئون الإدارية، وشئون الضباط والمجندين، وغرفة العمليات، ويجاوره مبنى مخازن السلاح والذخيرة..

النقيب وليد، قائد سرايا الدعم، المكونة من ثلاث فصائل، كل فصيلة قوامها ضابط وثلاثة وثلاثون مجندًا من أفضل عساكر القطاع. يسند إليهم المأموريات ذات الخطورة العالية، من تفتيش وقبض ومكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات.. وتحت قيادته أعطى وليد مساحة اتخاذ القرار لكل ضابط، ثم تابع وتأكد بنفسه من تنفيذ كل المهام بدقة وإتقان.. من أهم

الشخصيات التي اعتمد عليها وليد في إدارة الفصائل، واعتبره ذراعه اليمنى هو الصول شاكر (خمسة وخمسون سنة من بولاق الدكرور) والذي أفنى عمره في خدمة الشرطة، فله خبرات متراكمة تفوق العديد من ضباط القطاع.. الصول شاكر مسئول عن الشئون الإدارية، وقبض الرواتب، وتسليم المهمات، والتفتيش والإجازات.. يمتاز بالصرامة وقوة الشخصية، يحترمه ويحبه الجميع..

كان لوليد مواقف إنسانية عديدة ومختلفة؛ فعندما مرضت ابنة شاكر واحتاجت إلى تدخل جراحي، اتصل وليد بحماه الذي رحب بإجراء العملية في مستشفى القصر العيني دون الحصول على أي أتعاب. تكرر هذا الموقف أكثر من خمس مرات على مدار عامين، إلى أن ارتفعت شعبية وليد إلى الذروة. حتى كانت التحية له من عساكر القطاع ذات طبيعة خاصة ومختلفة؛ إذ إن الجميع اتفقوا على التزامه، وإخلاصه، وارتباطه برجاله والأهم إيمانه وتقربه الواضح من الله سبحانه وتعالى.. سيطر إحساس الحقد والغيرة على عدد من زملائه الضباط في القطاع.. وفي أوقات سخروا من أخلاقه العالية، حتى إنه اتُّهم بالمبالغة في تصرفاته الحميدة.. تقبل وليد النقد بخفة ظل وتواضع إلى أن احترمه حتى من اختلف معه.

اقترب وليد من جميع أفراد السرية، كان صادقا في تصرفاته، فنجح في بناء جسر من الثقة، احتواهم وتفهم نفسيتهم وحياتهم، أفكارهم ومشاكلهم حتى أصبح يعرف كل صغيرة وكبيرة عنهم، مما زاد من قوة هذه العلاقة.. كان وليد يختار العساكر بعناية فائقة، فكانوا يتنافسون على الوصول لأعلى معدلات التدريب واللياقة البدنية، خصوصا بعد حصول

سريته على المركز الأول على مستوى الجمهورية في مسابقة سرايا النموذج والتي شهدت منافسات شرسة وصعبة.. اهتم وليد أيضا برجاله وعمل على راحتهم بل وتدليلهم أحيانا حتى قال له اللواء عبد الحميد ذات مرة معاتبا:

- دي تاني مره يا وليد تطلب زيادة في الرز واللحمة في شهر واحد.. مش كفاية المهمات الجديدة اللي استلموها، لبس، مراتب وبطاطين وتلفزيونات وغيره ولا أفكرك.

أجاب وليد باحترام ودبلوماسية:

- اللي سعادتك تشوفه يا فندم، بس الحقيقة أنا قارص عليهم في التدريبات شوية.

وفي حركة التنقلات الأخيرة انضم الملازم أول إسلام للقطاع نقلاً من قطاع المكس بالإسكندرية، حيث قام اللواء عبد الحميد بتعيينه بسرية الدعم تحت قيادة وليد نظرا لبنيانه القوي دون الأخذ بكفاءته في الاعتبار، وفي أول يوم عمل قام وليد بتكليف إسلام بإجراء تدريب فوري لمجموعته على فك وتركيب البندقية الآلية.. ارتبك إسلام وهو يمسك السلاح، واهتز في حديثه؛ فلم يسبق له إعطاء مثل تلك التدريبات من قبل لهذا العدد من الجنود، إلى أن أحرجه وليد مناديا:

- مغازي.. واضح إن إسلام بيه نسي السلاح.

ثم وجه حديثه إلى إسلام قائلا بنبرة واضحة:

- تعالَ جنبي، وركز مع مغازي.

مغازي من أمهر العساكر في القطاع في فك وتركيب الأسلحة عامة.. أخذ الخبرة من عائلته المشهورة في سوهاج بتجارة السلاح وأضاف إليه وليد المزيد من التفوق بالعلم والتدريب.. استعرض مغازي بفخر خبرته في تدريب الزملاء على استخدام السلاح.. درس قاسٍ لإسلام في أول يوم له بالقطاع.. في الراحة المسائية جلس وليد وإسلام معًا.. دار بينهما حديث طويل وشيق ذكره بحديثه مع قائده منذ تسع سنوات تقريبا وبالتحديد بعد تخرجه وانضمامه إلى قطاع الأمن المركزي بالقاهرة.. في بداية النقاش أبدى إسلام استياءه من موقف الصباح، فأجاب وليد بحزم:

- العسكري اللي مش عاجبك ده هو عنينا اللي بنشوف بيها في المأموريات.. هو اللي بيحمي ضهرنا وبيدافع عنا، وحياتنا متعلقة بيه.

ثم تحدث معه عن أهمية روح العلاقة بين الضابط والعسكري على المستوى الشخصي والذكاء في كيفية التقرب منه واحتوائه.. شرح أيضا صعوبة تأهيل العسكري من الحياة المدنية إلى العسكرية والحزم والانضباط، موضحا أن المجند يصل للمعسكر مرتبكا وخائفا، ثم أكد على ضرورة الوقوف بجانبه بمرور الوقت في الأزمات الشخصية والإنسانية.. أما على المستوى العملي فتدريبه، وتطوير أدائه ورفع كفاءته دور حتمي ومصيري يحمي أي مأمورية من الكشف أو الفشل، وبمنتهى الفخر أشار إلى مجموعته؛ مجموعة الأشاوس، كما يحب أن يطلق عليها لكونهم من أفضل العناصر في سرية الدعم ويعملون تحت قيادته المباشرة، طالبا منه

سريته على المركز الأول على مستوى الجمهورية في مسابقة سرايا الدعم والتي شهدت منافسات شرسة وصعبة.. اهتم وليد أيضا برجاله وعمل على راحتهم بل وتدليلهم أحيانا حتى قال له اللواء عبد الحميد ذات مرة معاتبا:

- دي تاني مره يا وليد تطلب زيادة في الرز واللحمة في شهر واحد. مش كفاية المهمات الجديدة اللي استلموها، لبس، مراتب وبطاطين وتلفزيونات وغيره ولا أفكرك.

أجاب وليد باحترام ودبلوماسية:

- اللي سعادتك تشوفه يا فندم، بس الحقيقة أنا قارص عليهم في التدريبات شوية.

وفي حركة التنقلات الأخيرة انضم الملازم أول إسلام للقطاع نقلاً من قطاع المكس بالإسكندرية، حيث قام اللواء عبد الحميد بتعيينه بسرية الدعم تحت قيادة وليد نظرا لبنيانه القوي دون الأخذ بكفاءته في الاعتبار. وفي أول يوم عمل قام وليد بتكليف إسلام بإجراء تدريب فوري لمجموعته على فك وتركيب البندقية الآلية.. ارتبك إسلام وهو يمسك السلاح، وهتز في حديثه، فلم يسبق له إعطاء مثل تلك التدريبات من قبل لهذا العدد من الجنود، إلى أن أحرجه وليد مناديا:

- مغازي.. واضح إن إسلام بيه نسي السلاح.

ثم وجه حديثه إلى إسلام قائلا بنبرة واضحة:

- تعالَ جنبي، وركز مع مغازي.

مغازي من أمهر العساكر في القطاع في فك وتركيب الأسلحة عامة.. إتخذ الخبرة من عائلته المشهورة في سوهاج بتجارة السلاح وأضاف إليه وليد المزيد من التفوق بالعلم والتدريب.. استعرض مغازي بفخر خبرته في تدريب الزملاء على استخدام السلاح.. درس قاسٍ لإسلام في أول يوم له بالقطاع.. في الراحة المسائية جلس وليد وإسلام معًا.. دار بينهما حديث طويل وشيق ذكره بحديثه مع قائده منذ تسع سنوات تقريبا وبالتحديد بعد تخرجه وانضمامه إلى قطاع الأمن المركزي بالقاهرة.. في بداية النقاش أبدى إسلام استياءه من موقف الصباح، فأجاب وليد بحزم:

- العسكري اللي مش عاجبك ده هو عينا اللي بنشوف بيها في المأموريات.. هو اللي بيحمي ضهرنا وبيدافع عنا، وحياتنا متعلقة بيه.

ثم تحدث معه عن أهمية روح العلاقة بين الضابط والعسكري على المستوى الشخصي والذكاء في كيفية التقرب منه واحتوائه.. شرح أيضا صعوبة تأهيل العسكري من الحياة المدنية إلى العسكرية والحزم والانضباط، موضحا أن المجند يصل للمعسكر مرتبكا وخائفا، ثم أكد على ضرورة الوقوف بجانبه بمرور الوقت في الأزمات الشخصية والإنسانية.. أما على المستوى العملي فتدريبه، وتطوير أدائه ورفع كفاءته دور حتمي ومصيري يحمي أي مأمورية من الكشف أو الفشل، وبمنتهى الفخر أشار إلى مجموعته؛ مجموعة الأشاوس، كما يحب أن يطلق عليها لكونهم من أفضل العناصر في سرية الدعم ويعملون تحت قيادته المباشرة، طالبا منه

الانتظار حتى الغد ليرى بنفسه لياقتهم ومهارتهم القتالية.. ثم لخص وليد حديثه بجملتين من أربع كلمات:

- العسكري صورتك.. العسكري بيقيسك.

سكت وليد للحظات ثم أضاف بنبرة احترام:

- دي جملة العميد أنور البحيري، أول واحد اشتغلت معاه.. أُستشهد في مأمورية بالجبل الأخضر.. الله يرحمه، كان ظابط محترم.

شارك وليد في مأموريات كثيرة منذ التحاقه بالقطاع، أنقذه القدر في أكثر من مهمة، وأثبت كفاءة ورجولة وقدرة على التحمل في عمليات وحملات مختلفة، وكما يقال: «رأى الموت بعينيه».

في صباح اليوم التالي، قام وليد بعد طابور الصباح بالتفتيش على الفصيلة الثالثة بداية من شدة السرير، النظافة الشخصية «حلاقة الذقن والشعر»، الالتزام بالملبس، حتى نظافة البيادة.. استغرب إسلام من اهتمام وليد بأدق التفاصيل، وقد أسفر هذا التفتيش عن توجيهات طفيفة.. في هذا اليوم استمرت تدريبات اللياقة والضاحية لمدة ساعة تلاها تمرينات السويدي، العقلة والضغط، ثم بدأ وليد في تنفيذ أفضل وأحب تدريب إليه؛ الفنون القتالية.. أعجب إسلام بأداء العساكر في تدريب الاشتباك، وبعد انتهاء التمارين الجماعية تابع إسلام مبهورا العساكر وهي تتنافس في جولات عديدة، ووليد يحكم بينهم وكأنهم في بطولة جمهورية.. أحس إسلام بقدراته في تلك التدريبات وقام دون مراجعة وليد بالبدء في تدريب مجموعته على فنون الكاراتيه، الاشتباك بالأيدي والدفاع عن النفس

بمهارة شديدة، واستطاع أن يحوز على اهتمامهم وترغيبهم في تعلم تلك الفنون بحماس شديد.. ومن على مسافة بعيدة، تجول اللواء عبد الحميد وسط المجموعات متابعا الطوابير والبرنامج اليومي إلى أن اقترب من سرية الدعم، وأشار لوليد بالاستمرار وعدم التوقف لتحية القائد، ثم وقف يشاهد التنافس بينهم باعتزاز وفخر. دقائق وألقى عليهم التحية وغادر إلى مكتبه راضيا عن أداء قواته.

في نهاية التدريب قام وليد بتربيت كتف إسلام دون تعقيب وكأنه يقول له: «عفارم عليك»، ثم ذهب إلى مكتب القائد الذي كان يعتمد بعض الأوراق.. استأذن في الدخول فأشار له اللواء عبد الحميد بالجلوس سائلا:

- خير يا وليد؟

أراد وليد أخذ موافقته بالسماح للسرية بالذهاب في أحد أتوبيسات الحملة إلى بني سويف؛ لحضور حفل زفاف العريف ناجي أحد رجال مجموعة الأشاوس.. لم يتردد اللواء عبد الحميد بالرغم من المسئولية سائلا:

- هو إمتى الفرح؟

- يوم الجمعة يا فندم.

- طيب كلم الحملة والعلاقات وخليهم يرتبوا كل حاجة.

ثم عاد وسأل وليد ساخرا:

- مين هيدفع تمن السولار؟

- ربنا يدبرها يا فندم.

وضع عبد الحميد يده في جيبه وأخرج مبلغ ثلاثمئة جنيه، أعطاه لوليد قائلا:

- اتـوا أكيد بتلموا فلوس، دُول معاهم، بس مش عايز حد يعرف انا دفعت أد إيه.

شكر وليد سيادة اللواء على كرمه واعدا بتنفيذ ما طلبه. أثار هذا الموقف اندهاش وليد الذي حدّث نفسه سائلا: «كيف يكون سخيًا مع ناجي، وحريصًا كل الحرص مع يحيى؟!»..

***

في إحدى قرى محافظة بني سويف استعد الجميع للاحتفال بزواج ناجي الغمراوي، أقيم السرادق على مشارف القرية، ارتفعت الأعلام والزينات، أضيئت المصابيح وأعدت الموائد.. ناجي، الأخ الأصغر في عائلة عريقة وثرية من عائلات الصعيد، عقد قرانه على ابنة عمه فاتن التي أحبته بإخلاص منذ أيام الصبا.. تحمس والدها لزواج ابنته من ناجي لسمعته الحسنة، وطيبته وحسن أخلاقه.. رفض كل من تقدم للزواج من ابنته الجميلة معلنا للجميع في القرية أن ناجي هو ابنه وزوج ابنته..

تجمع زملاء ناجي بعد غروب الشمس وهم في منتهى الفرح والحماس متجهين إلى بني سويف، وعندما وصل الرجال في أتوبيس الشرطة إلى مقر الاحتفال رفع ناجي يده عاليا، صارخا بأعلى صوته:

- الباشا وصل.

انهالت الأعيرة النارية في سـماء القريـة، ذخيرة حية تطايرت من جميع الاتجاهـات.. رفع وليد يده ووضعها على رأسه فـي أدب وتواضُع؛ تحيةً لمئات المدعوِّين الذين حضروا للمباركة والاحتفال..

انحنى ناجي على أحد إخوته قائلا:

- وجِّف الحشيش والبيرة بسرعة..

وقد انتشـرت زجاجات الستلا في أيـدي الرجـال، أما الدخـان فملأ السـرادق من عشرات الشِّيَش، وكذلك رائحة الحشيش التي فاحت من جميع الأركان..

أشار أخو ناجي لأحد الرجال آمرا:

- وجِّف الشغل.

- الناس هتزعل.

- اسمع اللي بَيجولَّك عليه.

وعندما رأى ناجي قائده من بعيد ابتسم ابتسـامته المعهـودة في فخر وسـعادة لا يوصفان.. تحرك وتخطى الجموع بصعوبة إلى أن حضن وليد في مشهد أخوي مؤثر.. توالت التحية من ضبـاط وزملاء القطاع للعريس الذي صعد أخيرًا على المسـرح وفي يده وليـد، وقد وضح بالفعل في هذه الليلة مدى حب الجميع لناجي.

لم تتوقف طلقات النيـران، وعندما حاول ناجي تبرير الموقف قاطعه وليد متفهما:

- خليهم براحتهم.

استمر الاحتفال وسط أجواء مبهجة، امتزجت أصوات الرصاص بنغمات الموسيقى، مواويل المغني الشعبي، آهات الحضور، كلمات الغناء والمديح، وزغاريد النساء التي تعالت من داخل المنزل القريب من السرادق..

وعلى أنغام الموسيقى ألقى محيي الحفل كلمات الترحاب والمديح للنقيب وليد الذي رد التحية برفع يده مرة على جبينه، وتارة أخرى واضعًا إياها على صدره..

وسط هذه الأحداث الجميلة انحنى مغازي على وليد قائلا:

- يا باشا لازم تاخد الميكرفون وتحيي بكلمتين وعيارين من السلاح الميري..

لم يرد وليد ولكنه نظر إليه وهو يفكر في هذا المأزق إلى أن أمسك مغازي الميكرفون من يد محيي الحفلة قائلا:

- سمع هسس..

كررها ثلاث مرات إلى أن توقفت الموسيقى وصمت الجميع ثم أضاف قائلا:

- الباشا الكبير، وليد باشا هيحيي عريسنا واخونا ناجي..

أعطى مغازي الميكرفون لوليد الذي أصابه الذهول من هول هذه المفاجأة غير المتوقعة.. وقف من مجلسه والكل في حالة ترقب.. تحرك

بنات والميكرفون في يده.. استعار بعض كلمات المغني الشعبي وأضاف كلمات أخرى من قلبه:

- أخويا ناجي.. راجل الداخلية، أجدع وأرجل عريف فيكي يا بلد.. عريسنا منورنا ومشرفنا.. مليون تحية ليه ولرجالة بني سويف كلها!!

اكتسب وليد مزيدًا من الثقة، أخرج سلاحه الميري من جنبه، مشى خطوات، اقترب من ناجي، أمسك يده، رفعها عاليا ثم بدأ في إطلاق الرصاص واحدة تلو الأخرى، وسط صيحات وتصفيق، وتهليل الحضور.

تحرك مغازي مسرعا، وأمسك فوارغ الرصاص، ثم وجه حديثه إلى ناجي قائلا:

- كبيرة ديه أوي يا وله.

في واقع الأمر، لم يتوقع ناجي هذا الموقف، فهو يعي جيدا مدى التزام وليد، ومعنى وقيمة استخدامه لسلاحه الميري في فرح..

وفي السرادق انتشرت طاولات كبيرة وكثيرة، الأرز حول الذبائح من عجول وخرفان وماعز، ومن حولها أطباق كثيرة من السلطات وأخرى من الفاكهة.. اهتم والد ناجي وإخوته بضيافة وليد ورجاله، وحرصوا على تحيتهم، والاحتفاء بهم، والجلوس معهم إلى أن بدأ الأقارب والأصدقاء في «تنقيط» العريس، وناجي يملأ جلبابه بألوف الجنيهات.. منذ شهر

وبتعليمات من وليد أشرف الصول شاكر على جمع مبلغ من المال لناجي.. أعطى وليد الظرف للعريس الذي أخذه وهو ينظر إلى الجميع في شكر وامتنان، وبعد مرور ساعة ونصف اقترب وليد من ناجي قائلا:

- هانتكل احنا على الله.

- ليه بس يا باشا؟

- عايز اسيب الرجاله على راحتها.

بالفعل استشعر وليد أن وجوده قيّد حرية المدعوّين، وفي نفس الوقت أراد الالتزام بميعاد العودة الذي حدده مع قائد القطاع.. تحرك أتوبيس الشرطة بصعوبة، بعد أن التف حوله الرجال، والشباب والأطفال في توديع وليد ورجاله.. وفي آخر مشهد، حاول ناجي تقبيل رأس وليد، الذي تفادى هذا الموقف بإصرار.. وللمرة الأخيرة ارتفعت البنادق والرشاشات، وأطلقت الأعيرة في توديع الرجال إلى أن اختفى الأتوبيس عن الأنظار.. كم كانت ليلة جميلة، ليلة مصرية أصيلة!

***

اعتاد الأصدقاء الأربعة مشاهدة مباريات أقطاب الكرة المصرية الأهلي، والزمالك، والإسماعيلي معًا..

إسماعيل قطب، صديق الطفولة، يسكن في الدور الخامس في نفس البناية على ضفاف النيل، طيب بشكل لافت، مما جعله صيدًا سهلا لمن حوله، طويل، ممتلئ وصاحب وجه طفولي ببشرة بيضاء، تخرج في كلية

سياحة وفنادق بصعوبة، أثناء الدراسة تدرب في فندق خمسة نجوم، وبعد تخرجه نجح والده المستشار من خلال علاقاته في تعيينه في نفس الفندق..
وهو أهلاوي صميم.

أما عمرو «باهو» فهو أصغر الأصدقاء الأربعة، مشهور «بمقالبه» الصبيانية مع أصدقائه، نحيف، طويل و«أشول»، عيناه سوداوان ضيقتان، تختفيان خلف النظارة الطبية، شعره أسود، طويل ومجعد ودائما غير مهندم، يعاني من انحناء بسيط في كتفيه بسبب جلساته الطويلة أمام الكمبيوتر.. تخرج عمرو في جامعة خاصة قسم «علوم وتكنولوجيا».

وفي شارع سوريا بالمهندسين افتتح عمرو شركة خاصة، وفي وقت قصير أصبح لديه قائمة طويلة من العملاء. إمكانياته الفنية في استخدام التكنولوجيا تعدت الحدود الطبيعية حتى أنه احترف برامج «الهاكينج»، واستطاع اختراق مواقع مهمة في مصر والخارج.. اعترض وليد على ذلك مرارًا وتكرارًا بدون فائدة، والإجابة واحدة:

- أنا ما بعملش حاجه غلط، أنا بس بحب اعرف الناس بتعمل إيه، معلومات مش أكتر.

أما عن انتمائه الرياضي فهو أهلاوي اسما فقط، لا يهتم بالمباريات أو التابع ولكنه يستمتع بالسخرية من وليد وهاني وفريق الزمالك في كبواته المستمرة..

هاني عزيز، أعز أصدقاء وليد منذ الطفولة.. كان ومازال يسكن مع أهله في الطابق الثالث.. قصير ونحيف، صاحب بشرة بيضاء، شعره بني وعيناه عسليتان، يرتدي نظارة طبية منذ أيام الصبا.. يعشق رياضة كرة السلة،

وبالرغم من قصر قامته فإنه يتابع بطولة دوري المحترفين لكرة السلة في أمريكا، ويشجع فريق الـ«LA Lakers» باهتمام شديد.. هاني مدخن ولكنه ملتزم بالتدخين خارج المنزل فقط، احتراما لوالده ووالدته.. تخرج في كلية هندسة، جامعة القاهرة، ثم انضم إلى شركة عقارية لبناء منتجع سكني عملاق في طريق القاهرة / الإسكندرية الصحراوي..

في هذه السنة تسلَّم الزمالك زمام الدوري بعد أن تسيَّد الأهلي القمة على مدار سنوات عديدة.. تقابل الأصدقاء الأربعة في شقة عمرو بشارع مصدق.. استغل عمرو المكان حتى إتمام الزواج من خطيبته نور.. في غرفة المعيشة وضع شاشة تلفزيون أربعة وثلاثين بوصة مع منضدة وحولها عدد من الكراسي البلاستيك، وفي أحد الأركان ثلاجة صغيرة مليئة بزجاجات المياه، والعصائر، والمشروبات الغازية.. وفي مساء يوم جمعة جلس الأصدقاء الأربعة أمام الشاشة في انتظار صفارة الحكم.. لقاء الزمالك والإسماعيلي، نتيجة لا تقبل القسمة على اثنين؛ الزمالك يحتاج الفوز ليستمر في التربع على قمة الدوري، أما الإسماعيلي فيسعى للفوز ليؤكد تمسكه بمركز الوصيف أي «المركز الثاني».. الإسماعيلي الأهدأ والأفضل على مدار الشوط الأول، أكثر من أربع فرص مؤكدة للتهديف مقابل فرصتين للزمالك، إلى أن انتهى الشوط الأول بالتعادل بدون أهداف.. شخصية وليد تتحول مئة وثمانين درجة أثناء مباريات نادي الزمالك، تركيز شديد، توتر عصبي ملحوظ، انفعالات جسدية مضحكة، يحرك يديه وقدميه مع الهجمات الخطرة بطريقة لا إرادية.. أما هاني فيتابع المباراة بهدوئه المعتاد، ولم يتوقف إسماعيل عن النقد، مذيع داخلي منحاز للإسماعيلي بدون أي تمييز، وأخيرا عمرو الذي تفنن في سرد عباراته وأفكاره الغريبة قائلا:

- لازم الزمالك يحط علامة الإسعاف وسط الخطين الحمر.. هما بيفكروا يغيروا اسمه ويسموه نادي السكر يا نادي الضغط.. آخر خبر، هدوا المبنى الاجتماعي في نادي الزمالك وهايبنوا مكانه مستشفى، يعني مش كفاية انك ظابط وكمان زملكاوي! لعلمك يا اسماعيل اللي بيحصل في الزمالك ده سياسة دولة.. البلد دي عمرها ما هاينصلح حالها!!

وخلال الشوط الثاني استمر عمرو في تعليقاته المستفزة وإسماعيل يجاريه ضاحكا بصوت مرتفع، إلى أن هدد وليد الجميع بالنزول من المنزل.. لقد فعلها من قبل خلال إحدى مباريات القمة بين الأهلي والزمالك، والتي أقسم من بعدها ألا يشاهد أي مباراة للفريقين مع أصدقائه.. اقتربت المباراة من النهاية ومازال التعادل هو سيد الموقف، حالة تركيز شديد مع الدقائق الأخيرة، حتى أن وليد لم يتنبه إلى رنين هاتفه المحمول..

قرأ عمرو على الشاشة «الدكتورة»..

- الحكومة يا باشا.

لم يتنبه وليد لما قاله عمرو الذي أجاب على المكالمة قائلا:

- مساء الخير يا دكتورة، أنا عمرو.
- أخبارك وأخبار نور إيه؟
- بخير الحمد لله.. نور تمام.
- وليد فين؟

- نزل من ساعة ونسي موبايله عندي.

أدار وليد وجهه تجاه عمرو وسأله:

- إنت بتكلم مين؟!

- نور..

- طيب بتكلمها من موبايلي ليه؟!

أعطى عمرو الهاتف لصديقه الذي أجاب معترضا على توقيت المكالمة؛ لأن المباراة في آخر خمس دقائق، قائلا بثقة:

- أيوه يا مها.

علق عمرو على رد فعل وليد ساخرا:

- صياعة ظباط!

وقبل أن يسأل وليد زوجته عن سبب المكالمة سجل الزمالك هدفًا في وقت قاتل، فقفز هاني مهللا، وصرخ وليد فرحا قائلا لزوجته:

- وشك حلو.. وشك حلو.. هو ده الكلام.

أنهى وليد المكالمة مع مها وبدأ في الرقص بمنتصف الغرفة إلى أن انضم إليه هاني.. التزم عمرو الصمت، وانتابت إسماعيل حالة من الذهول نادبا الحظ، وموجها الاتهامات الافترائية:

- يا عم الإسماعيلي بايع الماتش من الأول، واضحة جدا.

أجاب هاني ساخرا:

- يلا كمل، والحكم قابض.

أضاف وليد ضاحكا:

- ومتمشي كمان.

بعد وصلة من الاحتفال والعراك، بدأ الجزء الثاني من السهرة، أمسك هاني الكوتشينة.. شهور «استيميشن» وشهور أخرى «چاك».. تفوق عمرو باستمرار، وتنافس وليد وهاني على المركزين الثاني والثالث، أما إسماعيل فدائما في المركز الأخير، وإن كان على رأي عمرو:

- سمعه بيحب الكوز، ماحدش ياخده منه.

في نهاية السهرة عاد الأصدقاء الأربعة للوقوف أمام منزلهم على ضفاف النيل بالروضة.. وقفوا معًا لبضع دقائق، إلى أن استأذن هاني وعمرو لالتزامهم بمواعيد عمل في الصباح الباكر.. أراد وليد الانصراف أيضا ولكن إسماعيل طلب منه الانتظار معه حتى الانتهاء من تدخين سيجارته.. إلا أنه أشعل سيجارة أخرى فسأله وليد:

- إنت لسه هاتشرب سيجارة تانية؟!

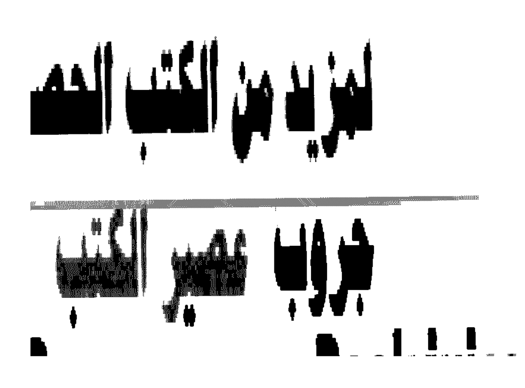
أخذ إسماعيل نفسًا عميقًا من السيجارة ثم فاجأ وليد بخبر مهم:

- أنا قلت لبابا وماما امبارح على حنان.

اندهش وليد من الخبر وقال سائلًا:

- قولتلهم إيه؟

- كل حاجة.



- وبعدين؟

- أبويا قالي سيبني أفكر، بس كان واضح انه مش مبسوط.

- وأمك؟!

- ما قالتش ولا كلمة، بس وشها ألب.

إسماعيل وحنان.. قصة حب وارتباط منذ ثلاث سنوات.. عملت حن[illegible] مضيفة في أحد مطاعم الفندق الذي يعمل به إسماعيل، تقابلا وتبادلا الإعجاب.. وفي العام الماضي، ومن خلال علاقاته نجح إسماعيل في إيجاد وظيفة جديدة لها في شركة مصر الطيران، وبعد حصولها على دورات خاصة انضمت إلى قسم حجز تذاكر السفر، راتب أقل، لكن بالطبع عمل أفضل مهنيا.. كان إسماعيل واثقا من اعتراض أهله عليها؛ فالفارق الاجتماعي بين العائلتين واضح.. وعدها إسماعيل بإقناع أهله ولكنه يحتاج إلى اختيار الوقت المناسب.. وثقت فيه حنان وانتظرت بدون إلحاح..

استمر الحديث بين الصديقين لأكثر من نصف ساعة، مناقشة تطرقا فيه لكل الاحتمالات، حتى طلب منه وليد التحلي بالهدوء والصبر للوصول إلى النتيجة التي يتمناها، وفي نهاية الحديث حاول طمأنته قائلا:

- اللي فيه الخير يقدمه ربنا.

عاد وليد إلى منزله، حيّا زوجته ثم جلس في مكانه المفضل في غرفة المعيشة، مشغول البال بصديقه إسماعيل.. لاحظت مها وجومه فسألته:

- مالك يا وليد، فيه حاجه؟

- لأ مفيش.

ثم سألها باهتمام:

- هو معادنا بكره مع الدكتور إمتى؟

- الساعة 8، بس انا عرفت ان المركز على طول زحمة فياريت نروح بدري شوية.

- نروح وقت ما انتي عاوزه.

- كده بقى من حقك تتعشى أي حاجه تقول عليها.

رن هاتف وليد قبل أن يستغل هذه الفرصة، فنظر في الشاشة قائلا:

- ده يحيى ابن اللوا عبد الحميد..

بعد التحية، أبلغه يحيى بإرساله السيرة الذاتية على بريده الإلكتروني كما اتفقا معًا، ثم كرر كلمات الشكر لوليد الذي أنهى المكالمة ووضع الهاتف جانبا وهو شارد الفكر محدثا نفسه: «أنا مش عارف اللي انا عملته مع يحيى ده صح ولا غلط؟!»

***



أيقظ شـريف صديقه معتز يوم الجمعة السـاعة العاشرة صباحا للذهاب معًا إلى «جريكو» المعادي..

أعلن معتز اعتراضه قائلا:

- يا عم حرام عليك، إحنا راجعين امبارح 4 الصبح، وشـاربين قزازة كاملة..

تطابقـت معلومـات معتز والواقع.. فـي أحد أركان «جريكو» جلسـت بيري ومجموعة من الأصدقاء.. بالرغم من ازدحام المكان إلا أن شـريف لمحها بعد ثوانٍ من دخولهما.. لم يعلن الخبر لصديقه خوفا من رد فعله.. انتظر قليلا، وعند «الكاشير»، قال لمعتز بصوت منخفض:

- بيري هنا، وما تبصش بغباء.. قاعدة على اليمين هي وبنتين..

- ازاي ما شوفتهاش، مع إني بصيت كويس.

- يا ابني أنا قعدت 4 سنين في الكلية علشان اتعلم ابص ازاي.. دقيقة وهارجعلك..

- رايح فين؟

لـم يجب شـريف بل خـرج وعاد بعـد دقائـق فوجد صديقه مـ[illegible]
انتظار الكابتشـينو.. انتبه شـريف لوجود علامات ممنـوع التدخين ر[illegible]
مكان فقال لصـديقه:

- مافيش تدخين جوه.. لازم نقعد بره.

لـم يكـن هذا هـو السـبب الحقيقـي وراء طلب شـريف للجلـو[illegible]
الخارج، إنما أراد أن يكون قريبا من الطريق وقت خروج بيري..

التقـت أعين بيـري ومعتز أثناء خـروج الصـديقين من المـكان.. تـ[illegible]
معتز بين الطاولات حتى وقف أمام بيري التي قالت له:

- سنة ماشوفكش، وبعدين اشوفلك مرتين في أسبوع واحد!

وبعـد حديث قصير عاد معتز إلى صديقه الذي جلس في الهواء الطـ[illegible]
مستمتعا بمشاهدة رواد المكان إلى أن قال معقبا:

- إيه يا عم المكان ده، دي حنفية حريم.

- هو على طول كده.

استمر الصديقان في حديثهما، يتابعان ما يدور حولهما، إلى أن خرجـ[illegible]
بيري ورنا وشـيرين من داخل المكان.. تابع الصديقان بيري وشيرين و[illegible]
تعبـران الطريق لـسيارة بيري، أما رنـا فانطلقت في الاتجـاه المعاكس [illegible]
سيارتها الجولف الحمراء. كانت بيري تستعد لدخول السـيارة، والصديـ[illegible]
يتابعان إلى أن قالـت لصـديقتها وهي تشـير إلى الإطار الأمامي شمال:

- مش معقولة.. دي تاني مرة في نفس الأسـبوع ألاقي الكاوتش نايـ[illegible]

وقفت بيري حائرة تبحث بنظراتها عمّن يساعدها، إلى أن قال شريف
لصديقه من الرصيف الآخر:

- واضح ان عندهم مشكلة في العربية، روح كده شوف فيه إيه؟

عبر معتز الطريق مسرعا سائلا:

- فيه حاجة في العربية؟

تحرك معتز بهمة ونشاط، وخلفه شريف الذي تطوع بشهامة في تبديل الإطار، أما بيري فوقفت تتابع في قمة الامتنان وهي مستمرة في الاعتذار والشكر:

- أنا مش عارفة اقولكم إيه..

وأثناء تنفيذ المهمة لاحظت شيرين الطبنجة في جانب شريف، انحنت على صديقتها وهي تهمس:

- ده ظابط.

لم تلتفت بيري لتعليق شيرين، إنما وجهت حديثها إلى الصديقين قائلة:

- أنا مكسوفة منكم جدا، مش عارفة اعمل إيه؟!

أجاب معتز بنبرة حميمة:

- تعزمينا على كابتشينو المرة الجاية..

- موافقة، اتفقنا، المرة الجاية الكابتشينو عليا..

انتهى الشـابان من تغيير الإطار بدون أن ينطق شـريف بكلمة واحدة
هز رأسـه بابتسـامة هادئة، نظر إلى يديه وعبر الطريق ليغسلهما في الكو
شوب، وخلفه معتز اللذي سأله في حيرة:

- إنت اللي نيمت الكاوتش، صح؟

- أكيـد طبعـا، بس انا لـو كنـت قولتلك ماكنتـش هتصـرف طبيعي
ولعلمك أحسن حاجة كمان انك معرفتناش على بعض.

خطة تم وضعها بذكاء، ونجحت باقتدار..

***

أسـبوع واحد، وكان شريف، ومعتز، وبيري وشـيرين يجلسـون معًا في
«جريكـو»، أما رنا فكانت مريضة بمنزلهـا.. حاولت بيري الالتزام بكلمتها
في دعوة الكابتشـينو، لكن معتز رفض بل أصر أيضا على دعوتهم جميعًا
فـي هـذا اللقـاء تحدث معتـز بطلاقة بعـد أن تقمص شـريف دور الشاب
الصامت.. سـأل بيري عن الدراسـة وأحوال الجامعة، ثم سـأل شيرين عن
تخصصها في دراستها، فأجابت مبتسمة:

- أنا مش في الـ«AUC»، أنا في طب أسنان..

- طـب أسنان؟! أنا فاكرك من الجامعة..

- أنـا وشـيرين مـع بعض في الفصـل من أولـى إعدادي، ومـن واحنا
صغيرين وهي عايزة تطلع دكتورة أسنان..

- اشـمعنى دكتورة أسنان؟

أجابت بيري بالنيابة عنها ضاحكة:

- علشان تعذب الناس.

ثم نظرت إلى شريف، وفاجأته سائلة:

- إنت مبتكلمش ليه؟

ارتبك شريف لحظة ثم أجاب بهدوء:

- لا ولا حاجة.. أصلي بحب اسمع.

وبعد أن توجه الحديث إلى شريف سألته شيرين:

- وانت بقى بتشتغل إيه؟

علق معتز ضاحكا:

- إنتي إشتغلي إيه؟! سواقة.

ابتسم شريف ثم قال بهدوء:

- أنا ظابط..

- ومالك بتقولها وانت متضايق كده.

- علشان طلعت شغلانه متعبة أوي.

- ظابط فين؟!

- أنا ظابط في مباحث أسوان..

عقبت بيري:

- أسوان، جميلة أسوان، بس بعيدة.

لم يعطه معتز فرصة للإجابة فقال:

- ده باشا، بيروح بالطيارة وبيرجع بالطيارة.. ساعة.

ثم دار حديث بين الصديقين.. وبيري وشيرين تستمعان باهتمام:

- إنت فاضلك أد إيه وتبقى في مصر؟

- أقل من سنة، بس بفكر أقعد شوية كمان.

- ليك حق، ما انت الباشا بتاع أسوان.

ابتسم شريف بتواضع:

- أنا طبعا مبسوط هناك، بس انت فاهم، الشغل هنا محتاجني وبصراحة العربيات وحشتني.

- لعلمك انت كان لازم تشتغل في العربيات وبس.

توقفت بيري عند الجملة الأخيرة، فسألت شريف باهتمام:

- إنت بتفهم في العربيات؟!

- هو مش بيفهم بس، ده بيعشق العربيات، واحنا صغيرين في المدرسة كان بييجي كل يوم وجيبه مليان عربيات ماتش بوكس.

- طيب انا عايزة اغير عربيتي ومش عارفة اجيب إيه؟

إعلان بيري عن رغبتها في شراء سيارة جديدة كان المفتاح اللذهبي لشريف.. والدها وعدها بسيارة جديدة هدية عيد ميلادها الحالي

والمشترين.. مر أكثر من شـهر ولم تأخـذ بيري أي خطوة فـي البحث عن الموديلات الحديثة..

وقد كان، بدأ التواصل والمكالمات من أسوان للقاهرة؛ بيري تسـأل وشريف يشرح ويجيب بمنتهى الصبر والاحتراف إلى أن قالت له:

- إنت حكيتلي على كل العربيات، بس عمرك ما قولتلي انت رأيك اجيب إيه؟!

- إنتي في البيت؟!

- آه في البيت، ليه؟!

أخذ شريف عنوان منزلها على أن يرسل إليها سيارة.. حاولت أن تعرف الماركة والموديل إلا أنـه رفض وطلب منهـا الانتظار حتى ترى السـيارة أمامها.. أنهى شريف المكالمة واتصل بالحاج عباس صديق والده.

الحاج عباس، صاحب معرض شـهير بالمهندسين، طويـل، عريض، بدين ويرتدي خاتمَ ألماس في إصبعه الخنصر ليده اليمنى.. سـمعته تحوم حولها بعض الشـبهات، ولذلك تحفظ الحاج بيومي والد شـريف في تعاملاته معه.. وفي نفس الوقت التزم عباس مع شـريف فـي بيع أكثر من سيارة بأسعار تجارية ممتازة.. اسـتمر التعامل بينهما بغض النظر عمّا قاله الحاج بيومي لابنه عن هذا التاجر..

حياه بحرارة ثم سأله بلغة التجار:

- إيه العَجَل اللي واقف عندك يا حاج؟

في خلال أسبوع شراء السيارة توطدت العلاقة بين شريف ويري، أسلوبه، لباقته، أناقته، واهتمامه الشديد بها جعل مشاعرها تتحرك نحو دون أن تشعر.. احترمت تواضعه في تعاملاته مع من حوله، أكثر من موقف وتصرف نبيل جعلها تهتم به، بل وتتطلع إلى معرفة المزيد عنه..

في الطريق إلى معرض الحاج عباس لفت انتباه أحد أمناء الشرطة عدم وجود لوحات معدنية على السيارة المرسيدس الـ"300" التي يقودها شريف.. اقترب الأمين منهما، وسأل عن الرخص بعجرفة، فأجاب شريف بصوت هادئ:

- زمايل..

- طيب نتعرف..

أخرج الضابط كارنيه الشرطة من محفظته، ثم أعطاه للأمين بمنتهى الهدوء..

في لحظة تحولت شخصية الأمين الذي بدأ في سرد الألقاب:

- سعادة الباشا، شريف بيه، منور الدنيا، آسف سعادتك.. اتفضل يا باشا..

أخذ شريف الكارنيه وأجاب مداعبا:

- طيب أتعرف انا كمان.

- خميس عبد السميع سعادتك.

- شكرا يا خميس.

بعد هذا الموقف بدقائق وقف شريف بالسيارة أمام معرض الحاج عباس، جرى جابر إلى الداخل وأبلغ الحاج الذي ارتفع صوته في وسط المعرض قائلا:

- شريف باشا، اتفضل يا غالي يا ابن الغالي.. اتفضلي يا أستاذة.. أهلا وسهلا.

- إزيك يا حاج عباس..

ثم قال لبيري بصوت منخفض:

- هو دوشة أوي، بس انا بحبه علشان جدع ودمه خفيف..

دخل شريف ومعه بيري إلى صالة العرض، وقبل الجلوس مع الحاج عباس في مكتبه، قفزت بيري في سيارتها الجديدة، جلست على كرسي القائد، وشريف على الكرسي الآخر يشرح الكماليات وطرق استخدامها باحتراف، وهي تسمع باهتمام وتركيز، إلى أن أشار الحاج عباس إلى سيارة مرسيدس جديدة قائلا:

- دي بقى عربية السنيورة.

ابتسم شريف سائلا:

- مين السنيورة يا حاج؟

- حد مايعرفش السنيورة؟ ليلى علوي، ما هي ما بتركبش غير من هنا..

استمر عباس في تعليقاته الساخرة إلى أن جلسوا في مكتبه.. تابعت بيري تصرفاته في صمت وترقب، تكاد نظراتها تنطق قائلة: «ما هذا الكائن الغريب؟!»..

أجاب عباس على مكالمات هاتفية مختلفة، فشلت بيري في فهم واستيعاب مضمون الحديث في معظمها، ولكنها ضحكت من قلبها عندما قال لإحدى العميلات:

- يا هانم انتي تحلمي، واحنا نبعت العربية لحد السرير..

- مش قلتلك دمه خفيف.. هو على طول كده.

- إنت تعرف الراجل ده منين؟

- أنا أعرف نص تجار العربيات في مصر، بس الحاج عباس أجدعهم..

فتحت بيري الشنطة، أخرجت شيكًا لحامله بإجمالي المبلغ وأعطته لشريف الذي نظر فيه بتمعن ثم وضعه أمام عباس قائلا بثقة:

- عندي.

هز الحاج رأسه موافقا..

سألت بيري في حيرة:

- يعني إيه عندي؟

وقبل أن يجيب شريف ارتفع صوت الحاج عباس قائلا:

- إحنا يا هانم خدامين السيادة.. هاتصل بيكي بكرة الصبح إن شاء الله واللي فيه الخير يقدمه ربنا..

انهى عباس المكالمة ثم قال ساخرا:

- دي هيام، يظهر انها عرفت ان السنيورة اشترت عربية جديدة، وراسها وألف سيف تستلم قبليها.

كانت بيري تتمنى أن تسأل: «من هي هيام التي يتحدث عنها الحاج عباس؟» ولكنها تراجعت. دفع شريف بسخاء إكرامية السيارة الجديدة، ثم طلب من جابر قيادة السيارة إلى منزل بيري بالمعادي، بينما وقفت بيري تابع في حرج شديد.. انتهت جميع إجراءات التسليم دون أن تتوقف كلمات المديح من عباس الذي ودعهم على باب المعرض قائلا:

- ممكن نبقى نقول ان سعادتك واخده العربية من عندنا؟! ده شرف لينا طبعا..

ابتسمت بيري فأجاب شريف بالنيابة عنها قائلا:

- قول كل اللي انت عايزه يا حاج.

لم تستطع بيري الصمود أمام تعليقات الحاج عباس فقالت لشريف بصوت خافت:

- الراجل ده غريب أوي، أنا مش عارفة بيجيب الكلام ده منين؟!

استقلت بيري سيارة شريف مرة أخرى، ثم سألته:

- هو احنا هانروح المرور إمتى؟

- أي وقت تحبيه..

- أنا هاخلص جامعة بكره الساعة 1، ينفع نروح بعد كده؟ ممكن أقولك حاجة ومتريأش عليا؟

أجاب شريف بثقة:

- عمرك ما روحتي المرور قبل كده..

- إيه ده؟ عرفت منين؟!

- ما هما بيقولوا عليا ظابط شاطر.. وبعدين انا كمان اخواتي البنات عمرهم ما راحوا المرور.

ثم فاجأها شريف قائلا:

- ممكن بقى تعزميني على الغدا بمناسبة العربية الجديدة؟!

- طبعا ممكن.. تحب اعزمك فين؟!

- مش انتي اللي هاتعزميني، يبقى انتي اللي تختاري المكان..

رفض شريف دعوة بيري بالرغم من أنه صاحب الاقتراح.. جلسا معا في مطعم «Mermaid» المعادي لأكثر من ساعتين. حديث شيق تطرقا فيه للمرة الأولى لتفاصيل كثيرة عن حياتهما الشخصية.. تحدثت بيري عن أختها باكينام التي اشتاقت إليها كثيرا بعد سفرها مؤخرا هي وزوجها إلى نيويورك.. ثم تحدث شريف عن أخواته البنات وقوة علاقته بالأخت الكبرى حبيبة، إلى أن تعمق فجأة سائلا عن علاقاتها الشخصية، فأجابت بيري في ثقة:

- أنا مفيش حد في حياتي.
- يعني عمرك ما صاحبتي يا بيريهان؟

أجابت بيري ضاحكة:

- إنت عارف ان ماحدش بيقولي يا بيريهان خالص غيرك؟! كل الناس بتقولي يا بيري.
- هو بيري أسهل، بس بيريهان أجمل.

تحدثت بيري عن علاقة الارتباط الوحيدة في حياتها، وهي في السادسة عشر من عمرها مع طالب في ثانوية عامة بنفس المدرسة.. استمع شريف للاسم فقاطعها ساخرا:

- مبدئيا الموضوع من أوله غلط.. فيه حد في الدنيا يصاحب واحد اسمه تامر؟!

بعد شهر واحد من بداية العلاقة، اكتشفت بيري من خلال أحد أصدقاء تامر، أنه مرتبط بفتاة أمريكية بمدرسة أخرى.. في نفس اليوم واجهت بيري تامر الذي وقف أمامها في حالة ذهول. أنهت اتهامها له بالخيانة ثم رحلت بعد أن فشل في الدفاع عن نفسه.. وعلى مدار شهور، حاول تامر محاولات عديدة لمعرفة الشخص الذي وَشَى به، لكنه فشل ويئس.. وعدت بيري صديقه بعدم الإفصاح عن مصدر المعلومة وقد التزمت بذلك..

كان شريف كرجل شرقي سعيدا بهذه الأخبار السارة، إحساسه بأنه الرجل الأول في حياتها أعطاه حافزًا قويًا للحفاظ عليها، بجانب أن براءتها وقلة خبرتها بالطبع ستسهلان مهمته في الوصول إلى قلبها..

اقترح شـريف بعد الغـداء تناول «الكابتشـينو».. اشـترطت بيري دفع شـريف الذي وافق بعد إصـرارها.. وأثناء تناول القهوة اسـتمرت بيري في الحديـث عن حياتها وهي لا تعلم لماذا تقص عليه كل هذه التفاصيل، إلى أن انتبهت فجأة قائلة:

- إنت فعلا ظابط مباحث، ما بطلتش أسـئلة وانا بجاوب زي العبيطة وماعرفش أي حاجة عنك.

ضحك شريف قائلا:

- أعمـل إيـه بس، الشـغل بـوظ دماغي.. خلاص، اسـألي اللي انتِ عايزاه..

- ممم.. س سـؤال: الاسـم؟ هو مش انتوا بتعملوا كده؟

- أكيد مش بالحلاوة دي؟

ابتسـمت بيـري في خجـل، ثـم انتبهت لسـؤال أرادت بالفعـل الإجابة عنه:

- هو انت ليه علطول معاك مسدس؟

- غضـب عني.. أنا شـغلتي أحمـي الناس.. ومنظر المسـدس ممكن يمنع مصيبة.

استـغل شـريف هـذه الفرصة وسـرد قصـة خيالية عـن إنقـاذه لإحدى الفتيات من الخطف في فجر أحد الأيام بشـارع الهـرم.. أطلق رصاصتين من الطبنجة في الهـواء فلاذ المجرمـون بالفرار تاركين الفتـاة التي عادت سـليمة إلى منزلها.. وقبل أن تسـأل بيري أي سـؤال آخر، ظهرت أمامهما

نجاة رنا التي عادت منذ ساعات قليلة من شرم الشيخ.. حضنت بيري صديقتها وقبلتها بحرارة قائلة:

- وحشتيني أوي.

- وانتي كمان، بجد كان لازم تيجي معايا..

- انبسطتي؟

- جدا.. كليتون كان عنده حق لما قال ان شرم أجمل بلاد الدنيا.

تقدمت إليها شريف قائلة:

- هو ده بقى شريف اللي جابلي العربية الجديدة..

- شريف، شريف، شريف.. بقالي أسبوع ما بسمعش غير اسمك.

رنا، من مواليد أمريكا، والدها مصري، ووالدتها أمريكية.. عاشت معظم أيام حياتها ما بين مصر وأمريكا، وعندما أتمت الثامنة عشر من عمرها قررت الاستقرار في مصر، رفضت رنا الحياة في مدينة الطلبة بالزمالك وقامت باستجار شقة دور أرضي بحديقة جميلة في المعادي.. وبعد أيام من بداية الدراسة تعرفت على بيري، وفي وقت قصير تلاقت العقول حتى أصبحت من أعز الصديقات.. مر عامان على هذه العلاقة الناجحة، والتي لم يعكر صفوها أي موقف أو شخص.

بدون سبب واضح، لم يكن شريف مرتاحا لظهور رنا.. تبدلت شخصيته مرة أخرى، عاد فجأة لهدوئه، استمع بتركيز، فكر وحلل كل كلمة في صمت تام.. كان واضحا إجهاد السفر على رنا، التي قالت فجأة:

من يد شـريف في مكتب رئيس الوحدة، ثم وقَّعت على الدفتر وانصرفت وهي في قمة الامتنان.

في طريق العودة إلى المعادي قادت بيري سيارتها لأول مرة وشريف بجانبها، وخلفهم جابر في سيارة «بي إم دبليو» حديثة، استعارها شريف من معرض والده.. دقائق وتألقت بيري في قيادة سيارتها الجديدة، بل وأحست بالاطمئنان والثقة. لفت انتباهها احترام الجميع للـ 4×4.. شعور جديد لم تصادفه من قبل، إلى أن قالت ضاحكة:

- اللي هايقرب مني هاكسره!!

وأمام باب الڤيلا بالمعادي أنهى شريف اللقاء قائلا:

- تعرفي لو سمعت كلمة شكرا تاني، هاخد العربية وامشي..

أجابت بيري بابتسامة ساحرة و«بدلع»:

- طيب ينفع ميرسي؟!

تابع شريف بيري إلى أن اختفت داخل الڤيلا، ثم انطلق مع جابر بالسيارة الـ «بي إم دبليو» عائدا إلى معرض والده، أما بيري فأمسكت يد والدها بيدها اليمنى، ويد والدتها بيدها اليسرى وخرجا جميعا لمشاهدة السيارة الجديدة.. كان لدى المحفوظ علامات استفهام كثيرة! إذ لم يستطع بالرغم من علاقاته القوية الوصول إلى نفس السعر الذي اشترت به ابنته السيارة، وعندما سألها أجابت بفخر:

- السعر ده تجاري يا بابي.

علامة الاستفهام الثانية أن ابنته لم تلجأ إليه في ترخيص السيارة، وعندما رأى المحفوظ لوحات معدنية على السيارة استغرب سائلا:

- إيه ده.. إنتي كمان رخصتي العربية؟!

- طبعاً، ورخصة 3 سنين كمان.

اقترب راغب من السيارة، فازدادت علامات التعجب:

- وكمان 4 نمر؟!

فتح الأب باب السيارة وجلس في مقعد السائق وبجانبه ابنته على المقعد الآخر، أما الأم فجلست على المقعد الخلفي قائلة:

- واسعة أوي العربية من ورا..

وفجأة سأل المحفوظ ابنته:

- مين بقى اللي جابلك العربية؟

- شريف.

- ومين اللي جابلك الـ 4 نمر.

ارتبكت بيري وهي تجيب بنفس الاسم، فسألها الوالد:

- شريف مين؟!

- ده واحد صاحبنا من النادي.

- بيشتغل فين؟

- ظابط.

تنهد راغب قائلاً:

- ظابط، علشان كده.

أرادت بيري تغيير الحديث بعد أن شعرت ببعض الإحراج فسألت والدها عن رأيه في سيارتها الجديدة.. بالفعل أعجب راغب باختيارها، وهنا أخذ وهو ينظر في كل الاتجاهات، ممسكا بإطار القيادة.. ثم سأل ابنته قائلا:

- فين المفتاح؟

أعطت بيري والدها الميدالية الذهب وبها المفتاح دون أي تعليق فعقب راغب ساخرا:

- أنا طبعا مش هسأل مين اللي جاب الميدالية.

ثم نظر في مرآة السيارة إلى زوجته التي تابعت الحديث في صمت..

نزلت بيري من السيارة ومن بعدها أميرة، أما والدها فجلس مكانه لثوان يفكر في الضابط الذي ظهر فجأة في حياة ابنته.. أراد أن يسرد عشرات الأسئلة: اسمه بالكامل، عائلته، مقر عمله، سكنه، ولكنه فضل الانتظار إذ تمنى أن تحكي له عنه قبل أن يسأل هو.. تدارك الأب الموقف بذكاء استمر في مشاهدة السيارة والمديح في إمكانياتها إلى أن عاد الجميع إلى داخل الفيلا.. قبّلت بيري والدها ووالدتها بفرح ثم صعدت الدرج إلى غرفتها، أما راغب فجلس مع أميرة في غرفة المعيشة سائلا بتركيز:

- مين شريف ده يا أميرة؟!

أجابت زوجته بأنها سمعت الاسم أكثر من مرة دون أي تفاصيل ثم وعدته بمحاولة الوصول إلى بعض المعلومات لكي يطمئنا.. سكت راغب لحظات ثم تنهد قائلا:

- ظابط لأ.. مايطلع عينيها.

الفصل الخامس
5

مرت أيام الراحة العشرة بالقاهرة كَلَيْلَةٍ وضحاها، عاد وليد إلى القطاع بالمنيا، وضع حقيبته في الغرفة واتجه مباشرة إلى مكتب اللواء عبد الحميد رئيس القطاع.. حاول يحيى إقناع وليد بعدم حكي ما اتفقا عليه معًا لوالده إلا أن وليد أصر قائلا:

- الصح انه يعرف، وبعدين احنا مابنعملش حاجة غلط.

خطوات صعبة خطاها وليد لمكتب رئيس القطاع.. تأكد من عسكري مكتبه من وجود سيادة اللواء منفردا.. دخل وليد وأعطاه التحية قائلا:

- مساء الخير يا فندم..

أجاب اللواء والابتسامة على وجهه:

- حمد الله على السلامة يا وليد.. أخبارك إيه؟

- الحمد لله يا فندم.

أكمل وليد حديثه مرتبكا:

- هو فيه موضوع شخصي، لو عند حضرتك وقت.

كان اللواء عبد الحميد يتصفح إحدى الصحف المصرية، تركها من يده وأشار له بالجلوس قائلا:

- أهم حاجة ما تكلمنيش في موضوع مدبولي.. شئون الأفراد بتر جواب نقله والموضوع اتقفل.

أجاب وليد قائلا:

- مش الموضوع ده سعادتك، الحقيقة الموضوع يخص يحيى، ابن حضرتك.

- يحيى؟! ماله يحيى؟!

سرد وليد كل ما حدث بينه وبين يحيى بالتفصيل، وسيادة اللواء يستمع وعلامات الوجوم تكسو وجهه، وكأنه يقول: «كيف جرؤ وليد على تقديم مثل هذا الاقتراح إلى ابني؟!».

استمر وليد في حديثه دون أن يقاطعه عبد الحميد، إلى أن عاتب وليد نفسه قائلا:

- أنا بصراحة كان مفروض اعرف رأي حضرتك قبل ما اقوله أي اقتراح..

بخبرة الحياة عاد الهدوء إلى وجه اللواء.. اعتدل في مجلسه، ثم سأل وليد في هدوء:

- أخوك اسمه عماد، صح؟!

- أيوه يا فندم.

- عنده كام سنة؟!

- 27، أديحي تقريباً.

هز اللواء عبد الحميد رأسه وتنهد سائلا:

- لو أخوك عماد بيشتغل معاك، ترضى يسيبك ويشتغل بره؟!

حاول وليد أن يجيب بدبلوماسية قائلا:

- مش هافضّل سعادتك، بس..

في هذه اللحظة قاطعه اللواء قائلا بنبرة حادة وواضحة:

- شكرا يا سيادة النقيب.. اتفضل..

فوجئ وليد برد فعل رئيسه.. وقف في لحظة والعرق يتصبب من كل أنحاء جسده، وبصوت منكسر قال وليد قبل أن ينصرف:

- عن إذنك يا فندم.

اكتفى عبد الحميد بالنظر إليه دون أن ينطق بكلمة أخرى..

خرج وليد من مكتب سيادة اللواء وهو في غاية الارتباك، عاد إلى مقر إقامته بالقطاع، جلس في غرفته سائلا نفسه: «هل ما حدث مني يستحق أن أطرد بسببه؟!».

أثر هذا الموقف في نفسية وليد وتحركاته في القطاع لأيام.. انعزل في غرفته أمام شاشة الكمبيوتر لساعات.. تفادى بل و تمنى عدم لقاء اللواء عبد الحميد أثناء الطابور والتدريبات اليومية.. علاقته برئيسه كانت على أفضل

ما يرام، وفجأة أصبح لا يعرف كيف سيكون التعامل بينهما.. أسئلة الأسئلة تجول في عقله بدون توقف: «هل كان يحيى على صواب... اعترض على إبلاغ والده، وما رد فعل سيادة اللواء مع ابنه؟!».. والسؤال الأهم: «ما حجم تأثير ما حدث على مستقبل وليد المهني في الداخلية بصفة عامة وفي القطاع بصفة خاصة؟!» ثم عاد وطمأن نفسه: «اللواء عبد الحميد راجل محترم وهو أكيد عارف اني قدمت الرأي والمشورة بنية طيبة»..

مرت الأيام ببطء شديد على وليد دون أي مواجهة تذكر مع سيادة اللواء.. وفي نهاية الأسبوع الثالث وقبل انتهاء التدريب جاء أحد العساكر إلى وليد مهرولا، أعطاه التحية وأبلغه أن اللواء عبد الحميد يطلب الحضور فورا.. ترك وليد التدريب تحت إشراف الضابط خالد وأسرع في خطواته إلى مكتب رئيس القطاع.. تصور وليد أنه بعث إليه ليتحدث معه مرة أخرى فيما دار بينهما بخصوص يحيى.. استأذن في الدخول، ألقى التحية على اللواء الذي دخل في الحديث مباشرة قائلا:

- فيه مأمورية مخدرات شغالة من فجر امبارح في مركز الواد... قبلي، وفيها تعامل، وأكتر من واحد اتصاب.

- تعليماتك يا فندم..

في هذا التوقيت، كان رئيس الجمهورية في رحلة إلى الوادي الجديد، واستدعى ذلك تحرك كثير من الضباط والعساكر كقوة إضافية من أمن... لتأمين الزيارة.. في نفس التوقيت وصلت معلومات مؤكدة عن قيام عناصر

الدوكش بتخزين شحنة مخدرات كبيرة بمعقلها بقرية البداري، وكان لابد من التحرك سريعا قبل توزيعها على التجار..

ثم أضاف اللواء عبد الحميد:

- هتاخد مين معاك يا وليد؟!

- خالد وإسلام بمجموعاتهم يا فندم.

- راجع التسليح كويس، وزود الآر بي جي، والقنابل اليدوية، وتتحرك على طول.. العقيد ياسر من إدارة المخدرات بأسيوط مستنيكو هناك.

- أي تعليمات تانية يا فندم؟

- ابقى طمني عليكم أول بأول.

عاد وليد إلى رجاله، أعلن الخبر في كلمات قليلة فعلق الأمين نبيل قائلا:

- الدوكش من قرية نواحينا.. دي مش مأمورية يا باشا، دي هتبقى حرب.

الدوكش، عائلة تسيطر على قرية بأكملها.. بخيت الدوكش، اسم نار على علم، مسجل مخدرات وسبق اتهامه في إحدى عشرة قضية إضافة إلى ثلاث قضايا سلاح بدون ترخيص.. بخيت، أخ أكبر لسبعة رجال، منهم واحد تم القبض والحكم عليه بالسجن عشر سنوات في قضية اتجار مخدرات، ومؤخرا نجح بخيت في تهريبه بنجاح.. فشلت محاولات

استهداف رأس الأفعى أكثر من مرة، وأخيرا تمكن من الهروب من الأكمنة بسيارات الدفع الرباعي عبر الدروب والمدقات الجبلية مهمة تصفية، فاستسلام بخيت وعائلته من رابع المستحيلات..

وصلت القوات إلى أسيوط في الساعة العاشرة مساء، ومن مشارف قرية الدوكش، حصار وكوردون أمني حول المنطقة على مستوى.. مدير أمن أسيوط وعدد من القيادات على رأس قوة مكونة عدد لا يقل عن ثلاثمئة فرد من قطاع الأمن المركزي.. أربع مدرعات وسيارات الشرطة في كل مكان.

أحسن العقيد ياسر استقبال وليد ثم تحدث عن الموقف قائلا:

- عرفنا من مصادرنا إن شحنة 158 كيلو هيروين اتخزنت من يومين والدوكش ابتدا يستعد للتوزيع.. عملنا كوردون أمني حول مخارج ومداخل القرية والمناطق الجبلية.. فوقف الشغل.

- عندنا إصابات إيه؟

سرد العقيد ياسر تفاصيل المأمورية منذ بدايتها وما حدث على مدى الاثنتي عشرة ساعة المنقضية، بداية من تمشيط القصب بعدد عشرة تشكيلًا من أفراد الأمن المركزي، وأثناء الاقتراب من القرية قامت عصابة الدوكش بإطلاق وابل من الرصاص من أسلحة آلية كانت بحوزتهم، أصيب في حملة التمشيط ثلاثة عساكر، أحدهم إصابته بليغة وفي حالة خطرة..

سأله وليد عن عدد أفراد الدوكش وعصابته فرد ياسر قائلا:

- مش أقل من 50 واحد، وكل عيل عنده 12 سنة في العيلة دي في إيده سلاح.. وبيضربوا رصاص من كل حتة.

- مداخل ومخارج المكان مرفوعة؟

- قدرنا نجيب معلومات، وعليها عندنا رسم كروكي واضح.. البيت متحصن جامد ما بين خراسانات، وحفر برميلية، وسراديب بين الغرف، وخنادق، وسواتر فوق السطح، ومزاغل بالأسوار.

- عنده مصدر للكهربا غير كهربة الحكومة؟

- آه فيه مولدين كبار.

- مكانهم فين، ونفصلهم ازاي؟

استمر الحديث بين الضابطين إلى أن وصلا لموقع الأحداث حيث انتشر الأهالي حول رجال الشرطة.. تعالت الدعوات بالتوفيق في تلك المهمة الثقيلة.. أبناء القرية الأوفياء لم يوفروا جهدًا وقدموا كل المعلومات لمساعدة رجال الأمن، بعد أن سئموا جرائم وبلطجة عائلة الدوكش التي استمرت في ترويع المواطنين.. عائلة إجرامية أرعبت القلوب وفرضت السيطرة والنفوذ لسنوات عديدة..

السيوف، النسور والنجوم على الأكتاف، مشاورات، مناقشات، اتصالات وتعليمات.. وزير الداخلية يتابع التطورات باهتمام ملحوظ.. ووسط هذه الأجواء لم تتوقف أصوات طلقات النار ولو لدقيقة واحدة.. اجتمع وليد مع القادة، أنصت جيدا لكل معلومة.. كان واضحًا أنهم أمام معركة شرسة، حيث ارتفع عدد المصابين فيها إلى خمسة منهم ضابط

لهم أنه بعيد عن أكمنة الشرطة.. تعاملت معهم القوات بحزم، أمطرت السيارة بالرصاص حتى انفجرت واشتعلت بعد أمتار قليلة من تحركها. ارتفعت المعنويات، ازدادت ثقة القوات، وأصبح انهيار الدوكش وشيكا. وأخيرا وفي تمام الثانية وعشر دقائق أصدر قائد المأمورية تعليماته لوليد بالتقدم والهجوم للقبض على الدوكش وأعوانه..

انتشرت القوات، وبدأت بالزحف والاقتراب إلى الأمام.. توقف الاتصال والتنسيق باستخدام الأجهزة.. وبعد عدة دقائق من التقدم المليز بدأت معارك ضارية على مسافات قريبة من أرض الدوكش.. هاجمت وتفوقت مجموعات وليد القتالية على أشخاص ملثمين في تبادل إطلاق النار.. أثبت الرجال كفاءة وبسالة وقدرة فائقة على التركيز والتحمل.. تفوقوا على أتباع الدوكش بجدارة، أسقطوا أربعة قتلى، وأصابوا أكثر من اثني عشر، ونجحوا في التصدي لهم بدون أي خسائر في الأرواح. استمر القتال بشراسة لأكثر من ساعة، إلى أن تجاوزت القوات البيوت التي ارتفعت بها ألسنة النيران بشكل مخيف حتى أنه أرغم العديد من المجرمين على الخروج والاستسلام رافعين أيديهم إلى أعلى في مشهد سينمائي مثير، وقبيل صلاة الفجر بقليل انحصرت المعركة في منزل واحد فقط بين وليد ورجاله وبخيت الدوكش وأعوانه.

التفّ الضباط والجنود في قطر ضيق حول المنزل قبل الالتحام.. تقدموا بخطوات سريعة يشوبها الحذر الشديد.. عشرات القنابل انفجرت داخل المنزل، ومع ذلك نجح أعوان الدوكش في إصابة اثنين آخرين من رجال الشرطة.. أصيب أيضا عسكري بإصابة نفسية هيستيرية من شراسة

وعنف القتال، بخلاف من خاف وتأثر بشدة من أصوات الطلقات فعاد مسرعا إلى الصفوف الخلفية.

وعند أذان الفجر ارتفعت التكبيرات وتعالت الأدعية من الضباط والعساكر.. أعطى الأذان الثقة للرجال بالتقدم، ومع نور فجر هذا اليوم نجحت القوات في دخول المنزل والانتشار داخله.. أسقطوا أكثر من قتيل من أعوان الدوكش، واستسلم آخرون.. وفي دقائق معدودة استطاعوا السيطرة على المكان بالكامل.. وفي مواجهة أخيرة فوق سطح المنزل مع بخيت الدوكش وواحد من إخوته أصيب وليد في مفصل يده اليمنى.. تحامل على نفسه واستمر في ملاحقتهما يرافقه خالد وإسلام ومجموعاتهما.. وفجأة ووسط هذه الأحداث المثيرة اكتشف وليد أن سلاحه وخزينته فارغان تماما، ارتبك للحظات إلا أن مغازي كان خلفه، مد يده في ثقة وأعطاه سلاحه الخاص في موقف نادر لا يتكرر قائلا:

- خد يا باشا، ومتشغلش بالك بيا.

تردد وليد لحظة ثم أخذ البندقية قائلا:

- خليك في ضهري يا مغازي.

تحرك مغازي خلف وليد والضباط الذين نجحوا في تحديد مكان بخيت الدوكش.. أسند وليد ظهره على أحد الحوائط بجانب خالد الذي قال له بصوت منخفض:

- مافضلش غير واحد، متهيألي بخيت، التاني خد طلقتين وخلص.

أجهش وليد بالبكاء وهو يجيب قائلا:

- كنا في فرحه من حوالي شهر!! لا إله إلا الله..

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم انتبه الطبيب إلى إصابة وليد في يده اليمنى فقال منزعجا:

- إنت متصاب جامد!!

لم يجب وليد بكلمات، ولكنه أجاب بنظرة حزن أشد من الآ[لام التي]
أصابت يده..

وفي بني سويف تلقى والد ناجي الخبر الأليم من الصول شا[...]
النبأ الحزين أرجاء القرية بالكامل..

في الصباح تجمع أهالي الشهيد أمام مشرحة المستشفى العام بـ[...]
لإنهاء الإجراءات وتَسلُّم الجثة لدفنها في مقابر العائلة.. أصيب[...]
إخوته بحالة انهيار، وأخرجوه من غرفة الغُسل، ثم سادت حا[لة]
السكون بالمستشفى قبل خروج الجثمان.. لم تحضر الأم إلى أ[...]
بعد أن أصيبت بحالة إعياء شديدة وتم نقلها إلى مستشفى بني [سويف]
أما زوجته فاتن فأصابها الذهول، عندما أتاها الخبر، جلست على الأ[رض]
أمام منزلها تضرب يدها على وجهها.. ومن حولها التفت سيدات [...]
في صراخ وعويل مستمر.. ومن المستشفى بأسيوط خرج نعش [...]
لتقله سيارة الشرطة إلى بني سويف، وخلفها عشرات السيارات من [...]
وملاكي، أجرة وميكروباص. وفي مشهد حزين ومهيب، خرجت [...]
العريف الشهيد ناجي الغمراوي من أحد المساجد الكبرى بالمحا[...]

عسكرية حضرها الآلاف من قريته يتقدمهم مندوب وزير الداخلية
نائب مدير الأمن المركزي بأسيوط، واللواء عبد الحميد وعدد من ضباط
قطاع الأمن المركزي بالمنيا وخلفهم المئات من زملائه بالقطاع.. تماسك
والد ناجي في خطواته، أخفى دموعه بصعوبة، أما إخوته فأخذوا يبكون
بحرارة مرددين عبارة:

- هتوحشنا يا ناجي.

ترك الشهيد ملف خدمة نظيفًا، دون عقوبة واحدة، فقد كان يحب عمله، يخلص فيه ويؤديه بكفاءة عالية وتميز ملحوظ.. شهد له زملاؤه في القطاع بالشهامة والعطاء، القوة والصرامة، بينما شهد له أهل قريته بالخلق النبيل والطيبة وحسن علاقته مع الجميع..

أصبح الأسى عنوان القرية التي تحولت إلى سرادق عزاء كبير حزنًا على استشهاد ابنها.. وبالرغم من إصابة وليد وتجبيس يده، إلا أنه وقف بزيه الميري صامدا وسط إخوة الشهيد ووالده لتلقي العزاء.. شتان بين ليلة الزفاف وليلة العزاء في نفس القرية وفي نفس المكان؛ صمت وذهول، ألم ووجوم، عم البكاء بدلًا من ضحكات الرجال، والعويل بدلًا من زغاريد النساء.

رحم الله الشهيد ناجي الغمراوي

كان مع شريف نسخة من مفتاح السيارة، وقبل سفره أعطاه لمعتز ليرب
الورد لصديقته أثناء وجودها في الجامعة..

بالرغم من جميع المفاجآت إلا أن أهم ما ميز شريف هو الأم
والحنان اللذين ظهرا في جميع تصرفاته.

مشكلة شريف الأولى كانت رنا، صديقة بيري، والتي أعلنت بوض
عدم اقتناعها وارتياحها لشريف منذ أول يوم رأته فيه.. استنكر
استعراضه بالسيارات، شعرت بتمثيله في أكثر من موقف، وأحست بغر
لكونه ضابطًا.. دافعت عنه بيري بشدة وتمسكت برأيها، إلى أن قررت
الاستماع فقط وذلك حفاظًا على مشاعر صديقتها والتي وضح عليها
إعجابها به منذ ظهوره فجأة وإلى أن أصبح محور حياتها..

المشكلة الأهم والأصعب هي راغب المحفوظ الذي أصر على رف
لشريف.. تحدث مع أميرة مرات عديدة طالبا منها ضرورة التركيز
محاولات توغل هذا الشاب في حياة ابنتهما.. كاد راغب يجن من اخ
بيري، وقد وضح ذلك في حديثه مع زوجته:

- أنا نفسي أفهم، يعني سابت كل ولاد الجامعة وجايبالنا ظا
وانتي ماعرفتيش تعرّفيها على حد من أولاد أصحابك.. أنا مش
يا أميرة.

ثم قال مقترحا:

- طيب كلمي اختها تعقلها..

صدمت أميرة زوجها قائلة:

- باكي كلمت شريف كذا مرة، وتخيل انه عاجبها هي كمان.

- يا سلام، وكمان كلمته، وعاجبها..

- يا راغب البنت مبسوطة.. ممكن تهدا شوية علشان نعرف نتفاهم.

لم يهدأ بال راغب بعد هذا الحديث، دخل غرفة مكتبه، أغلق الباب ثم امسك هاتفه وأجرى اتصالًا بأعز أصدقائه؛ اللواء هاشم الغرباوي، مساعد أول وزير الداخلية الذي أجاب بمنتهى الصراحة:

- مافيش ظابط مباحث مش صايع.. هما لازم يبقوا كده. إنت بتسأل عنه ليه؟

- إنت مش غريب يا هاشم، الولد عايز يتقدم لبيري، بس أنا مش موافق.. أنا ما بحبش الظباط.

عقب هاشم ضاحكا:

- ده على أساس انك بتكلم فكهاني.

ضحك راغب أيضا قائلا:

- والله ما قصدي يا هاشم.

- فاهم، فاهم.. اطمن يا راغب، إديني فرصة أجيب ملفه واكلمك..

كان راغب يخشى تطور العلاقة بين بيري وشريف، الذي داوم على الاتصال بابنته كل يوم، وأحيانًا أكثر من مرة.. أراد التحدث مع ابنته في الموضوع ولكنه أرجأ الحديث انتظارا للمعلومات التي وعده بها سيادة

اللواء..

مرت ثلاثة أيام ثم اتصل هاشم بصديقه قائلا:

- اتأخرت عليك أنا عارف، أصل انا طلبت تقرير من شئون الظباط

أجاب راغب سائلا:

- هاشوفك إمتى؟

وفي مساء يوم الجمعة في ڤيلا المعادي، استضاف راغب صديقه وبعد تناول العشاء تحدث الصديقان في حضور أميرة في مواضيع مختلفة، بدءا من الوضع الاقتصادي والسياسي ونهاية بالتغيير الوزاري المرتقب..

اتفقا في آراء واختلفا في آراء أخرى إلى أن سأل راغب صديقه:

- ها، قولي بقى إيه الأخبار؟!

- زي ما قلتلك، الولد صايع.

- يعني إيه صايع؟

وقبل أن يجيب هاشم، وقفت أميرة قائلة:

- هاسيبكو علشان تتكلموا براحتكم.

رحلت أميرة فنظر المحفوظ لصديقه وقال بنبرة جادة:

- اسمع يا هاشم، أنا عايز اعرف كل حاجه عن الولد ده، كل حاجة

- أنا فاهم يا راغب، ده جواز مش لعبة.. الولد يا سيدي من حدائق القبة، خريج مدرسة لغات، كان معاون مباحث في قسم مصر

الجديدة، ودلوقتي في مباحث أسوان، ظابط شاطر وعلاقاته كويسة، بتاع نسوان درجة أولى، تخصص خواجات كمان.. ما انت فاهم، أسوان بقى، كل يوم سهر وشرب، ولسانه طويل..

قاطعه راغب الذي كان يستمع بتركيز وقال مبتسماً:

- ما انتوا كلكو لسانكو طويل.. ابن مين بأه الأستاذ الصايع ده؟

ساعة كاملة، راغب يسأل وهاشم يجيب إلى أن اقترح عليه قائلا:

- أنا لو منك اقابله.. ولوحده.. مش هاتخسر حاجة.. وكده كده لسه شوية لغاية ما بيري تتخرج.

- يا هاشم انت لسه قابلي الولد بتاع نسوان وشكري.

أجاب صديقه مبتسماً:

- الراجل ميبأش راجل غير لو كان بتاع نسوان يا راغب.. وبعدين انت بالذات متكلمش في موضوع النسوان ده..

ضحك الصديقان بصوت عالٍ فعقبت أميرة وهي قادمة من بعيد:

- هو الولد تاريخه بيضحك ولا إيه؟ ها يا هاشم بيه، إيه رأيك في الموضوع.

أجاب هاشم بجدية:

- أنا رأيي ان الجواز من ظابط زي ما له عيوب له مميزات..

استمر الحوار في فيلا المحفوظ حتى منتصف الليل.. وقبل أن يرحل هاشم وعد صديقه بمتابعة الضابط عن قرب، وموافاته بأي معلومة تساعد

على اتخاذ قرار نهائي. في حقيقة الأمر، بعد هذا اللقاء ازداد اعتراض المحفوظ، بل وأصر على رفضه، ومن الناحية الأخرى اجتهدت بيري يوميا في إقناع أميرة بما تريد.. دلع الأم لابنتها الصغيرة، ورؤية الفرحة والتغيير في حياتها أعطياها دفعة قوية في الضغط على الوالد لمقابلة شريف.. وقد كان، وبعد إلحاح شديد استمر ثلاثة أشهر، استسلم راغب لابنته وزوجته أمام ما اقترحه مِنْ قِبَل صديقه اللواء هاشم.. وبعد أن تم تحديد الميعاد دخل راغب إلى غرفة ابنته، وقف متماسكًا، نظر في عينيها ثم أعطاها الوصايا العشر قائلا:

- مفيش خروج لوحديكم، ومفيش سفر بره القاهرة حتى لو معاكو أصحابكو.. بيري، أنا طول عمري بثق فيكي ومتأكد انك هاتعملي اللي بقول عليه.

بالرغم من أن الأب كان يتحدث بصوت واضح وبنبرة قوية إلا أنه كان مرتبكا في داخله.. اعتصر خوفا من هذه التجربة على ابنته التي أجابت بجملة واحدة فقط لكل ما قاله والدها:

- حاضر يا بابي..

***

استعد شريف لهذا اللقاء جيدا، فهو يعلم أنه أمام لقاء مصيري بمعنى الكلمة.. ذهب مع بيري واختارا معًا بدلة أنيقة باهظة الثمن، وقميصًا، وحلة، وحزامًا جديدًا، وأهدته بيري كرافته «Boss»، كانت تعلم جيدا

أنها ستحجب والدها..

وفي اليوم المرتقب قاد شريف سيارة مرسيدس من معرض والده إلى مقر شركة المحفوظ بكورنيش المعادي.. وصل قبل الميعاد بعشر دقائق.. تقدم بخطوات ثابتة إلى مايسة، مديرة مكتب راغب قائلا:

- شريف بيومي.. فيه ميعاد مع راغب بيه..

توجهت مايسة وخلفها شريف إلى غرفة اجتماعات عملاقة، أشارت إلى الضيف بالدخول قائلة:

- اتفضل، 5 دقايق بالكتير وراغب بيه هيبقى مع حضرتك.. تشرب إيه يا فندم.

- ولا أي حاجة، شكرا.

لمح شريف وجود كاميرات مراقبة في أعلى سقف الغرفة، فوقف أمام أحد النوافذ مشاهدا للنيل، وعلى مدار خمس دقائق، وفي مكتبه فقد راغب الأمل في رؤية تحركات وردود أفعال شريف، الذي حافظ على هدوئه واتزانه. فتح المحفوظ الباب قائلا:

- أهلا يا شريف.. أنا راغب المحفوظ.. اتفضل..

تحرك شريف خلف راغب، الذي كان كعادته في قمة أناقته، إلى غرفة أخرى واسعة لم يرَ مثيلتها من قبل، بها مكتب فاخر ومكتبة في قمة الفخامة، تقدم راغب وطلب من شريف الجلوس في صالون مقابل للمكتب، ثم سأله:

- تشرب إيه؟

- شاي بعد إذن حضرتك.

اتجه راغب إلى ركن من الغرفة وضع فيه كل ما يحتاجه لإكرام ضيوفه، قائلا:

- أنا بحب اعمل الشاي لضيوفي بنفسي، سُكّرك قد إيه؟

- 2 بعد إذنك..

عاد راغب ومعه فنجان الشاي، وضعه أمام شريف الذي شكره بأدب، ثم جلس في مكانه المفضل، أمسك سيجار كوهيبا، ثم أشعله بخبرة قائلا:

- إنت طبعا عارف اني قابلتك بعد ضغط من بيري ومامتها، وأكيد قالتلك اني مش موافق.. ظابط مباحث من حدايق القبة، لاف ودابر وبتاع نسوان، وانا بنتي مش وش بهدلة.

استمع شريف جيدا لكلمات المحفوظ دون أن يقاطعه محافظا على آداب وبروتوكول المناقشة، حتى سأله راغب بوضوح:

- قولي انت عايز إيه يا شريف؟!

ارتبك شريف من أسلوب السؤال، ولكنه تماسك سريعًا وأجاب قائلا:

- أنا الحقيقة في مشكلة..

- مشكلة إيه؟!

- بعد الكلام اللي حضرتك قولته، مش عارف اتكلم اقول إيه.. أنا جيت النهاردة وأنا قلقان جدا، عارف اني مرفوض، ولما كمان سالت على حضرتك، الناس خوفتني أكتر.

أجاب راغب مدافعا عن نفسه:

- أنا مشكلتي اني واضح ودوغري، يا ابيض يا اسود، وأي حاجة مش بتعجبني، مش بسكت عليها.. على العموم احنا بنتعرف على بعض، ومفيش أي سبب يخليك تقلق.

فاز شريف بالجولة الأولى؛ إذ اضطر راغب بعد هذا الحوار إلى الحديث بهدوء، إلى أن قال شريف مستأذنًا:

- ممكن اقوم اجيب ميه؟!

- آه ممكن.

وقف شريف من مجلسه واتجه إلى ثلاجة صغيرة، فتحها وأخرج زجاجة مياه معدنية وقال مداعبا:

- حضرتك تشرب حاجة؟! المكتب مكتبك.

أجاب راغب مبتسما:

- أنا كمان أشرب ميه.

اكتسب شريف مع الوقت مزيدًا من الثقة وبدأ في اقتناص نقاط إيجابية عليهذة خلال الحوار الذي أخذ منعطفًا جيدًا لم يتوقعه راغب نفسه..

وعلى أحد الحوائط رأى شريف لوحة خمسة أمتار عرض في مترين ارتفاع، أرضية بيضاء ومرسومة باللون الأسود «بالفحم»، منظر أفقي لأحد أحياء القاهرة الفاطمية، فأبدى شريف إعجابه بها قائلا بثقة:

- «جرافير»، حلوة جدا.

اندهش راغب سائلا:

- عرفت «الجرافير» منين؟!

- هواية، أنا أمنية حياتي أبقى (Collector)، بس طبعا حضرتك عارف إنها أغلى هواية في العالم.. اللوحة دي بمليون دولار مثلا؟!

أجاب راغب بثقة:

- لأ مش قوي كده، بمناسبة الهوايات، يا ترى بتحب السفر؟

سرد شريف عدة بلدان أوربية للسياحة، بخلاف أمريكا التي حصل منها على فرق ودورات تدريبية مهمة، وأخيرا السعودية لأداء فريضة العمرة مع والدته وأخته الكبيرة حبيبة.. ثم أنهى حديثه قائلا:

- ومن بعد العمرة أنا بطلت شرب وقطعت كل علاقتي بالبنات.. على العموم هي كانت فترة وعدت خلاص.

لم يتوقع بل فوجئ راغب بكمّ البلاد التي سافر إليها شريف؛ إذ تخيل أن عمله لم يتح له فرصة الخروج من مصر كثيرا.. ثم تطرق الحديث إلى رؤية شريف لمستقبله المهني، فأجاب الضابط بثقة:

- أنا بحب شغلي جدا، وشايف مستقبلي بطريقة مختلفة، من وجهة نظري إن سكرتير أول في الخارجية هيبقى سفير، ودكتور امتياز هيبقى أستاذ دكتور، والطبيعي إن ملازم أول يترقى لغاية لما يبقى لواء.. بس أنا لو مابقتش وزير داخلية أو على الأقل مساعد وزير الداخلية أبقى مانجحتش.

- وزير داخلية مرة واحدة؟!

- حضرتك من أهم عشر رجال أعمال في مصر، وأكيد ده كان هدفك من زمان، ونجحت انك تحققه. أنا كمان بفكر بالطريقة دي.

حوار استمر لمدة ساعة كاملة إلى أن أنهى راغب الحديث بكلمات صارمة محذرا:

- إنت زي ما سمعت عني يا شريف؛ صعب ومش بهزر، ومفيش أي حاجة ممكن تتم غير لو اطمنتلك مية في المية.. أعتقد كلامي واضح.. اتفقنا؟!

أمسك شريف في الكلمة الأخيرة، وأجاب بنبرة جادة بها كثير من الأمل:

- اتفقنا يا فندم.

وقف شريف في لحظة بعد كلمة «اتفقنا»، مد يده وصافح المحفوظ قائلا:

- الكلام اللي سمعته عن حضرتك عكس اللي شفته تماما..

أجاب راغب مبتسما:

- شرفت يا شريف..

خرج شريف من مكتب راغب الذي مشى بجانبه حتى باب مكتبه، وهو يفكر ويقيّم ما دار في هذا اللقاء؛ إذ شعر بأنه نجح في أول اختبار له.. ردود أفعال المحفوظ في الجزء الأخير من اللقاء أدخلت كثيرًا من الطمأنينة إلى نفسه.. استقل سيارته واتصل ببيري التي انتظرت هذه المكالمة على أحر من الجمر، وسألته بشغف:

- كل ده قاعدين مع بعض، شكل بابي زنقك جامد..

- عيب عليكي.. دا احنا بقينا اصحاب خلاص..

أنهت بيري المكالمة بعد أن حكى لها شريف كل تفاصيل اللقاء، ثم اتصلت بوالدها الذي أجاب قائلا:

- باين عليه ولد كويس..

- مش قلتلك يا بابي انك هاتحبه..

- ده مش معناه اني وافقت.. استني لما ارجع ونتفاهم.. إنتي فين؟!

- في العربية، راجعة من الجامعة.

أنهى راغب الحديث مع ابنته؛ ليستقبل اتصالًا على هاتف مكتبه المباشر من زوجته، فأجاب معترضا:

- أنا النهاردة ما شتغلتش ولا دقيقة.

- مش مهم، بيري أهم من الشغل 100 مرة.. ها.. إيه رأيك؟!

عاد راغب إلى منزله، جلس مع زوجته في غرفة النوم وبدأ في الرد على جميع الأسئلة، إلى أن قال:

- من الآخر، الولد ذكي جدا، وطموح وواثق من نفسه..

- طيب فين المشكلة؟

- المشكلة انه مش سهل، صايع.. وبتاك مش أده، والغريب كمان ان شكله ابن ناس، مش ممكن تقولي انه ابن تاجر عربيات من حدايق القبة.

توقف الحديث بعد أن طرقت بيري باب الغرفة، دخلت ووقفت في صمت، فنظر إليها والدها قائلا:

- الولد مش بطال.. بس بنت المحفوظ ما ينفعش تتجوز ابن تاجر عربيات.

- وإيه يعني تاجر يا بابي، هو مش جدي كان تاجر.

- تجار زمان كانوا باشوات، تجار النهاردة دول نصابين..

أخذت أميرة موقف ابنتها وساندتها بقوة إلى أن أصدر الوالد عددًا من القرارات قائلا:

- مفيش خروج معاه لوحدبكم.. ولو حصل مش هتجوزوا.. تاني حاجة، إنتي لسه عندك جامعة، ومفيش أي حاجة تخلينا نستعجل، تالت حاجة أنا محتاج اقابله كام مرة كمان، وبعدها نبقى نشوف.

قفزت بيري وقبلت والدها ثم والدتها وكأنها حصلت على موافقة مبدئية، أما شريف فعاد بعد هذا اللقاء إلى منزله، جلس مع والده ووالدته في غرفتهما وقص عليهما هذا النبأ السعيد.. طارت فوزية بالخبر وسألت ابنها في لهفة:

- حلوة؟ شكلها إيه؟ بيضة ولا سمرة؟ عندها كام سنة؟ معاك صورة ليها؟

- اصبري يا فوزية لما نشوف الولد عايز إيه؟!

أغلق شريف باب الغرفة وجلسوا معًا يتحاورون لمدة ساعة، اقترح فيها الابن على والديه شراء شقة جديدة في حي راقٍ، إلا أن الحاج بيومي اعترض على هذه الفكرة بشدة قائلا:

- أنا اتولدت في حدايق القبة وهاموت في حدايق القبة.

- بعد الشر عليك يا حاج، ماتقولش كده.

- وبعدين باشوات مصر كانوا عايشين في حدايق القبة.

ثم سألت الأم ببراءة:

- يعني عايزنا نسكن فين؟

- مصر الجديدة، المهندسين، إن شالله حتى مدينة نصر.

أجاب بيومي معقبا:

- إنت شقتك في مصر الجديدة وزي الفل، وانت اللي هاتتجوز مش احنا.

انتقل الحاج بيومي من مهمة شريف.. رفض بإصرار الانتقال إلى أي حي آخر، بل واعترض أيضا على فتح معرض سيارات جديد، ثم أنهى حديثه قائلا:

- يا بني احنا مش هنغير جلدنا علشان انت عايز تجوز بنت المحفوظ.

ومع مرور الشهور، تمنى راغب أن تغير ابنته رأيها، ولكن ما حدث هو العكس تماما؛ إذ استمر شريف في العزف على أوتار قلبها بفن وذكاء، بخلاف أنه نجح باقتدار أيضا في جميع لقاءاته مع راغب وأميرة.. وبعد عناء شديد، وضغط مستمر من الأم وابنتها وافق الأب على لقاء أهل شريف للتعارف فقط..

وبعد أن تم تحديد الموعد، ذهب شريف مع والده لشراء قميص، وحذاء، وبدلة جديدة.. أصر الابن أيضا على شراء «كارافات» للوالد الذي حاول الاعتراض بشدة قائلا:

- يا بني أنا آخر مرة لبست كارفته كان يوم جوازي من أمك، وحتى في جوازات اخواتك مالبستش.

أما الحاجة فوزية فذهبت مع ابنتها حبيبة لشراء فستان جديد من أحد بيوت الأزياء العالمية.. ومن غرفة تغيير الملابس خرجت الأم وهي ترتدي فستانًا أسود، واسعًا وطويلًا، والذي أضاف إلى مظهرها كثيرًا من الرقي والتحضر، وتماشى في نفس الوقت مع حجابها الكلاسيكي.

نظرت الأم في المرآة، ثم سألت بصوت مرتفع:

- حلو، بس بكام؟!

أجاب البائع قائلا:

- 3400 جنيه وفيه خصم 400 علشان خاطر مدام حبيبة..

- لا 3000 كتير، هما 2000 حلوين أوي عليه.

- معلش بقى يا ماما، هو شريف هيتجوز كام مرة؟!

اختلفت الآراء في عائلة شريف.. لم تتوقف المكالمات والمناقشات في ترديد سؤال واحد: «مين هايروح»، إلى أن حسم الحاج بيومي الموقف قائلا:

- ماينفعش ندخل على الناس 10 تنفار، هي أخته الكبيرة وجوزها وبس.

***

وفي يوم خميس، قاد شريف سيارة والده ومعه عائلته متجها إلى ڤيلا المحفوظ بالمعادي.. كان شريف في شدة التوتر؛ فهو يعي تماما أن هذا اللقاء حاسم في قصة زواجه من بيري.. تماسك بقوة داعيا الله أن تمر هذه الليلة على خير.. وفي الساعة التاسعة إلا خمس دقائق وقف شريف بالسيارة المرسيدس أمام منزل المحفوظ فقالت حبيبة سائلة:

- هي دي الڤيلا يا شريف؟!

- دي مش فيلا، ده قصر، اصبروا، واتو تشوفوا.

تقدم شريف ووالده الجميع في تحية المحفوظ وأميرة.. لم تستطع حبيبة وإبراهيم ووالدة شريف إخفاء انبهارهم بمستوى القصر الذي أشرف على تصميمه الداخلي مهندس ديكور إيطالي، أما الحاج بيومي فوضع كل تركيزه مع المحفوظ الذي حياه باهتمام وأدب ثم دعاهم للجلوس في صالون «أوبيسون» فرنسي.

أعطى شريف طبقًا من الفضة، وبه أجود أنواع الشيكولاتة إلى أميرة التي شكرته بابتسامة جميلة قائلة:

- ميرسي يا شريف.

مرت الدقائق الأولى بين التحية والترحاب، كلمات معروفة ومكررة، إلى أن نزلت بيري من على الدرج في فستان ذهبي «سينيه» وبجانبها أختها باكي التي وصلت من نيويورك مساء أمس لحضور هذا اللقاء، وعندما وقف الجميع لتحيتهما قالت والدة شريف بصوت واضح:

- ما شاء الله عليهم، ربنا يحميهم..

ابتسمت باكينام لهذه المجاملة الطيبة وهي تقبل والدة شريف التي استمرت في سرد كلمات المديح والإعجاب للأختين.. كانت بيري بالفعل، في قمة جمالها وأناقتها، جلست كالأميرة بجانب والدتها في خجل من حدة تركيز فوزية وابنتها إلى أن قاطعهم الحاج بيومي سائلا بيري:

- إيه رأيك في الكارفته دي؟!

أجابت بيري بابتسامة رقيقة قائلة:

- حلوة أوي.

وفي تصرف غير متوقع أمسك الحاج بيومي «الكارفته» بيده، ثم بدأ في فكها قائلا لابنه وهو ينظر إليه مبتسما:

- خلاص، الكل شافها وعجبتهم كمان..

ضحك الحاضرون من عفوية تصرف بيومي الذي سيطر على أجواء اللقاء بخفة دمه.. بالفعل أزاح هذا التصرف إحساس التوتر الذي عمّ المكان في بداية هذا اللقاء.

خلال الحوار سألت أميرة عن سبب عدم حضور باقي الأخوات، فأجاب الحاج بيومي قائلا:

- إحنا خفنا نجيبهم معانا تقولوا دول جايين يحتلوا البيت.

- لأ ازاي، دول ينورونا.

أعطى هذا السؤال مجالا للحاج بيومي للحديث عن أولاده، بدأ بالابنة الكبرى حبيبة ووصفها بالعقل المدبر في العائلة، وشكر في أخلاق زوجها إبراهيم السنهوري، ابن أحد كبار تجار السيراميك والأدوات الصحية في مصر، ثم التوأم، فاطمة صاحبة القلب الصافي وزوجها المهندس صاحب الأطيان الذي يرفض ويكره حياة المدينة، وكريمة وريثة الأب في طباعه،

وخفة دمه وزوجها الدكتور الصيدلي الذي تزوجها بعد أن رآها وهي تشتري دواءً من صيدلية بجانب المنزل، وأخيرا شريف «آخر العنقود»..

نظر بيومي إلى بيري وقال محذرا:

- الولد ده مدّلع، احنا لسه على البر.

ضحك الجميع، فدافعت أميرة قائلة:

- ظابط ومدلع.. ازاي بس؟!

- بصراحة شريف كان مدلع على الآخر، بس كلية الشرطة غيرته..

كان الحاج بيومي خلال اللقاء كله صادقًا في حديثه ومعتزًا بجذوره، وقد وضح ذلك لراغب الذي أعجب به وبردود أفعاله وحديثه الطبيعي والتلقائي.. وأثناء الحديث حضر السفرجي وأبلغ أميرة أن العشاء جاهز ثم انصرف بخطوات سريعة.. في هذه اللحظة فاجأ الحاج بيومي الجميع بتصرف غير متوقع ولم يتم الاتفاق عليه، إذ وجه حديثه إلى المحفوظ قائلا بشجاعة:

- إحنا كنا جايين نتعرف، بس الحقيقة أنا حاسس اني عايز اقرا الفاتحة، ولو سعادتك مش مستريح نخليها مرة تانية، مفيش مشكلة.

ساد الصمت في المكان، كاد شريف يعتذر، أما راغب فتردد لثوانٍ قائلا لنفسه: «ما ينفعش»، ثم عاد وقال: «وليه لأ؟ ما الفاتحة مش إلزام بأي حاجة»، وفي النهاية أجاب معقبا:

- ما حدش ممكن يتطلب منه يقرا الفاتحة ويقول لأ..

رد فعل أذهل الحضور، وفي لحظة ارتفعت الأيدي بدون أي تعليق لقراءة الفاتحة، ومن بعدها امتدت الأيادي بين الرجال، والأحضان والقبلات بين النساء وهم سعداء مرددين:

- ألف مبروك.. ألف مبروك.

أمسكت فوزية يد بيري التي احمر وجهها واعتذرت لها قائلة:

- أنا آسفة إني ما جبتش هديتك معايا، ماكنتش عارفه ان احنا هانقرا الفاتحة.

كلام من القلب، صادق وبسيط..

جلس الجميع على المائدة.. أجواء حميمة.. ضحكات وأحاديث جانبية ممتعة، وفرحة ما بعدها فرحة في عقل شريف الذي لم يكن يكاد يصدق نفسه بعد أن اقترب من تحقيق حلم حياته..

وقبل أن تدق الساعة الثانية عشرة منتصف الليل استأذن الحاج بيومي وأسرته في الانصراف.. خرج راغب وأميرة لتوديعهم إلى أن قال بيومي راجيًا:

- أنا مش هاركب العربية غير لو دخلتوا.

ليلة جميلة، مرت سريعا وبنجاح غير متوقع، وكما قال شريف لصديقه معتز فرحا: «مشيت زي السكينة في الجاتوه».

***

بعد قراءة الفاتحة اكتسب شريف الصفة الرسمية داخل عائلة المحفوظ وخارجها.. خوفه الدائم من فقدان هذه الجوهرة الثمينة جعله يستمر في الاستحواذ الدائم على بيري، تواجد بصفة دائمة، ازدادت المفاجآت وكلمات الحب والغرام. حافظ أيضا على سلوكه وأثبت في مواقف عديدة كرمه، والأهم من ذلك أنه بالفعل اكتسب ثقة راغب وزوجته أميرة، وأمام هذه المعاملة الخاصة فقدت بيري السيطرة على نفسها.. أحبت شريف بجنون، وعاشت معه أيامًا وأسابيع وشهورًا وهي في غيبوبة تامة..

وفي حركة التنقلات من هذا العام، نفذ المحفوظ رغبة بيري في نقل شريف إلى مباحث المعادي. تولى الأمر صديقه اللواء هاشم الذي اهتم بالموضوع، ونجح في تنفيذ المهمة بسهولة.. هاشم صاحب نفوذ قوي في الوزارة، وصديقه راغب سخي وكريم في تعاملاته معه.. عاد شريف من أسوان إلى القاهرة، استقر تماما وتسلم عمله بمباحث المعادي، وأصبح على أتم استعداد لأخذ خطوات أكثر إيجابية ورسمية في علاقته مع بيري..

وفي شهر أغسطس، تمت أول زيارة لـ «بيركي» في وسط المدينة، واحد من أشهر محلات الجواهر والماس، الذي تم تأسيسه سنة 1900.

بيير بيركي، صاحب المحل، من أصل أرمني، رجل وسيم وخبير في المجال.. ورث المهنة عن والده وأصبح علمًا من أعلام تجارة الماس في مصر..

وفي وسط المدينة استقبلهم بيركي بترحاب وحفاوة كبيرين، وبعد دقائق وضع أمام بيري علبة كبيرة بها أفضل وأغلى مجوهرات المحل.. لم

تمد بيري يدها، إنما نظرت بتركيز وإعجاب شديدين، وعندما سأل بيوكي في أدب عن المبلغ الذي تم رصده أجابت أميرة بهدوء:

- زي أختها..

- لو أنا ذاكرتي كويسه، سوليتير والدبلة الألماظ بتوع باكينام كانوا تقريبا بـ 150، مظبوط؟

- ذاكرتك قوية يا بيير.

أمسك بيوكي خاتمًا وعرضه عليهم ثم أعاده وأمسك آخر وشريف يتابع في صمت.. وفجأة مدت بيري يدها وأمسكت خاتم «round cut» ممزوج بالـ«baguette»، وبدأت تشاهده عن قرب، فعقب بيير قائلا:

- ذوقك حلو زي ذوق مامي يا بيري

ابتسمت أميرة لمجاملة بيير قائلة:

- بكام ده يا بيير؟

- 268، بعيد عن الـ«budget» شوية.

أعادت بيري الخاتم في لحظة قائلة:

- خلينا نرجع للـ«budget».

مدت أميرة يدها وأمسكت الخاتم قائلة:

- استني يا بيري.. الخاتم حلو فعلا..

تنهدت الأم للحظات ثم أضافت قائلة:

- أنا ممكن ادفع الفرق..

ولأول مرة تحدث شريف رافضا:

- مش هاينفع حد يدفع في هديتي لبيري.. اللي عاجبها واختارته أنا موافق عليه.

اجابت الأم معترضة:

- لأ، كتير يا شريف.

- مفيش حاجة كتيرة على بيري يا طنط، بس احنا عايزين نتكلم في السعر..

عقب بيوكي مبتسما:

- هنا مافيش فصال يا شريف بيه.. «fixed price».

- أنا بقالي 20 سنة بشتري من هنا وعمري ما عرفت انزّل من بيير ولا من باباه الله يرحمه جنيه واحد.

- ما حضرتك عارفة يا هانم، اللي بتشوفيه هنا مش موجود في أي مكان تاني..

- عندك حق يا بيير.

بعد أن اختارت بيري الخاتم السوليتير والدبلة الماس، أصبح إجمالي المبلغ متين وستة وتسعين ألف جنيه، أي ما يوازي ضعف الرقم الذي تم الاتفاق عليه.. وعندما سألت أميرة عن الدبل الذهب قال بيير سائلا:

- إنت دبلتك عايزها دهب ولا بلاتين يا شريف بيه؟

- دهب.

- دول هدية مني لبيري، زيها زي اختها.

- ميرسي يا بيير.

أخذ بيير مقاس إصبعيّ العروسين ثم اتفق مع شريف على تحديد موعد آخر للدفع والاستلام.. زيارة واحدة فقط، لم تعدُ ثلاث ساعات أنهت الموضوع الذي كان سببا حتميا في تحديد موعد الخطوبة..

وفي مساء تلك الليلة تحاكت عائلة المحفوظ عن «شياكة» وكرم شريف الذي اكتسب من جراء هذا التصرف احترام وحب وثقة عائلة المحفوظ بأكملها.

أصر راغب على إحياء حفل الخطوبة في المنزل، وطلب من الجميع أن يقتصر الحفل على الأهل والأصدقاء المقربين فقط.. وافقت بيري بعد أن وعدها والدها بفرح يتحاكى عنه الجميع..

مرت أيام الخطوبة بسعادة، ونجحت بيري في الامتحانات ولكن بنتائج أقل من الأعوام الماضية، وعندما بدأوا في الحديث عن تفاصيل الزواج اقترحت الأم على ابنتها وخطيبها الزواج في شقة في بناية من إنشاء إحدى شركات المحفوظ.. دور كامل من أربعمئة متر في عمارة شاهقة بدجلة المعادي.. لم يوافق أو يعترض شريف إلى أن سألته بيري عن رأيه فأجاب بدهاء قائلا:

- شقة مصر الجديدة موجودة وجاهزة.. شوفي الاتنين.. والقرار قرارك.

بالطبع كان شريف يريد الحياة في المعادي.. الشقة أرقى وأوسع، موقع مميز وأقرب إلى مقر عمله الجديد والأهم أنها على بعد خطوات قليلة من ڤيلا المحفوظ.. وفي نفس الوقت كان يريد الاستفادة من إيجار شقته بمصر الجديدة، مبلغ لا بأس به. بدون تردد اختارت بيري شقة المعادي، واستعانت بمهندسة ديكور صديقة والدتها، كما أشرف على التنفيذ مهندس كفء يعمل مع والدها منذ أكثر من عشرة أعوام..

مع مرور الوقت، رفع راغب يد التركيز عن ابنته التي انطلقت مع خطيبها في كل مكان.. سافرا كثيرا إلى الساحل الشمالي، وعلى البلاج أمسك كل منهما علب البيرة. لم يمانع شريف تأكيدا منه على انتمائه لهذا الوسط المتفتح، وفي غضون أيام من بداية هذا الصيف أصبحت السيجارة منظرًا طبيعيًا في يد بيري التي ابتعدت فجأة عن أغلب أصدقائها وبالأخص رنا التي كانت تتابعها من بعيد وهي حائرة وحزينة.

في الشهور الأخيرة قبل إتمام الزواج وإحياء الفرح ظهر على شريف اختلاف واضح في كل تصرفاته.. لم يعد متواجدا كما كان.. تصرف بشكل عملي وجاف، اختفت تصرفاته وكلماته الغرامية، ضاع جزء واضح من حبه وحنانه ولكنه حافظ على شراء الهدايا لبيري، مبالغ لا تذكر مقابل كم هائل من الأموال التي دفعها المحفوظ استعدادا لهذا الزواج.. ومن الحين إلى الآخر حاولت بيري الاعتراض على هذا التغيير ولكن شريف لم يعطها الفرصة؛ إذ كان يدافع عن نفسه قائلا:

- غصب عني يا حبيبتي.. عندي ضغوط في الشغل جامدة جدا، وبعدين أنا لازم اثبت نفسي، السنة الجاية رئيس المباحث يمكن يتنقل، وأنا عايز اركب.

- تركب إيه، مش فاهمة؟!

- يعني آخد مكانه.. وابقى رئيس المباحث.. ده فيلم تاني!!

اضطرت بيري للصمت أمام هذا المبرر، ولكنها لم تكن راضية عن هذا التغيير. بالطبع كان هناك شيءٌ غامض في تقبل بيري لهذا الجفاء، ومن ناحية أخرى كان هناك أيضًا سبب واضح لثقة شريف في إتمام هذا الزواج. ومع مرور الأيام اختفى بريق عينيها وافتقدت التركيز حتى أنها نجحت في السنة الأخيرة بصعوبة.. وأثناء تجهيز الشقة، وبالرغم من عدم اقتناع رنا بخطيب صديقتها إلا أنها قامت بواجبها على أكمل وجه، تناقشتا كثيرًا في تفاصيل الديكور، واختارا معًا جميع المفروشات، وفي المقابل اعتاد شريف الموافقة والثناء على ذوق خطيبته الرفيع، ولكنه لم يتطرق ولو مرة واحدة إلى كلمة «بكام»، فقد كان واثقا أن ما يتم صرفه بالتأكيد يفوق المبالغ الطبيعية، ولكنه اختار الصمت، متقنا الانسحاب في اللحظات الحاسمة، وعندما حان وقت الاستعداد لإقامة الفرح، تجولت هي ورنا من مكان لآخر حتى وقع الاختيار على فندق سميراميس. أسندت بيري تجهيزات القاعة إلى شركة متخصصة في هذا المجال، وعندما حاولت جاهدة أخذ رأي شريف أيد الاقتراحات بكلمات إيجابية ومكررة حتى قالت له غاضبة:

- جرا إيه يا شـريف.. هو كل حاجة جميلة، حلـوة، هايلة.. إنت عايز تريح دماغك وخلاص؟!

- ولو اعترضت، ابقى غلس ورخم ودمي تقيل ويحب امشّي اللي في دماغي، صح؟!

- لا غلط.. على العموم، انت اتغيرت يا شريف.

وقبل الزواج بشـهرين سـافرت بيري ووالدتها أميرة إلى أختها باكي في نيويورك لشراء مستلزمات الزواج من ملابس وإكسسوارات، زاروا خلالها معظم بيوت الأزياء العالمية.. وبعد عناء شـديد اسـتقرت بيري على شراء فـستان أبيض مـن «Vera Wang».. اختارته بعد عشـرات ولـم تتردد في شـرائه.. كانت رحلة شقاء، سـاعات طويلة من التجول وسط المحلات.. أكياس وشـنط كثيـرة وممتلئة على آخرهـا، وكأن بيري لـم تمتلك ملابس من قبل.. وفي خلال وجودها في أمريكا انزعجت وغضبت كثيرا من عدم رد شـريف علـى مكالماتها؛ إذ إنـه أصبح يرد عليها مـرة كل ثلاثة أو أربعة اتصالات.. تكرر هذا الموقف فأيقنت بيري أخيرا أن شـريف لم يعد نفس الرجل الذي قابلته، وأحبها وأحبته.

بعد رحلة مرهقة استمرت ثلاثة أسابيع عادت بيري إلى القاهرة، التف حولهـا جميع أصـدقائها، استعدوا وسـاعدوا في الترتيبـات النهائية للفرح الـذي توقـع الجميع أن يكون حـدث العام.. وقد كان، ليلـة من ليالي ألف ليلة وليلة، أكثر من ألف مدعو، السـادة الحضور من صفوة رجال المجتمع. مراكز قيادية وسيادية، وزراء ورجال أعمال، فنانون وإعلاميون، وفي الجهة اليمنى انتشر أصدقاء شريف في نهاية القاعة، أما أصـدقاء بيري فالتفوا حولها

وهي ترقص مع زوجها على أنغام وكلمات المطربين المشهورين اللذين حضروا لإحياء الحفل.. سهرة ممتعة امتدت حتى الصباح، فرح تحاكت عنه الأوساط الراقية، اختلفت الأرقام وانتشرت الشائعات في تحديد تكلفة هذا الفرح، الذي انتشرت صوره في معظم المجلات والصحف الفنية..

ليلة واحدة قضاها شريف وبيري في القاهرة ثم سافرا معًا إلى إحدى جزر الكاريبي.. أهدى هذه الرحلة للعروسين أعز أصدقاء راغب بعد أن أشرف بنفسه على كل التفاصيل بداية من حجز طيران درجة أولى، وسيارة ليموزين «بي إم دبليو» مكشوفة، والإقامة في «أجنحة» بفنادق عالمية.. رحلة ممتعة تمنوا خلالها عدم العودة إلى القاهرة، شهر عسل لن يتكرر، أعطى بيري الأمل مرة أخرى في حياة جميلة وواعدة..

في واقع الأمر، وبعد العودة إلى القاهرة، مرت الأيام الأولى عصيبة على بيري، توقعت أشياء في الزواج لم تجدها، وبالرغم من سعادة شريف إلا أن سلوكه تغير مئة وثمانين درجة، بعد ساعات العمل عاد سريعا إلى أصدقائه، خروج وسهرات واختفاء مستمر، والمبرر المنطقي المتكرر: «عندي شغل، هاعمل إيه؟»

انتهت الزيارات والمجاملات قبل مرور السنة الأولى من الزواج، وفجأة وجدت بيري نفسها تعيش في وحدة قاتلة، منزل صامت مساحته أربعمئة متر، يحسدها عليه كل من زارها فيه..

وفي صباح أحد الأيام، استيقظ شريف من النوم الساعة العاشرة صباحا.. لم يجد زوجته في المنزل، سأل إحدى الخادمتين عنها فأجابت

بأنها لا تعرف.. أمسك شريف الهاتف واتصل بزوجته التي أجابت قائلة:

- أنا في الشغل.

- شغل؟! شغل إيه؟! ما قلتليش انك هتبتدي الشغل.

- هو انا باشوفك علشان اقولك أي حاجة؟!

لم يَحْتَجْ شريف أن يسأل عن طبيعة العمل، فقد تحدثا أثناء شهر العسل عن رغبة بيري في الانضمام إلى صرح المحفوظ بعد عودتهما إلى القاهرة، وقد كان، بيري قررت ونفذت رغبتها بالفعل، اتجهت في صباح ذلك اليوم إلى الأستاذ ثروت مدير الموارد البشرية بالشركة، قدمت له السيرة الذاتية وطلبت منه السماح لها بالتدريب في جميع إدارات الشركة.. استأذن ثروت وذهب إلى مكتب راغب المحفوظ الذي أعطاه الضوء الأخضر في اتخاذ كل ما يراه مناسبا لصالح العمل.. أعجب الأب بالخطوة، وطلب منه إرسال التحية إلى ابنته قائلا:

- قولها راغب بيقولك صباح الخير، وبيفكرك بإن مفيش حد بيشتغل في مؤسسة المحفوظ من غير ما يقابله.

عاد ثروت إلى مكتبه، نقل تحية ورسالة والدها ثم اقترح عليها الذهاب إليه ومقابلته.

كان لقاءً أبويًا جميلًا، جلسا فيه معًا إلى أن قال راغب بدون أي مبرر:

- لازم تبقي عارفة يا بيري إن أول سنة جواز هي أصعب سنة.

ابتسمت ابنته وكأنها تقول: «أنا عارفة»..

- أنا مش عايز اعرف انتوا عاملين إيه مع بعض، بس عايز افكرك إن شريف اختيارك وانتي مسئولة عنه..
- إنت بتقولي الكلام ده ليه يا بابي.. إحنا أمورنا كويسة وماعندناش مشاكل الحمد لله.

لم يتطرق راغب في الحديث مع ابنته عن حياتها الشخصية أكثر من ذلك، أثنى على حضورها، ثم عقب سائلا:

- ها.. ناوية على إيه؟!
- أنا عايزة اتعلم.. ممكن ابتدي من أي مكان، بس انا نفسي اقعد في كل إدارة شوية، أفهم بيعملوا إيه وبعد كده هاقدر اقول ممكن اعمل إيه.

أعجب الوالد بفكر ابنته.. أمسك القلم وكتب على السيرة الذاتية بخط أخضر واضح: «يعتمد»، كتب راغب التاريخ بعد التوقيع، ثم نظر إلى ابنته قائلا:

- إنتي مش متخيلة أنا مبسوط ازاي انك جيتي النهاردة.

وقفت يبري من مجلسها، تحركت حول مكتب والدها، قبلته وحضنته حضنًا عميقًا ذا معانٍ كثيرة ومختلفة، إحساس وشعور بالحنان والدفء، بالفعل احتاجت إليه ابنته..

وبمرور الأيام اختلفت بل تبدلت الأمور، اختفت زوجة شريف خلف شاشة الكمبيوتر ووسط الأوراق والملفات، وضعت كل طاقتها في العمل وعادت إلى اكتشاف نفسها مرة أخرى.. أسعدت هذه الخطوة شريف، الذي

أبدى اهتمامه الشديد بمهام بيري الجديدة.. حاول بذكاء معرفة تفاصيل عمل زوجته بعد أن قرر في داخله أن الوقت قد حان لتقديم خدماته.. استخدمت بيري كلمات زوجها في الرد على أسئلته المتشعبة قائلة:

- مش معقولة افضل اشتغل طول اليوم، وارجع البيت برضه اتكلم في الشغل!!

ثم أضافت سائلة:

- جملة مين دي؟

- جملتي، بس انتي شغلك حلو، وأنا شغلي غلس.

أجابت بيري بثقل:

- في دي عندك حق.. أنا شغلي حلو فعلاً.

وبعد مرور أقل من تسعة أشهر على الزواج أعلنت بيري خبر حملها الذي انتظره كل أفراد العائلة.. اهتمت أخوات شريف بحمل بيري وبالأخص حبيبة التي ذهبت معها هي ووالدتها إلى الطبيب.. أراد شريف الانضمام إليهن ولكنه اعتذر بسبب ظروف عمله مكتفياً بالمتابعة من خلال أكثر من اتصال.. توقعت بيري أن يتغير سلوك شريف بعد هذا النبأ السار، ولكن للأسف الشديد لم يحدث.. وأثناء الحمل استمرت بيري في الذهاب إلى العمل صباحاً، وقضاء أوقات طويلة مع والدتها مساءً، أما شريف فلم يعترض بالمرة، بل انتهز غيابها فرصة ليستمتع بسهراته، وانطلاقاته مع صديقه العزيز معتز..

***

الفصل السابع

استيقظ وليد على صوت أذان الفجر.. تحرك في فراشه بصعوبة وحرص.. لم ينم على مدار الساعات الثماني والأربعين الماضية أكثر من أربع ساعات.. حزن عميق على استشهاد ناجي وألم شديد بسبب إصابته.. بذل مجهودًا في تغيير ملابسه، جمع أغراضه استعدادا للرحيل من القطاع إلى محطة السكة الحديد.. كان السلام حازًا من الرجال بالرغم من علامات الأسى التي سيطرت على الوجوه.. وبعد أن استقل إحدى سيارات الحملة هرول إليه أحد عساكر مكتب اللواء عبد الحميد وسلمه خطابًا قائلا:

- الباشا سايبلك الظرف ده يا وليد بيه.

فتح وليد الظرف، قرأ تأشيرة اللواء عبد الحميد على الخطاب الذي أرسله إليه مساء الليلة الماضية..

في هذا الخطاب تقدم وليد بطلب رسمي لتصنيع لافتة باسم «ناجي الغمراوي» لتعليقها على مبنى استراحة الضباط.. وقد أشر عليه اللواء عبد الحميد بـ «لا مانع، مع صرف مبلغ ألفي جنيه إعانة عاجلة واتخاذ اللازم لتكريم الشهيد وعائلته»..

نزل وليد من السيارة واتجه إلى مكتب اللواء الذي كان يقرأ الجريدة بتركيز.. ألقى وليد التحية قائلا:

- صباح الخير يا فندم.

- تعالَ يا وليد.

طوى اللواء عبد الحميد جريدة اليوم وأعطاها لوليد الذي أمسكها بيده اليسرى..

فوجئ وليد بخبر في جريدة الأهرام على خمسة أعمدة: «رصاصات الغدر تغتال عريف شرطة بأسيوط».

تصدَّر الخبر أيضا صورة للعريف ناجي الغمراوي.... استشهاد عريف شرطة، وإصابة ضابطين وأحد عشر عسكريًا بإصابات مختلفة بعد معركة شرسة استمرت اثنين وعشرين ساعة دون توقف.. مقتل «بخيت الدوكش» أسطورة تجارة المخدرات في أسيوط وستة آخرين والقبض على ثمانية عشر مسجلًا خطرًا!

في وسط الخبر صورة للمضبوطات من مخدرات وأسلحة، وصورة أرشيفية لبخيت الدوكش..

وفي موقع مميز بنفس الصفحة وعلى يسار الخبر في برواز رمادي: «وزير الداخلية يصدر قرارا بترقية العريف الشهيد ناجي الغمراوي..».

وفي نهاية الخبر، رصدت الجريدة المضبوطات: «181 كيلو هيروين، 307 طُرب حشيش، 42 ألف قرص مخدر، 56 بندقية آلية، 8 رشاشات جرينوف، 194 فردًا محلي الصنع، بخلاف الأسلحة البيضاء».

قرأ وليد المانشتات العريضة للخبر، ثم أعاد الجريدة إلى اللواء عبد الحميد.. شكره على اعتماد خطابه وانصرف متجها إلى محطة السكة

الحديد بالمنيا، ووسط هذه الأحداث المؤسفة والأليمة اختفت تماما مشكلة يحيى ووليد مع اللواء عبد الحميد..

***

كانت الساعة العاشرة والنصف صباحا في القاهرة عندما استقبل هاني مكالمة عمرو الذي تحدث بانزعاج وبدون أي مقدمات سائلا:

- إنت فين يا هاني؟

- في الشغل، فيه إيه؟!

أضاف عمرو بعصبية:

- عربيتي اتسرقت.

- يعني إيه اتسرقت؟! اللي جواها ولا هي نفسها؟!

أجاب عمرو بصوت حزين:

- ياريت اللي جواها..

عاد هاني وسأل مرة أخرى:

- الجيب؟!

أجاب عمرو ساخرا:

- لا يا خويا.. المرسيدس.

ثم حكى عمرو لصديقه عن زيارته لأحد عملائه بالمقطم نادمًا:

- بعد ماخلصت الاجتماع، نزلت مالقتش العربية.. ياريتني ما رحت.

- بلغت البوليس؟!

- آه طبعا، أنا في قسم المقطم وعملت محضر..

- كلمت وليد؟!

أجاب عمرو بأنه لم يتحدث مع أحد، ثم قال إن وليد لا يحب أن يتدخل في مثل هذه المواقف.. اعترض هاني ورفض هذا الاتهام بشدة، ثم طلب منه ضرورة الاتصال به لأخذ رأيه في هذه المشكلة قائلا:

- أصلا وليد زمانه راجع في السكه..

أمس اتصل إسماعيل بوليد الذي أعلن عن وصوله صباحًا، وكالعادة انتشر الخبر بين الأصدقاء.

في نهاية المكالمة لم يوافق عمرو أو يعترض على الاتصال بوليد، إنما طلب من هاني أن يمر عليه في المنزل في أسرع وقت للذهاب معًا إلى مديرية الأمن لمقابلة صديق والده مساعد مدير أمن القاهرة.. لم يتردد هاني في الدخول على مدير المشروع، حكى له ما حدث لصديقه، ثم استأذنه في الانصراف.. وقبل أن يدير محرك السيارة اتصل بوليد الذي أعلن استياءه لعدم اتصال عمرو به.. اقترح هاني انتظاره أمام محطة الجيزة إلا أن وليد رفض، ثم اتفقا معًا على اللقاء في منزل عمرو في خلال ساعة.. حاول وليد مرارا الاتصال بصديقه ولكنه فشل؛ إذ كان عمرو في حديث طويل مع إسماعيل الذي أمطره بوابل من الأسئلة، فقاطعه قائلا:

- يا اسماعيل أنا مش ناقصك، انت هاتعملي فيها ظابط مباحث انت كمان؟!!

نظر إسماعيل في ساعته ثم كرر سؤال هاني:

- كلمت وليد؟ ده قرب يوصل.

لم تتغير إجابة عمرو.. أعاد نفس الكلمات التي قالها لهاني فعقب إسماعيل معترضا:

- إيه اللي انت بتقوله ده، ده مافيش حد أجدع من وليد في الدنيا.

وفي نهاية الحديث، أحس إسماعيل بالمسئولية، فوعده بالاستئذان من مديره للذهاب معه هو وهاني إلى مديرية أمن القاهرة.. حاول عمرو إقناعه بالانتظار حتى الاتصال به ولكن إسماعيل أصر.. أمسك إسماعيل جاكيت البدلة وتحرك مسرعا خارج الغرفة.. لم يجد مديره في مكتبه، فقرر أن يتصل به وهو في الطريق إلى صديقه..

وصل وليد إلى الجيزة ثم استقل «تاكسي» إلى جزيرة الروضة.. استمر في محاولاته اليائسة في الوصول إلى عمرو، هاتفه مشغول بمكالمات طويلة، وحتى بعد انتهائها لم يرد صديقه عليه.. لم تنقطع المكالمات بين الأصدقاء الأربعة حتى وصل إسماعيل قبل الجميع إلى منزل عمرو الذي فتح له باب المنزل مرتديا «شورت» وحافي القدمين، وقبل التحية قال إسماعيل سائلا:

- إنت مش لابس ليه؟! هو احنا مش هانتزل؟؟!

أجاب عمرو بهدوء:

- طيب قول السلام عليكم.

لم يفهم إسماعيل سر برود عمرو الذي أكمل حديثه قائلا:

- لأ مش هانتزل، اللي حصل حصل خلاص.

عاد عمرو وجلس على أحد كراسي المائدة وأمامه اللاب توب بينما وقف إسماعيل في مكانه ينظر إليه في صمت، حتى قال له صديقه:

- اعمل لنفسك حاجه تشربها، مفيش حد في البيت.

قبل أن يجيب إسماعيل رن هاتفه المحمول:

- ده وليد.. إنت ليه مش بترد عليه؟!

مد عمرو يده وأخذ الهاتف من إسماعيل قائلا:

- هاته..

وبدون أي تحية أجاب عمرو:

- معلش يا وليد كان معايا تليفونات كتير.. انت فين؟

استوعب وليد أنه يتحدث إلى عمرو فأجاب سائلا:

- 5 دقايق وهاكون عندك، وصلت لحاجة؟!

تنهد عمرو وأجاب حزينا:

- لأ، ولا حاجة..

ل وليد أن يسأل سؤالا آخر لكن عمرو قاطعه قائلا:

ك تيجي نشوف هانعمل إيه.

انهى عمرو المكالمة، وضع هاتف إسماعيل بجانبه، أمسك فنجان القهوة التركي وشرب رشفة قائلا:

- يا بني اعمل لنفسك حاجة تشربها..

ثم عاد ونظر في الشاشة التي أمامه، وإسماعيل يتابعه وينظر إليه وعلامات التعجب على وجهه، إلى أن خرج عن صمته وسأل بنبرة واضحة:

- إنت بتعمل إيه؟!

رن جرس المنزل وعمرو يجيب على صديقه:

- بابعت إيميل لأصحابي.. جايز حد يشوف العربية ويبلغنا.

فتح إسماعيل الباب لهاني الذي دخل متلهفا والتأثر واضحًا على وجهه.. أغلق عمرو اللاب توب ثم نظر إلى هاني قائلا بنبرة حزينة:

- أنا كنت بحب العربية دي أوي يا هاني.

أجاب هاني مطمئنا صديقه:

- صدقني هاترجع، وما بقى افكرك.

- والنبي بلاش صدقني بتاعتك دي.

- إنت مش لابس ليه؟! هو احنا مش هننزل ولا إيه؟

أجاب عمرو وهو في طريقه إلى غرفته:

- هالبس حالا..

عقب إسماعيل مندهشا:

- أنا مش فاهم حاجة، قالي مش هانتزل، ودلوقتي قال هانتزل!

اختفى عمرو في غرفته، وهما يتحدثان عن صعوبة الموقف.. دقائق معدودة وحضر وليد والرباط على رقبته حاملا يده اليمنى التي وُضعت في الجبس، وفي يده الأخرى شنطة سفره.. حياه أصدقاؤه سائلين عن إصابته فأجاب بكلمات قليلة:

- اتعورت في مأمورية، هو عمرو فين؟!

رد إسماعيل بثقة:

- بيلبس.

تعجب وليد قائلا:

- بيلبس؟!

ظهر عمرو مرة أخرى وهو مازال مرتديًا الشورت.. اتجه إلى وليد مباشرة وحضنه بمنتهى الحرص سائلا باهتمام:

- سلامتك.. اتكسرت إمتى؟

حاول عمرو أن يتفادى النظر إلى وليد الذي لم يجب عن سؤاله، إنما بادره بسؤال واضح:

- فين صورة المحضر؟!

اجاب عمرو بعد تفكير لثوان:

- ماخدتوش.

هز وليد رأسه وهو ينظر إلى عمرو مبتسما:

- بقى ماخدتوش يا روح امك، أنا دلوقتي عرفت انت ليه ماكنتش بترد عليا.

في هذه اللحظة لم يتمالك عمرو نفسه، ابتسم وهو يتحرك بعيدا عنهم.. فتح أحد أدراج «البوفيه»، أخرج علبة الكوتشينة وهو يقول ضاحكا:

- العربية رجعت.

استوعب وليد وهاني الفيلم، بينما قال إسماعيل متعجبا:

- رجعت ازاي؟!

سؤال إسماعيل كان بمثابة القنبلة الموقوتة التي انفجرت في المكان.. آهات وضحكات حتى استوعب إسماعيل الموقف، وبين كل دقيقة وأخرى يعيد أحدهم سؤاله:

- رجعت ازاي؟!

- هي إيه دي اللي رجعت يا شمعه؟!

تمنى عمرو أن يستمر في خطته، ولكن أسلوب وليد، ونظراته الثاقبة، وسؤاله الواضح كشف أمره..

قفز إسماعيل على عمرو، أمسك به وتملكه، ثم ساعده هاني في تكتيفه حتى اعترف قائلا:

- أنا صحيت الصبح ماليش نفس اروح الشغل.. وحسيت انها طالبة كوتشينة.

ضربه إسماعيل بقدمه على مؤخرته:

- كمِّل، وبعدين.

ضحك عمرو متوسلا:

- طيب سيبوني وانا اكمل.

- لا مش هانسيبك، وهاتكمل غصبن عنك.

- إسماعيل قالي امبارح ان وليد راجع الصبح.

سرد عمرو خطته بالتفصيل، والتعليقات مستمرة والضربات متتالية من إسماعيل وهاني الذي قال سائلا:

- يعني انا بكره اروح اقول إيه للراجل في الشغل؟! ما هو أكيد هيسألني، وانا مابحبش اكدب.

أجاب عمرو ضاحكا:

- قوله، صدقني هاترجع.

قاطعه وليد معترضا:

- بصراحة مايتفعش تعمل فينا كل ده علشان عايز تلعب بولة، بجد لازم تبطل حركات العيال دي.

قضى الأصدقاء هذا اليوم معًا في لعب الكوتشينة.. تناولوا البيتزا وهم يضحكون حتى رحلوا في نفس توقيت عودتهم من أعمالهم.. كان وليد بالفعل يحتاج إلى صحبتهم، بعد أن مر بظروف صعبة خلال الأيام الثلاثة الماضية..

***

كانت مها تنتظر وليد بفارغ الصبر في المنزل.. غضبت لذهابه إلى أصدقائه، ولكنها نسيت كل شيء في اللحظة التي رأته فيها.. وقفت بعيدة، لم تحضنه كعادتها إنما نظرت إليه في ذهول ثم صاحت قائلة:

- أنا كنت حاسة ان فيه حاجه غلط.. إيه اللي جرا لإيدك؟! وما تقوليش وقعت.

أجاب وليد مبتسما:

- يعني هي هتتكسر لوحدها؟ ما انا أكيد وقعت.

لم تقتنع مها بأنها إصابة مأمورية بسيطة.. أصرت وبإلحاح على أن يحكي تفاصيل ما حدث، ثم سألت عن الأشعة والدكتور الذي قام بالكشف وتجبيس يده، إلى أن اكتشفت فجأة أنها تتحدث دون أن تعطي وليد أي فرصة للرد، فقاطعها وليد معقبا:

- وحشتيني ووحشتني دوشتك.

- وانت كمان وحشتني، بس رد عليا.

- من فضلك متعمليش عليه دكتورة.

ثم انتبهت مها فجأة، وصاحت في ذعر:

- هو انت الظابط اللي اتعور في جرنال النهارده؟! إيه ده؟! العريف؟!

أجاب وليد حزينا:

- ناجي، الله يرحمه.

- بس دي كانت في أسيوط، والله العظيم وانا بقرا الخبر كنت حاسة انه له علاقة بيك، مش عارفه ليه، وناجي، أنا فاكره اسمه..

ثم وضعت مها يدها على فمها:

- اللي كان لسه متجوز في بني سويف، وانت روحت فرحه.. صح؟!

هز وليد رأسه في حزن وأسى، فأضافت مها داعية:

- يا ساتر يارب.. ربنا يصبر أهله.

حملت مها حقيبة زوجها ووضعتها في الغرفة، ساعدته في خلع وارتداء ملابسه. أثناء تلك المهمة الصعبة سألته عن سبب ذهابه إلى عمرو، فحكى لها ما فعله صديقه، وكيف نجح في تنفيذ خطته ببراعة، ثم تحدثا معًا عن مكره ودهائه، وضحكا على سذاجة وطيبة إسماعيل.. وعلى مائدة الطعام، تناولت مها غداءً خفيفًا واكتفى وليد بأكل الفاكهة.. لم تتوقف الأسئلة عن إصابته.. حاول وليد أن يحكي الخطوط العريضة للمهمة، ولكن مها اهتمت بأدق التفاصيل.. كم كانت فخورة وسعيدة، قلقة ومتوترة، وزوجها يقص عليها ما حدث، إلى أن ابتسم قائلا:

- إنتي خايفة كده ليه؟! ما انا قدامك اهه.

- الحمد لله ان دي آخر سنة ليك في المنيا.

ثم طلبت مها من زوجها الذهاب إلى طبيب آخر وعمل أشعة جديدة للتأكد من سلامة وصحة علاجه.. وافق وليد أمام إلحاحها، بالرغم من شعوره بالثقة في الطبيب الذي كشف عليه وعالجه في أسيوط، وعندما سألته عن الأشعة، أجاب وليد:

- نسيتها في المنيا.

- طيب الدكتور قالك إيدك هتفضل في الجبس أد إيه؟

- 6 أسابيع، وعلى الأقل شهر كمان علاج طبيعي.

- على قد ما انا زعلانة انك اتعورت، على قد ما انا مبسوطة انك هتقعد معايا كل ده.

أمسك وليد يدها قائلا بابتسامة:

- تركيز.. أوي أوي أوي.

تناولت مها الغداء، اجتهدت سريعا في إعادة النظام إلى المنزل والمطبخ، بينما جلس وليد يشاهد فيلم «غزل البنات»، إلى أن قال ضاحكا:

- نجيب الريحاني ده عالمي.

عقبت مها وهي في طريقها إلى المطبخ قائلة:

- إنت كل مرة تشوف الفيلم ده تقول نفس الجملة.

دقيقة وارتفع صوت وليد راجيا:

- الشاي يا باشا.. في الأوضة لو سمحت.

أجابت مها من المطبخ بصوت واضح وسعيد:

- علم وينفذ!

عادت مها إلى غرفة النوم وكوب الشاي في يدها، وضعته على «كومود» بجانب وليد.. جلست على حافة السرير دون أن تنطق بكلمة واحدة.. أخذت تنظر إلى زوجها بحنان وحب، تتابعه وهو يمسك الجريدة بيد واحدة ويقرأ بتركيز عموده المفضل «في الممنوع» إلى أن قال معقبا:

- مجدي مهنا ده جريء أوي.. ويفهم.

لحظات وأحس وليد بوجود شيء ما فوق بطنه، لم يره، فالجريدة حجبت الرؤية.. أزاح يده يمينا فرأى أمامه كتابًا جديدًا بعنوان: «أسماء أطفال».. ترك الجريدة من يده، أمسك الكتاب واعتدل في مجلسه.. نظر إلى مها وهو لا يكاد يصدق معنى هذا التصرف. التقت الأعين في سعادة لا توصف، هزت مها رأسها بنعم قبل أن يسأل والابتسامة تملأ وجهها الملائكي. تقمص وليد شخصية زوجته وبدأ يسأل بدون توقف:

- بجد؟! متأكدة؟! عرفتي إمتى؟! عرفتي ازاي؟!

أجابت مها بخجل وثقة:

- اتأخرت أوي، عملت اختبارين امبارح مختلفين، والاتنين «Positive».

قفز وليد وحضنها متناسيا إصابته، ثم قبل يدها وجبينها قائلا:

- من امبارح عارفة ومتقوليش.

- أنا كان نفسي تبقى قدامي لما تعرف.

- ما انا قدامك بقالي ساعتين.

أضاف وكأنه تذكر شيئًا كان قد نسيه:

- إوعي تكوني قولتي لحد قبلي؟!

اعترفت مها وهي في قمة الإحراج:

- زينب.. زينب بس، أنا حتى ماقولتش لماما.

- بقى تقولي لزينب قبل ما تقوليلي، ماشي يا مها.

زينب بنت خالة مها أصغر منها بأحد عشر يومًا فقط، أعز صديقة، بل أخت بمعنى الكلمة، وكما يقال: «راضعين في حلة واحدة».

فرحة وليد بهذا الخبر فاقت ما تخيلته زوجته، فهي لم تره متأثرا بهذه الصورة من قبل.. وقف بعد دقائق على سجادة الصلاة، ثم سجد حمدًا وشكرًا لله على نعمته وفضله فهو لم يفقد الأمل لحظة، كان واثقا في قدرة الله وكرمه، ردد بتأثر:

- ربنا عمل لنا اللي احنا ماقدرناش نعمله.

في هذه الليلة جلس وليد ومها معًا في الفراش، يقرآن الأسماء في سعادة بالغة، يوافقان ويختلفان، وهما في حالة انعزال تام عن العالم الخارجي..

- إيه رأيك في جعفر؟!

أجابت مها ببراءة:

- جعفر؟ فيه طفل برضه يبقى اسمه جعفر؟!

- طيب.. مؤنس، ولو بنت كوثر.

وبعد أن استوعبت مها أن وليد يمزح معها اقترحت دعوة العائلة على العشاء يوم الجمعة لإعلان الخبر والاحتفال بهذه المناسبة.. وافق وليد مقترحا شراء «كباب وكفتة» فهو لم يكن يريد إجهاد زوجته، بل وتطوع أيضا بطهو الأرز وتجهيز السلطات، معترفا بأنه خير مطبخ من الدرجة الأولى.

انبهرت مها من هذا الاعتراف، وتشوقت لتذوق أرز وليد لأول مرة في حياتها.. أمسية من أسعد الليالي، استمرت فيها المشاكسات والمداعبات حتى منتصف الليل..

في صباح اليوم التالي استيقظ وليد مبكرا كعادته.. حاول بشتى الطرق إقناع مها بعدم الذهاب إلى العمل، لكنها رفضت بإصرار، إنه الخميس ولديها التزامات واجتماعات مهمة.. مها شخصية مجتهدة، تحب عملها وتقدره، ومن هذا المنطلق استوعب وليد أن محاولة إقناعها بالحصول على إجازة بدون مرتب ستكون من رابع المستحيلات.. ذهبت مها إلى العمل بعد أن وعدته بالعودة مبكرا للذهاب معًا لعمل تحليل في معمل متخصص.. بالرغم من أن الأعراض واضحة والاختبارات إيجابية، إلا أنها استسلمت أمام إلحاحه. رحلت مها وتجول وليد في المنزل ممتنا.. فتح

إحدى الغرف الخالية، غرفة الابن أو الابنة؟! انطلق بخياله في اختيار لون الغرفة: «أزرق لو ولد، وردي لو بنت».. ثم بدأ في تنظيم الأثاث الجديد في الغرفة: «هنا السرير.. هنا الدولاب.. هنا المكتب، لا هنا السرير وهنا الدولاب»، إلى أن ارتفع صوته محدثا نفسه: «هو هاني، يرفع المقاسات ويرسم الأوضة، ويظبطها».

عادت مها إلى المنزل مبكرا، ساعتين قبل ميعاد انصرافها المعتاد.. كان وليد في انتظارها على أحر من الجمر، وقبل أن يطلب منها الذهاب معًا إلى معمل التحليل فاجأته وأعطته في يده تقرير معمل شهير، ذهبت إليه صباحا وتسلمت النتيجة في طريق عودتها إلى المنزل.. أمسك وليد التقرير وقرأ كلمة «Positive» واضحة وصريحة ليقطع الاختبار الشك باليقين.. وفي هذا المساء اعتذر وليد عن عدم لقاء أصدقائه.. إصابته واحتياجه للراحة مبرران كافيان لقضاء ليلة أخرى مع زوجته، والتي لم تختلف عن الليلة الماضية، جو هادئ ورومانسي، وقد سيطر على شعورهما وحديثهما نبأ المولود القادم الذي انتظرته العائلة لسنوات.

***

استيقظ وليد يوم الجمعة، الساعة العاشرة صباحًا.. كانت هذه هي المرة الأولى من سنين التي يستيقظ فيها بعد الثامنة صباحًا.. طعام الإفطار في السرير، معاملة «آخر دلع».. وعند أذان الظهر كان وليد في طريقه إلى المسجد مهتما بسماع خطبة الشيخ رجب قبل أداء صلاة الجمعة.. ومن على المنبر وأثناء الخطبة حياه الشيخ بوجهه البشوش وهو يسرد قصص الصحابة، استمع وليد إلى الخطبة بتركيز واستمتع بها، وبعد أداء الصلاة قبّل وليد الشيخ على كتفيه يمينا ويسارا، فحياه رجب بحرص سائلا:

- ألف سلامة يا وليد يا ابني، إيه اللي حصل؟!

- الله يسلمك يا شيخنا، مأمورية وجت سليمة.

- الحمد لله يارب.. قدر الله وما شاء فعل.

لاحظ الشيخ رجب أن إصابة وليد لم تمنع السعادة التي ملأت وجهه، وعندما سأل الشيخ عن السبب أعلن وليد أن زوجته حامل بعد صبر السنين.. أسعد هذا الخبر الشيخ رجب الذي دعا له بالذرية الصالحة.

وكعادة أيام الجمعة، وقف الأصدقاء الثلاثة وليد، وعمرو، وإسماعيل بعد الصلاة على ضفاف النيل.. دقائق وانضم إليهم هاني الذي حياه عمرو قائلا:

- تقبّل الله!

- منا ومنكم.

اعتاد هاني أن يرد بنفس ردود المسلمين عن طيب خاطر.. أثناء الحديث اقترح إسماعيل ترتيب رحلة صيد قريبا، ولكن وليد اعترض، طالبا التأجيل حتى تتماثل يده للشفاء.. استسلم إسماعيل بعد أن وعدهم وليد بالرحلة قبل عودته إلى المنيا..

وفي مساء هذه الليلة، لبّت أسرتا وليد ومها دعوة العشاء.. حضرت مبكرا والدة مها وأخوها أحمد ووالدها الدكتور رأفت الذي قبلته ابنته قائلة:

- حمد الله على السلامة يا بابا.

- الله يسلمك.

تعجب وليد سائلا:

- هو حضرتك كنت مسـافر؟!

- كان عندي مؤتمـر في دبي ولسـه راجع امبـارح، هما كانـوا 4 أيام بس.

ثـم اطمـأن الدكتـور رأفت وزوجته على إصابـة زوج ابنتهمـا.. كانت عفـاف فخـورة بالخبـر، وحزينـة في نفس الوقت علـى استشـهاد عريف الشرطة قائلة:

- منهم لله تجار المخدرات دول، لا قلب ولا ضمير.

وقبـل أن يجلـس الدكتور رأفت أعطـى وليد كرتونة متوسـطة الحجم، أمسكها في يده قائلا:

- ألف مبروك يا وليد.

- إيه ده يا دكتور؟!

- دي جت بالصدفة، قبل ما نرجع على المطار عدينا على مول، واحد زميلي كان عايـز يشـتري لابنه لاب تـوب.. لقيت نفسـي باجيلك واحد انت كمان.

احمر وجه وليد خجلا وقال معقبا:

- أنـا مش عـارف اشـكر حضرتـك ازاي، أنا فعلا كنـت محتاج لاب توب جديد.

ساعدت مها زوجها في فتح الكرتونة.. ماركة شهيرة وموديل حديث، حضنت مها والدها وقبلته في جبينه قبل أن تذهب لفتح باب المنزل لوالدة وليد، التي حضرت وفي يدها نسخة من الجريدة، أما أخوه عماد فحيا العائلة ثم جلس صامتا أمام الجهاز الجديد معلنا رأيه:

- ده جامد جدا يا أنكل.

وانضم أحمد إلى عماد قائلاً:

- يا سيدي يا سيدي!

وفي المطبخ ساعدت والدة مها وحماتها في تحضير العشاء.. كان هناك إحساس وشعور غريب ومختلف في أرجاء المنزل.. احتفاظ مها بالسر كان بالتأكيد وراء ارتباكها واختلاف تصرفاتها.. وبدون أي مقدمات تعالت الكلمات والصيحات من المطبخ، فقالت آمال بعد سماعها لهذا النبأ المفاجئ:

- ده أحلى خبر في الدنيا، ربنا يتمم على خير.

وأضافت عفاف بحماس:

- أنا كده هابقى جده؟ كبرتونا يا ولاد.

توقف الحديث بين وليد وحماه الذي نظر إليه متسائلا، محاولا فهم ما يحدث، فقال وليد مبتسما:

- أصل مها حامل، الحمد لله.

وقف الدكتور رأفت من مجلسه بعد سماع هذا الخبر.. سلم باليد على وليد وقبّله قائلا:

- ألف مبروك يا وليد.. ألف مبروك يا بني.

رفع أحمد رأسه من أمام شاشة اللاب توب مهنئا:

- مبروك يا باشا.

وقبل أن يرد وليد أجاب عماد قائلا:

- الهدية دي جايه في وقتها.

تبادل الجميع التهاني، الأب والأم، الجد والجدة، العم والخال، وفي جو مرح تناولت الأسرة العشاء.. تألقت المائدة بأرز وسلطات وليد الذي أعلن احترافه:

- كل ده بإيد واحدة.

أضاف أحمد معجبا:

- ده بجد أحلى من رز مها.

ضحك وليد معقبا:

- وشهد شاهد من أهلها..

أضافت آمال:

- إيه السلطة الحلوة دي؟

لم تتوقف كلمات المديح والإعجاب من الجميع، إلى أن قدمت مها طلب اعتزال رسمي وإعطاء الراية لزوجها من تاريخه..

لم يعكر صفو هذه السهرة إلا الخبر الذي أعلنه عماد فجأة قائلا:

- أنا قدمت استقالتي امبارح وهاسيب الشغل أول الشهر.

نزلت كلماته كالصاعقة على العائلة، وبالأخص على والدته وأخيه الذي عقب غاضبا:

- إنت ازاي تعمل كده من غير ما تقولنا الأول؟!

أجاب عماد بعصبية:

- هو انا لسه صغير علشان آخد الإذن.

تدارك وليد الموقف، وطلب منه مناقشة الموضوع في وقت لاحق محاولا الحفاظ على جو الاحتفال بهذه المناسبة السعيدة..

في هذه الليلة الجميلة، وقبل أن يرحل الجميع اقترح الدكتور رأفت على ابنته اسم أحد أصدقائه، الذي عاد من ألمانيا منذ شهور معلنا استقراره في مصر، فقال لابنته:

- الدكتور عاطف، شاطر جدا، 10 سنوات خبرة في ألمانيا.

تحمس وليد واثقا في حماه وترشيحاته.. أعطى رأفت لابنته رقم هاتفه المحمول بعد أن وعدهم بالاتصال به في الصباح الباكر..

كانت دعوة عشاء جميلة، سهرت فيها الأسرة كما لم تسهر من قبل.

***

في قسم المعادي تواجد شريف بصفة مستمرة ولساعات طويلة.. التزم تماما بواجباته، اجتهد في عمله، بل وأظهر كفاءة تحدث عنها كل زملائه.. وبالرغم من عدم اقتناعه بمديره كرئيس للمباحث، إلا أنه نفذ تعليماته واكتسب صداقته، آملا أن يكون تقييمه عنه عاملا مساعدا في حصوله على كرسي رئيس المباحث بعد رحيله..

وفي منتصف ليل يوم جميل، وبدون سابق إنذار، استقبل شريف اتصالًا من المحفوظ.. كانت مكالمات راغب لزوج ابنته قليلة ودائما بسبب.. استغرب شريف توقيت المكالمة، خرج من غرفة المباحث وأجاب قائلا:

- أهلا يا راغب بيه.. إزي حضرتك؟

- الحمد لله تمام، عندي ليك خبر حلو.

- خبر حضرتك؟

- مبروك يا سيادة الرائد، خلاص بقيت رئيس مباحث المعادي.

- تقصد حضرتك الحركة الجاية.

- لأ، من النهاردة.. تعالَ البيت وانا أفهمك.

كاد شـريف يرقص في القسم من الفرحة.. خبر لم يتوقعه.. وأمنية طال انتظارها..

أنهى شـريف المكالمة، وذهـب إلى فيلا المحفـوظ.. جلس مع حما، الذي حكى له تفاصيل الخبر قائلا:

- حصـل مشـكلة امبـارح ما بيـن مدير أمـن الجيزة، ورئيـس مباحث امبابة..

قاطعه شريف قائلا:

- سمعت..

- الوزيـر نقـل رئيس مباحث امبابـة للمنوفية أو دمنهـور، حاجة كده، ومن ساعة اللواء هاشـم كلمني وقالي أكلم الوزير اسلم عليه، وهو بعد كده هيتصرف..

وضحـت الصـورة، تم نقل رئيـس مباحث المعادي إلـى إمبابة، وترقية شـريف من معاون مباحـث إلى رئيس مباحـث في محادثة هاتفية و«جرة قلم».. لم يجد شـريف كلمات تكفي لشـكر حماه.. وقف من مجلسه، مد يده وسلم على المحفوظ بحرارة قائلا:

- أنا مش عارف اودي جمايل حضرتك فين؟

- يـلا خد مراتك واحتفلوا سـوا.. وبكـره الصبح تطلع علـى الوزارة علشـان تسـتلم جـواب الترقيـة ولا جـواب التعييـن.. مـش عارف بتسموه إيه.

مرت شهور الحمل سريعا، وقبل ميعاد الولادة بستة أسابيع استعدت يري للسفر مع والدتها أميرة إلى أمريكا.. اقترحت الأم فكرة السفر على يري وشريف الذي وافق بدون تردد، مقتنعا بأن حصول أولاده على الجنسية الأمريكية «برستيج» وحصانة لهم ولمستقبلهم.. توقعت يري من زوجها السفر معهما لكنه اعتذر قائلا:

- ياريت، بس مايتفعش ابقى رئيس مباحث من كام شهر واخد أجازة.

كان شريف يعلم جيدا أنها رحلة شقاء وعناء، مستشفيات، فحوصات، تحاليل ومصاريف، فقرر الاعتذار مستترا خلف جدار المسئولية. وفي نطاق العمل فرض الرائد شريف سيطرته بقوة على قسم المعادي.. كان يشعر بأنه ضابط كفء ويستحق بالفعل أن يكون من أصغر رؤساء المباحث في القاهرة.. زواجه أيضا من ابنة المحظوظ، وغناها الفاحش أعطياه ثقة في نفسه تصل إلى حد التكبر والغرور، مكررا جملة شهيرة: «أنا يا جماعة بصرف على الداخلية من جيبي، المرتب اللي باخده فاتورة الموبايل».. وفي وقت قليل أصبح شديد التعسف مع الأمناء والعساكر وأحيانا مع الضباط الذين عملوا تحت إدارته.. لم يستخدم يده ولكن في المقابل كان سليط اللسان ينادي وينطق بالألفاظ البذيئة بدون تمييز أو تفكير.. أما في دائرة معارفه فاستمر في افتعال وادعاء الأدب.. اجتهد في خدمة من يريد، مما زاد وقوى دائرة علاقاته.. صنف كل من حوله في كادر واضح، مستفيدًا من الجميع أو كما يقال: «عرف من أين تؤكل الكتف»..

في وقت قصير أصبح اسم شريف بيومي رنانًا؛ إذ إن أسهمه ارتفعت في وزارة الداخلية، خدمات واتصالات مستمرة وشريف يجيب بثقة:

- سعادة الباشا، إنت تؤمر..

وفي منزل المعادي امتلك شريف خزانة صغيرة، إلا أنه اضطر لشراء أخرى عملاقة، وضعها في غرفة مغلقة، أمسك كل ما حصل عليه من مبالغ مقابل مصالح وقذف بها في داخلها قائلا لنفسه: «الخزنة دي لازم تتملي بسرعة»، وقد كان بالفعل..

وبعد مرور شهرين على الولادة عادت بيري وفي يدها التوأم «يارا وسارة» بعد حصولهما على الجنسية الأمريكية..

كان والدها وشريف ومعظم أفراد عائلته، ورنا في استقبالهم بالمطار.. وقف شريف على سلم الطائرة وأمسك يارا التي لم تتوقف عن البكاء.. استقل مع زوجته وابنتيه وأميرة سيارة خاصة واتجهوا جميعا إلى صالة كبار الزوار حيث كان ينتظرهم هناك الجد وهو في شدة الاشتياق لرؤية حفيدتيه.. عدد الحاضرين، والحفاوة، والورود أسعدت قلب الأم والجدة بعد رحلة طويلة وشاقة..

لم تعد بيري إلى منزلها بالمعادي، إنما ذهبت مع والدتها إلى فيلا المحفوظ.. بالرغم من وجود مربيتين إلا أنها احتاجت المساندة من أميرة التي رحبت بعودة ابنتها إلى غرفتها.. أيام وتحول منزل المحفوظ إلى حديقة كبيرة.. لم تتوقف سلال الورود، الزيارات والهدايا، البهجة ملأت المكان.. كانت مشكلة بيري الوحيدة هي ساعات النوم المتقطعة؛ سارة ترضع، ويارا تبكي.. يارا ترضع، وسارة تبكي.

التزم شريف بالحضور يوميا.. أحيانا دقائق صباحا، وعلى الأقل ساعة مساء.. حمل البنتين، حضنهما وأمطرهما بالقبلات وهو يتناول العشاء.. لم يكن شريف يحضر من أجل زوجته أو ابنتيه فقط، إنما على أمل لقاء المحفوظ والجلوس معه ولو لوقت قصير، فمازال الأمل يداعبه في الانضمام يوما إلى صرح المحفوظ الاستثماري..

عادت بيري إلى منزلها بعد شهر، وفي ليلة قمرية سعيدة احتفل شريف وبيري بعيد ميلاد التوأم، امتلأ منزلهما بالعائلة والأصدقاء، عشرات الهدايا والمفاجآت، عشاء دافئ على أنغام الموسيقى.

بعد أن رحل الضيوف جلس شريف مع حماه الذي أخرج ظرفًا من «الجاكيت»، فتحه وأخرج منه ورقتين، ثم أعطاهما لشريف قائلا:

- دول صور وديعتين لبارا وسارة في بنك في سويسرا، الوديعة تتصرف لما يتموا 21 سنة إن شاء الله.

انتبه شريف جيدا لكلمات راغب وهو ينظر إلى إحدى الورقتين محاولا قراءة المبلغ الذي تم إيداعه.. وصل شريف إلى الأرقام ولكنه لم يصدق نفسه، فأكد المحفوظ قائلا بهدوء:

- مليون لسارة، ومليون لبارا.. دولار.

أصاب شريف الذهول للحظات، ثم التقط أنفاسه، وبدأ في شكر حماه، الذي أكد عليه ضرورة الاهتمام بابنته وأولاده، والعمل على إسعادهم وراحتهم.. استمع شريف لكلمات المحفوظ وهو جالس في أدب ثم قال سائلا:

- أنا معنديش حاجة في حياتي غير البيت والشغل.. هي بيري اشتكت لحضرتك من حاجة؟!

نفى المحفوظ تماما، بل أكد أن بيري لا تتحدث عن تفاصيل حياتهما بالمرة.. اجتهد شريف في طمأنته بكلمات كثيرة، ثم عاد وكرر نفس الوعد الذي أقسم عليه قبل أن يتزوج بيري وهو الاهتمام، والرعاية، وحسن المعاملة..

وبعد أن شكره مرة أخرى رحل راضيا تاركا شريف وفي يده شهادتان بمليوني دولار، فرحة عارمة، أخلت توازنه وأصابت عقله وتفكيره: «مش كان يديني انا الفلوس، كنت عملت بيهم شغل ابن كلب، لو البنت مليون يبقى الولد أكيد بـ2.. لازم بيري تحمل تاني بسرعة!! يبقى بيري عندها كام في سويسرا؟! طيب هو ليه مش بيدخلني معاه في أي مصلحة؟! راجل غريب».

***

وفي ليلة من ليالي الخميس والساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل وقف الرائد شريف على رأس قوة لجنة في أحد الأحياء الراقية في منطقة المعادي.. لم يكن مهتما بالسيارات المارة أو بالرخص، فقد كان يضحك في مكالمة هاتفية مع معتز الذي طلب منه أن يشهد على زواجه العرفي من ممثلة مغمورة، إلا أن شريف قال معترضا:

- يعني انا رضيت اشهد على جوازتك الأولى ولا التانية علشان اوافق المرة دي.. أنا يا ميزو يا حبيبي مابمضيش على ورق!!

- يعني انت هتمضي على كمبيالة؟!

أجاب شريف ضاحكا:

- لعلمك انت هتشبه «القنبلة».. البت دي معروفة وهتشمنا في العمارة..

«القنبلة» كما يطلق عليها الصديقان هي «جرسونيرة» في حي المقطم قام شريف ومعتز باستئجارها للسنة الثالثة على التوالي.. اعتادا الذهاب إليها والسهر فيها مع أصدقائهما..

أثناء الحديث لفت انتباه شريف سيارة دايو لانوس نيبني، تقودها فتاة قادمة في اتجاه اللجنة.. كانت الفتاة جميلة ومثيرة، ترتدي ملابس ملفتة، ومكياجها الصارخ دل على عودتها من إحدى السهرات الليلية..

قاطع شريف صديقه قائلا:

- خليك معايا يا معتز..

ثم أشار بيده إلى الأمين للاهتمام بالسيارة القادمة.. إشارة تكررت أكثر من مرة على مدار الفترة الماضية.. تحرك الأمين بتركيز نحو السيارة، وبنبرة واضحة قال:

- الرُّخص.

ارتبكت الفتاة في لحظة، وبدأت في البحث عن الرخص.. رخصة السيارة في الدرج الصغير أسفل «الاستريو»، ورخصة القيادة في محفظة صغيرة داخل حقيبة يدها.. كانت نظرات الأمين ثاقبة وهو ينظر إليها

وحولها.. أخذ الرخص وبدأ يقرأ في بيانات السيارة ورخصة القيادة..
وبعد لحظة رفع الرخصة بيده وهو ينظر إلى الرائد شريف الذي كان يتابع
الموقف باهتمام شديد، ثم قال بصوت واضح:

- رخصة العربية منتهية.. اركني على جنب.

تحركت الفتاة بالسيارة والأمين يتحرك بجانبها مشيًا على قدميه، تابع
شريف بدقة كل حركة إلى أن وقفت السيارة الدايو على جانب الطريق..
ثم عبر الشارع وهو مازال يتحدث مع معتز فقاطعه قائلاً:

- هارجع اكلمك تاني يا عريس.

أخذ شريف الرخص من الأمين آمرًا:

- فتش العربية.

نظر شريف في رخصة القيادة.. ثم وجه حديثه إلى الفتاة قائلا:

- سحر.. آسف، آنسه سحر، ولا مدام سحر، معانا بطاقة؟!

انضم للأمين زميل آخر وبدآ معًا في تفتيش السيارة، أما سحر ففتحت
المحفظة وأخرجت البطاقة وأعطتها للضابط قائلة:

- حضرتك الرخصة منتهية، اسحبها وخلاص.

أجاب شريف بنبرة ساخرة:

- 29 سنة.. مش ممكن ده انا قلت مش أكتر من 23، «مطلقة».. أنا
مش فاهم نسبة الطلاق زادت ليه اليومين دول.

تصرف شريف بمنتهى البرود إلى أن قال فجأة بصوت حازم:

- انزلي من العربية علشان يعرفوا يفتشوا كويس..

ارتبكت سحر وفتحت باب السيارة ونزلت منها وهي تقول بعصبية:

- ليه كل ده؟ بعد إذنك أنا عايزه امشي.

لم يرد شريف بل عقب أحد الأمناء وهو يمسك حقيبة يدها التي أخذها من داخل السيارة قائلا:

- يا باشا احنا هنفتش الشنطة.. الأستاذة تقف معانا علشان ما تجيش تقول ان فيه حاجه ناقصة..

اعترضت سحر وقالت بغضب:

- ماحدش يمسك شنطتي، أنا هاطلع كل حاجة فيها.

أعطى الأمين الشنطة لسحر قائلا:

- بعد إذنك كل حاجة في الشنطة تتحط على كبوت العربية.

أخرجت سحر كل ما بداخل الشنطة بعصبية ووضعته على «كبوت» السيارة.. تابع شريف باهتمام الأمين الذي بدأ تفتيش أغراض سحر الكثيرة إلى أن رأى فجأة أمامه «ورق بفرة»..

أمسك الأمين البفرة ورفعها عاليا، فعلق شريف مستهزئًا:

- طبعا دي بتلمعي بيها النضارة.

لم تجب سحر، بل نظرت إليه والرعب يسيطر عليها، وبداخلها صوت يقول: «ماذا يخبئ لي القدر في هذه الليلة؟!»

أضاف شريف ساخرا وواثقا:

- طالما فيه بفرة يبقى أكيد فيه نضارة. هاتقوليلنا فين الشيكولاتة يا مدام سحر ولا ندور لغاية لما نلاقي؟!

أجابت سحر بعد فترة صمت قائلة:

- البفرة دي مش بتاعتي، دي بتاعت واحدة صاحبتي.

ضحك شريف معقبا:

- طيب هي فين صاحبتك؟!

تحرك شريف ونظر داخل السيارة وأمسك علبة سجائر وجدها على التابلوه.. فتحها وقال مستأذنًا:

- ممكن آخد سيجارة، أصل سجايري في العربية.

كانت سحر تعلم جيدًا أن بداخل علبة السجائر قطعة حشيش وسيجارة ملفوفة..

أصاب الرائد الهدف.. كم كان سعيدًا بهذه المفاجأة، بالرغم من أنها كانت متوقعة.. أمسك السيجارة الملفوفة في يده ثم حرك علبة السجائر فسمع صوتًا مميزًا يعرفه جيدا.. قطعة حشيش كبيرة في سوليفان أحمر، أخذ شريف سيجارة و أشعلها قائلا:

- أنا بصراحة ماليش نفس الاقي حاجة تانية!!

ثم وجه حديثه إلى الأمين قائلا باستهزاء:

- أنا مش عارف انتوا إمتى يا حيوانات هاتتعلموا تفتشوا؟! روح يا زفت منك له شوفوا العربيات اللي عماله تعدي ديه.

ابتسم الأمينان وعبرا الطريق وتركا شريف وسحر معًا قائلين:

- حاضر يا باشا..

- تؤمر يا باشا.

كانت سحر على وشك البكاء، ولكنها بذلت مجهودًا جبارًا للتماسك في ذلك الموقف الصعب..

نظر إليها شريف قائلا بهدوء:

- اركبي عربيتك يا سحر، بدل ما الرايح والجاي عمال يتفرج عليكي كده.

فتحت سحر باب سيارتها بعد أن فرت الدمعة من عينيها، وشريف يتابع توترها، قائلا ببرود قاتل:

- ماتخافيش، الموضوع بسيط.

تحرك شريف سريعا حول السيارة، فتح الباب وجلس بجانب سحر التي كانت في قمة الخوف والحيرة، وفي حالة ارتباك ملحوظ.. فتح السوليفان، شم قطعة الحشيش وقال ساخرا:

- يعني بالذمة، أعملك قضية على شيكولاتة فشنك؟! والله حاجة تزعل!

ثم اقترب شريف كثيرا من سحر وقال هامسا:

- قوليلي.. تحبي نعمل إيه؟!

أجابت سحر بصوت ضعيف وخافت:

- اللي حضرتك تشوفه اعمله.

وفاحت رائحة خمرة طفيفة من فم سحر فحياها شريف صارخا:

- يا جماله.. وكمان سكر بيّن في الطريق العام!! قوليلي بقى بيرة ولا ويسكي؟

- أنا كنت في حفلة وشربت قزازة بيرة.. والحشيش ده بجد مش بتاعي.

- طبعا مش بتاعك.. ده بتاع خالتي.

ثم ضحك مقلدا عادل أدهم سائلا:

- ضحكة مين دي يا قطة؟

لم تستطع سحر التماسك أكثر من ذلك، أمسكت هاتفها المحمول كانت تريد الاتصال بأحد أصدقائها الضباط.. بدون تردد أمسك شريف يدها في هذه اللحظة بثقة، ونصحها قائلا:

- في الأوقات اللي زي دي، مكالمة تليفون ممكن تضر أكثر ما تفيد..

ثم بدأ في توجيه مذكرة الاتهام لسحر:

- تعاطي، وسكر بيّن، ورخصة منتهية، وممكن كمان تعدي على الشرطة أثناء تأدية وظيفتها.. يا ساتر، كل ده.

بكت سحر بأكثر من دمعة، فحاول شريف إذابة جبل الخوف الذي سيطر عليها، فسألها عن حياتها الشخصية، سكنها وعملها..

تخرجت سحر بعد ست سنوات في آداب قسم تاريخ.. تزوجت وهي في العشرين من عمرها وأنجبت طفلة.. عادت بعد الطلاق هي وابنتها إلى شبرا لتعيش مع أمها وأخيها الذي يصغرها بأربع سنوات.. توفي والدها بعد سنة من طلاقها، وامتنع والد ابنتها عن دفع أي مبالغ مالية لتربية ابنتها.. لم تتردد سحر في التقدم للعمل في كازينو قمار بأحد الفنادق العالمية.. نجحت في الاختبار.. وبالرغم من رفض الأم إلا أنها تسلمت عملها الجديد مهتمة فقط بجمع المال.. وفي الكازينو كافحت للاحتفاظ بكرامتها، رفضت إغراءات كثيرة ومتكررة، باحثة عن حنان وحب حقيقي يعوضها عمّا مرت به من صعاب وآلام خلال السنين الماضية..

حكت سحر للضابط حياة عملية مختلفة تماما، ادعت أنها كانت تعمل سكرتيرة في شركة والآن بدون عمل، وتعيش مع ابنتها وأمها منذ أن تم طلاقها.. ثم سألها شريف عن حفلة الليلة وقبل أن ترد فاجأها باقتراحه قائلا:

- لا.. إحنا بقى نكمل كلامنا في البيت.

انزعجت سحر سائلة:

- بيت إيه؟!

- أي بيت.

- يعني إيه؟

أجاب شريف بمنتهى العجرفة:

- دلوقتي، إنتي عندك اختيار من اتنين.. يا تركبي العربية الكحلي دي (وأشار إلى سيارته البيجو الجديدة)، يا تركبي العربية الكحلي اللي هناك (مشيرا إلى «بوكس» الشرطة)..

كان العرض واضحًا وصريحًا، حاولت سحر مرارا وتكرارا الاعتذار بل والرجاء على وعد بتحديد موعد آخر؛ حيث إن الساعة كانت تقترب من الثانية بعد منتصف الليل، إلا أن شريف رفض بإصرار اقتراحها قائلا:

- إنسي.. ساعة الحظ ما تتعوضش.. وبعدين هي كاس وسيجارة، فرفشة، بدل العجز والبهدلة.

فشلت سحر، أو بلغة أخرى لم يعطِ شريف لها أي اختيار أو بديل فاستسلمت في النهاية سائلة:

- احنا هنروح فين؟!

- عشر دقايق من هنا.

أشار عليها شريف بالتوجه والانتظار أمام محطة بنزين في نهاية الطريق، محذرًا، ومتوعدا إذا حاولت الهروب، وقائلاً بلغة مزجت بين المزاح والجد:

- هاتيجي هاتيجي، وتحليل مخدرات وحجز، وقضية تعاطي وحبس على الأقل سنة.

كانت كلمات الرائد أعنف وأقوى من طلقات نارية في ميدان القتال..

بالفعل، خطر في بال سحر الهروب فور قيادتها للسيارة ولكن كلمات وتهديدات الضابط بثت الرعب في نفسها.. انتظرت في سيارتها لدقائق متمنية عدم حضوره، إلى أن جاء وهو يقود سيارته البيجو، زجاج أسود قاتم، ونسر الداخلية واضح، ليس فقط على الزجاج الأمامي، بل على الخلفي أيضا.. أنزل زجاج السيارة وأمرها بترك سيارتها والركوب معه، ثم قال لها في اللحظة التي جلست فيها بجانبه:

- هو انتي مكشرة ليه؟!

كان الحزن يكسو وجه سحر.. نعم، أقامت سحر علاقة مع رجل واحد منذ طلاقها، ولكن برغبتها، وعن حب واقتناع شخصي.. وفي الطريق اجتهد شريف في مداعبتها، واعدا بصداقة تدوم، وسعادة لا تنتهي.. أما سحر فكانت تسمع حديثه وشعور الكراهية يزداد بين الكلمة والأخرى.. دقائق ووصلا إلى «القبلة»، وقدما سحر تتحركان ببطء شديد.. بناية بلا حارس، فتح شريف الباب المغلق بمفتاحه الخاص، دخل أول شقة على اليمين بعد أن صعدا بضع درجات من السلالم.. الشقة مرتبة وذات ذوق أمريكي واضح، مطبخ مفتوح على غرفة استقبال واسعة، وفي الداخل غرفتا نوم.. يستخدم شريف واحدة وصديقه معتز الأخرى..

اهتم شريف بكرم الضيافة سائلًا:

- بيرة ولا ويسكي؟!

ثم أضاف ضاحكا:

- الحشيش هنا إجباري..

- لأ، أنا مش عايزة حاجة.. أنا مش هاقدر اتأخر.

لم يبالِ شريف بما قالته سحر:

- هاشربك أنا بقى حشيش بس أصلي.

اختفى شريف في الداخل، ثم عاد بعد دقيقة واحدة ومعه قطعة حشيش أكبر من حجم علبة السجائر.. جلس على كرسي البار من داخل المطبخ المفتوح واضعا صحنًا أمامه، به التبغ وورق البفرة ثم بدأ في لف سيجارة قائلا:

- فوكي بقى. شغلي التلفزيون، الريموت عندك اهوه..

أمسكت سحر الريموت، وضغطت على الزر الأحمر، فظهرت نانسي عجرم بأحدث أغانيها..

- يا جمالها.. هاترقص بقى.

ثم أضاف شريف بعد أن أشعل سيجارة «ملفوفة»:

- إوعي تقولي انك ما بتعرفيش ترقصي!

لم ترد سحر فهي مازالت في حالة ذهول: «أين هي الآن؟! من هذا الرجل؟!».

تحرك شريف من مكانه، فتح الثلاجة، أخرج زجاجة بيرة، فتحها وأعطاها لسحر التي أخذتها بدون تعليق، ثم أمسك بمفرش كبير كان ملقى على أحد الكراسي، وساعدها على الوقوف لربطه حول جسدها قائلا:

- يلا، فرجينا بقى..

تحركت سحر واهتزت على أنغام الموسيقى باستسلام، أما شريف فبدأ في تدخين السيجارة الملفوفة بشراهة.. لم يستمر هذا المشهد أكثر من ثلاث دقائق، إلى أن أمسك شريف يدها، وسحبها إلى غرفته لقضاء الجزء الأخير من السهرة هناك.. انتابت سحر خلال هذه الفترة أحاسيس الضعف والانكسار، المهانة والذل، داعية أن تفيق من هذا الكابوس المؤلم في أسرع وقت ممكن..

بعد حوالي ربع ساعة، قفزت سحر من السرير وهي في قمة الاشمئزاز.. دخلت الحمام، أما شريف فبدأ الرد على هاتفه المحمول الذي استمر في الرنين بدون توقف.. استقبل مكالمة الحاج عباس وهو في منتهى السعادة قائلا:

- مكالمات آخر الليل وجمالها، «نجمة 500»، يا سلام عليك يا حاج.. هو دا الكلام. طيب خليني اظبط مع الرجالة واجيلك..

منذ عامين أقنع الحاج عباس ابن صديقه بالعمل معه في السيارات المهربة من ليبيا.. تقصى شريف تفاصيل وأبعاد الموضوع إلى أن تعرف على الشيخ سويلم، واحد من أشهر الأعراب الذين يعيشون في منطقة جبلية قريبة من السلوم.. اعتاد سويلم تهريب السيارات المسروقة من ليبيا وبيعها بأسعار زهيدة.. نجح شريف في الاتفاق معه حتى أنه اشترى منه ثلاث سيارات بدون أن تحدث أي مشكلة تذكر.. التزم سويلم بالتسليم والتزم شريف بالدفع.. وفي المقابل، احترف الحاج عباس، صاحب

الخيرة الواسعة، ترخيص هذه السيارات ثم بيعها بأسعار السوق، وبنسبة ربح غير طبيعية.

وفي الحمام انفجرت سحر بالبكاء وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.. امتزجت الدموع بالمياه وهي تغسل وجهها الشاحب.. سيطر عليها إحساس الندم سائلة: «هل كان لي أن أرفض؟!»

كان هذا هو أهم سؤال من أسئلة كثيرة بدون إجابات، أو بإجابات ليست ذات قيمة أو معنى الآن.

خرجت سحر من الحمام وهي مرتدية ملابسها.. كان شريف يتحدث بعصبية في مكالمة أخرى، وما إن رأى سحر حتى وضع أحد أصابعه على فمه، مشيرا إليها بالتزام الصمت.. في هذه المكالمة عاتبت بيري زوجها على اختفائه طول النهار والليل.. ثم عنفته لعدم اهتمامه بالبنات بالرغم من علمه بمرضهما معًا بدور برد قاسي.. أجاب شريف بردود جافة ومستفزة قائلا:

- هاعملهم إيه يعني؟! هو انا دكتور؟! خلاص أنا هاسيب شغلي وآجي أشيلهم معاكي..

لم تجب بيري على كلماته المستفزة، إنما طلبت منه شراء دواء من الصيدلية في طريق عودته إلى المنزل..

أنهى شريف المكالمة ثم قفز من السرير وهو يقول لسحر:

- عايزه دواء، طب ما تكلم الصيدلية تبعته!! دماغ ستات بنت كلب.

لم ترد سحر بل كانت تتفادى النظر إلى شريف الذي قال لها وهو في طريقه إلى الحمام:

- طلعتي مُزة يا قطة.

من سياق المكالمة الأخيرة، تأكدت سحر أنه يتحدث مع زوجته.. تحركت بسرعة، أمسكت تليفونه المحمول في يدها، قرأت اسم بيري ورددت رقم هاتفها المحمول في سرها أكثر من مرة، رقم مميز وسهل حفظه، ثم اتجهت إلى حقيبة يدها، أخرجت هاتفها المحمول وسجلت الرقم في لهفة وارتباك.. في هذه اللحظة فقط أحست سحر بنشوة الانتصار، بالرغم من أنها لم تكن تعلم ماذا ستفعل بهذا الرقم..

وبسرعة ارتدت حذاءها، ثم خرجت إلى غرفة الاستقبال، جلست على أحد الكراسي القريبة من باب الشقة متمنية الرحيل من هذا المكان في أسرع وقت.. دقائق وظهر شريف الذي مد يده إلى سحر قائلاً:

- امسكي..

قرر شريف قبل الرحيل إهداء سحر قطعة حشيش كبيرة كمقابل أو مكافأة، إلا أنها رفضت قائلة:

- لأ، مش عاوزه.

- ماتخلنيش ازعل منك، وبعدين احنا بقينا حبايب خلاص.

أخذت سحر قطعة الحشيش على مضض، فكل ما كانت تريده الآن هو الرحيل.. الرحيل.. الرحيل.

وفي طريق العودة إلى سيارتها، سألها شريف عن رقم هاتفها المحمول قائلاً:

- اطلبيني علشان اسجل نمرتك..

توقعت سحر هذا الموقف، استعدت له جيدًا، أخرجت البطارية من هاتفها ووضعتها في حقيبتها، وأجابت بثقة:

- الموبيل قطع، البطارية فضيت.

وكما توقعت سحر مد شريف يده قائلا:

- وريني كده.

أخذ شريف هاتف سحر من يدها، ضغط على زر التشغيل ثم قال:

- صدقتي يا قطة.

- خدي رقمي واديني رقمك وانا هاكلمك بكره.

- معاك قلم في العربية؟

أعطته سحر رقم هاتف صديقة لها، خط تعلم جيدًا أن صديقتها لا تستخدمه.. حاول شريف الاتصال بالرقم فسمع صوتا يقول: «الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا».

وفي المعادي وقفت سيارة شريف بجانب سيارة سحر التي كانت تدون رقم هاتفه، وقبل أن تنزل من السيارة قال لها شريف مودعا وبثقة:

- يوم الخميس اللي جاي، بس بدري شوية.

ابتسمت سحر وهي تنظر إليه قائلة:

- طيب.. ممكن بقى تديني الرخص؟!

***

الفصل
التاسع 9

جلس وليد وزوجته في صالة الاستقبال في انتظار ميعاد الكشف الأول، عيادة فاخرة في مستشفى متخصص في الولادة بالمعادي، ذوق رفيع وموسيقى هادئة.. استقبلهما الدكتور عاطف بحفاوة، اهتم أولا بالسؤال عن صديقه الدكتور رأفت وامتدحه بأجمل الكلمات، ثم سأل وليد عن عمله فأجاب قائلا:

- ظابط شرطة.

أبدى عاطف رأيه وشعوره بمنتهى الصراحة تجاه ضباط الشرطة قائلا:

- يا أخي أنا عمري ما حبتكم، ما عرفش ليه؟!

أجاب وليد بهدوئه المعتاد:

- علشان ما بتشفوناش غير في المشاكل، يعني لو سعادتك رايح تشتري عربية مرسيدس جديدة بـ $\frac{1}{2}$ مليون جنيه هتبقى حاسس بإيه؟

- هابقى مبسوط جدا.

- طيب لو وقعت بالعربية دي في مطب والمساعد اتكسر، هتبقى حاسس بإيه؟

- هابقى متضايق جدا.

- هي ديه المشكلة، الناس مبتروحش القسم غير لما المساعد يتكسر، ويبقى عايزانا نصلحه، بغض النظر هما صح ولا غلط.

- حلو التشبيه ده يا وليد.

ثم سأله عاطف عن إصابته:

- حصل إيه في إيدك؟!

- إصابة عمل..

- فعلا؟ إزاي؟

أجاب وليد على نفس السؤال للمرة الألف قائلا:

- في مأمورية.. كنا بنقبض على تاجر مخدرات في أسيوط.

أضافت مها بحماس:

- دي كانت حرب، 22 ساعة ضرب نار، ومات فيها واحد عريف!!

انزعج الطبيب من الخبر، ووجه حديثه إلى وليد قائلا:

- برضه الشغلانة بتاعتكم دي خطر جدا.. ربنا يكون في عونكم.

- شفت بقى.

وبنظرة جديدة ومختلفة أضاف الطبيب:

- ألف سلامة.

- الله يسلمك.

ثم وجه حديثه إلى مها سائلا:

- ها.. واحنا أخبارنا إيه يا دكتوره؟!

وبعد أن تعرف الطبيب على مها وحياتها العملية، بدأ في سرد الأسئلة وتدوين الإجابات في ملف فحص، ثم طلب من مساعدته تحضير ترتيبات الكشف. تابع وليد المناقشة بتركيز، وعندما رددت مها بعض المصطلحات الطبية بطلاقة قال وليد معترضا:

- كده مش هينفع.. أنا عايز اسمع كلام افهمه!

ضحك الطبيب معقبا:

- ظابط وقاعد مش فاهم.. دا انت أكيد بتعذب دلوقتي.

ثم نظر إلى مها وأضاف مبتسما:

- إوعي تقوليله أي حاجه.

بعد هذا اللقاء الحميم وقف الطبيب وطلب من مها الانتقال إلى غرفة ملتصقة بمكتبه لبدء الكشف.. ذهبت مها وجلس وليد منفردا يتجول بنظراته في المكان.. مكتب واسع وأنيق.. شهادات كثيرة من بلاد مختلفة، مكتبة منظمة ومليئة بالكتب الطبية، وُضِعَت عليها أيضا صور عديدة لأطفال جميلة.. تمنى وليد في لحظة أن يضع صورة ابنه أو ابنته في وسطهم.. وفجأة نادى الطبيب من غرفة الكشف بصوت عالٍ قائلا:

- إنت ممكن تيجي يا.. هو جوزك رتبته إيه؟!

- نقيب، بس هيترقى رائد شهر 7 اللي جاي.

- يا سيادة الرائد..

دخل وليد فوجد مها على فراش الكشف في سكون تام.. الممرضة تقف في حالة ترقب والطبيب جالس وفي يده جهاز وضعه على بطن زوجته.. حرّكه في اتجاهات مختلفة إلى أن أشار بإحدى أصابعه على الشاشة أمامه قائلا:

- تعالَ شوف ولي العهد.

استغرب وليد المشهد سائلا:

- إيه ده، إيه اللي بيتحرك ده؟!

- ده نبض قلب الباشا الصغير.

- هو بقى ليه معالم؟

- آه طبعا، بس هيبان أكتر في الزيارة اللي جايه، وكمان متوقع الولادة على شهر 4، تاني أو تالت أسبوع.

ذهل وليد من هذا الخبر فقال معلقا:

- إيه التكنولوجيا دي؟

- تكنولوجية إيه يا سيادة الرائد، الموضوع ده قديم أوي.

وبعد الكشف، أعطى الطبيب «سي دي» سجل عليها تفاصيل السونار، ثم طبع نسختين لصورة الجنين على أوراق، مدون عليهما بعض الأرقام والتواريخ.. أعطى لمها واحدة، وأضاف الثانية إلى الملف العلاجي، وفي نهاية الكشف طلب عاطف من مها إجراء بعض التحاليل الروتينية للاطمئنان، ثم اعترض بشدة على رأي وليد بعدم ذهاب زوجته للعمل، لكنه طلب منها توخي الحذر في الحركة، وضرورة الابتعاد عن أي إجهاد إضافي وبالتحديد حتى نهاية الشهر الثالث..

ثم نظر الطبيب إلى وليد وقال مبتسما:

- عايزينك تستريح شوية يا سيادة الرائد.. ده (precious baby).

- أوامرك يا دكتور.

وفي لفتة طيبة رفض عاطف بإصرار الحصول على أي أتعاب قائلا:

- إنتوا عايزين الدكتور رأفت يفضحني.. وبعدين ما تقلقش يا وليد بيه هتدفع كتير بعد كدا.

شكر وليد الطبيب على موقفه الكريم وانصرفا معًا وهما في قمة السعادة والاطمئنان..

***

اعتاد وليد خلال تلك الإجازة الذهاب مع عمرو إلى مقر عمله.. في واقع الأمر كان عمرو هو السبب الرئيسي وراء إتقان وليد للكمبيوتر، أنشأ لصديقه أول بريد إلكتروني سنة 1997 قائلا بثقة:

- في خلال 10 سنين الكمبيوتر هيسيطر على العالم، وابقى افتكر كلامي ده.

وفي مقر شركته جلس وليد بجانبه، يتابعه وهو يكتشف مميزات اللاب توب الجديد، متصفحا مواقع الإنترنت، وفي غضون أيام تعلم وليد الكثير، حتى توقف عن سؤال صديقه مثلما كان يفعل على مدار السنوات الماضية.. وفي «لحظة تجلٍّ» اعترف له عمرو قائلا:

- إنت بصراحة مخك نضيف، وكان ممكن تبقى «Programmer» شاطر.

- ياهو بنفسه بيقول اني بفهم، والله دي شهادة أعتز بيها.

ثم تحدث وليد عن عزمه التقديم للدراسات العليا قائلا:

- عايز الرسالة يبقى ليها علاقة بالتكنولوجيا والداخلية.. فيه كام حاجه كده في دماغي، على العموم لما اقرر هاقولك انا بفكر في إيه.

اهتم وليد أيضا بالذهاب إلى وزارة الداخلية، لمتابعة إجراءات تكريم الشهيد ناجي الغمراوي وأسرته. تأكد من وضع اسمه في كشف الشهداء والأبطال الذين سيتم تكريمهم خلال الاحتفالات القادمة بأعياد الشرطة. تمكن وليد أيضا من الحصول على موافقة فورية من السيد الوزير بصرف مكافأة ومعاش استثنائي لأسرته..

وفي مستشفى الشرطة فك وليد الجبس بعد مرور ستة أسابيع تقريبا.. أثبتت الأشعة التام عظيمات المفصل، وقبل أن يرحل من المستشفى طلب منه الطبيب المعالج استخدام يده بحرص وفي أضيق الحدود لتجنب

حدوث أي مضاعفات، ثم أكد عليه الالتزام الكامل بالعلاج الطبيعي لمدة شهر على الأقل، حفاظا على بنان وسلامة يده.. وفي المساء كان وليد يقضي ساعات طويلة مع مها في المنزل؛ مما أثار فضول واعتراض أصدقائه، تعلل أولا بإصابته وعلاجه الطبيعي، وثانيا بتحضير فكرة مشروع الدراسات العليا.. تمنى الاعتذار عن رحلة الصيد التي تم الاتفاق عليها منذ فترة وتم تأجيلها بسبب إصابته إلا أن إسماعيل أصر قائلا:

- إنت وعدتنا نطلع الطلعة ديه قبل ما ترجع المنيا.

حاول عمرو أيضا الهروب من رحلاتهم السابقة ولكنه كان دائم الفشل، حضوره وخفة دمه يعطيان لكل رحلة مذاقًا خاصًا، وجوده كرابع للكوتشينة مهم وأساسي، بخلاف أنه قبل أن ينطق بجملته الشهيرة «مش هاقدر» قال له إسماعيل بثقة:

- انسى يا عمرو، واعمل حسابك كمان اننا هانطلع بعربيتك.

نعم لم يهوَ عمرو الصيد، ولكنه أحب الصحبة، استمتع بالتغيير، وبذكاء استغل هذه الرحلات في مراجعة وترتيب ملفاته على اللاب توب، وقراءة بعض الأبحاث المهمة، وكتابة «إيميلات» فشل في إيجاد وقت لها وسط هذا الكم الهائل من الأعمال المتراكمة..

اعتاد الأصدقاء الأربعة الذهاب إلى وادي الدوم أو العين السخنة في الرحلات القصيرة، وشرم الشيخ أو الغردقة في الإجازات الطويلة.. وقع الاختيار في هذه الرحلة على وادي الدوم.. مركب جديد «نورماندي» يقوده باحتراف الريس عوضين.. تولى إسماعيل جميع الترتيبات معه وتم

الاتفاق على «ركوب البحر»، كما سماها الصيادون، من وادي الدوم فجر الجمعة.

فشلت مها في الاعتراض، فقد كان وليد على مدار أكثر من أربعين يوما نموذجًا للزوج المثالي، تواجد بجانبها دائما، خرجا واستمتعا كثيرا، بخلاف أنه ساهم في كل أعمال المنزل عن طيب خاطر..

في ليلة السفر التقى الأصدقاء الثلاثة الساعة العاشرة مساءً للذهاب معًا لشراء الطُعم من سيط، سردين، جمبري وباغه.. رفض عمرو الانضمام إليهم، فهو يعي تماما أن عملية الشراء ستمتد ساعة أو ربما أكثر.. تجربة مريرة، ومر بها من قبل.. وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عاد الثلاثي المرح كما لقبهم صديقهم الذي قال ساخرا:

- أكثر من ساعتين بتشتروا طعم، اللي يشوفكو كده يقول وحوش رايحين يصطادوا، لما نشوف هاتجبولنا ايه بعد الدوشة دي كلها..

في الخامسة والنصف صباحا انطلقت « نورماندي» بانسيابية في مياه البحر الأحمر وسط الأجواء الساحرة.. بدأ الأصدقاء في تناول طعام الإفطار ولعب الكوتشينة، بينما ماكينة إسماعيل (الترولينج) تبحث عن السمكة الأولى في أعماق وعرض البحر إلى أن علق عمرو ساخرا:

- ولا جرس واحد، وعامل فيها محترف ومكن ترولنج وشنطة عدة وخيوط ورصاص وسنون!!

أجاب إسماعيل بثقة:

- اصبر بس.

- ما انا صابر اهوه، لما نشوف أخرتها إيه.

صعد وليد للريس عوضين وسأله:

- هاتربط فين يا ريس؟!

- فنار أبو الدرج يا باشا.

- الله ينور.

دقائق ونادى الريس عوضين قائلا:

- لم الجريرة يا أستاذ إسماعيل.

بدأ إسماعيل في رفع ماكينة «الترولينج» فقال عمرو معقبا:

- نزل الجريرة، لم الجريرة، الأستاذ إسماعيل شكله وحش أوي.

ثم نادى الريس عوضين بأعلى صوته:

- سلامة، اطرح هنا.

رمى سلامة البحري الهلب حتى استقر، هزه بقوة حتى ارتطم في الشعب المرجانية قائلا بأعلى صوته:

- تمام يا ريس.

توقفت المحركات ورست «نورماندي»، وبدأ الأصدقاء الثلاثة التسقيط، أما عمرو فانسحب في هدوء ونزل إلى إحدى الغرف لينام.. مرت ساعة كاملة بدون سمكة واحدة.. اقترح هاني التحرك، فوافق الجميع.. بدأ

الريس عوضين في إدارة المحركات مرة أخرى فاستيقظ عمرو واستفسر عن السبب فأجاب وليد، وكأن «على رأسه بطحه»:

- هانغير المكان.

تجول عمرو وسطهم فلم يجد سمكة واحدة.. بدأ في تكرار ما تعلمه من كلمات على مدار السنوات الماضية:

- ممنعة، صح؟! مافيش نقر ولا إيه؟!

تحرك المركب وعمرو يضحك بدون توقف قائلا:

- طيب ما كنا نشتري اتنين تلاتة كيلو سمك وخلاص، وأجهزة ومعدات و 3 ساعات بيشتروا طعم!!

ثم تقمص عمرو دور الريس عوضين مناديا:

- الجريرة يا أستاذ إسماعيل!!

جلس الأصدقاء الثلاثة في هدوء وسكون تامين إلى أن وصل المركب إلى «الطواحين».. وفي هذا التوقيت أحس عمرو بكم استياء أصدقائه من تعليقاته.. حاول تلطيف الموقف فانضم إليهم محاولا استيعاب ما يدور في عالم الصيد.. جلس عمرو لأول مرة بجانب إسماعيل، أمسك عصا الصيد فقال له صديقه شارحا:

- إنت تفضل ماسكها كده وأول ما تحس ان فيه حاجة شبكت ترفع على طول.

لـم يرد عمرو، ولكن بعد أقل مـن دقيقة واحدة أحـس ببعض التفاعل القوي مع العصا التي أمسكها في يده، فقال صارخا:

- فيه حاجة بتخبط.

سـاعده إسـماعيل في رفع العصـا حتى فوجـئ الجميع بسـمكة كبيرة أمامهم، فانفجر عمرو ضاحكًا:

- بقـى هـي دي اللـي بتـدوروا عليهـا؟! طيـب مـا كنتـو تقولولي من الأول.

منـذ هـذه اللحظـة تغيـر الإحـسـاس علـى المركـب، عـادت الـروح والابتسـامة، وبدأت صناديق الـ «آيس بوك» تمتلئ عن آخرها بالأسـماك المختلفة، وبدون توقف، أما إسـماعيل فاسـتمر في إشـباع هوايته بالتقاط الصور التذكارية مستخدما كاميرته الجديدة.

مـر يـوم جميـل وناجح مـا بيـن تسـقيط، راحة، كوتشـينة، جـو جميل وأسـماك شـهية من أيدي عم عوف طباخ المركب.. لم تتوقف أيضا أغاني أم كلثوم، فيروز، وعبد الحليم.. وفي المساء، انسحب هاني وعمرو للنوم، أما وليد وإسـماعيل فجلسـا حتى الفجر معًا. انتهز إسماعيل الفرصة فأعلن خبرًا مهمًا:

- أنـا امبـارح اتفقت مع بابا نـروح لحنان يـوم الاتنين اللـي جاي في بيتها!!

اندهـش وليـد؛ لأنـه كان يعلم جيـدًا موقف والد إسـماعيل مـن حنان واعتراضـه علـى مسـتواها الاجتماعـي والتعليمـي، لـم يكن وليـد رافضًا

للفكرة، ولكنه في نفس الوقت متفهم لموقف والد إسماعيل؛ مستشار مجلس الدولة أمام والد حنان مدير محطة البنزين.. هنأ وليد صديقه، ولكنه لفت انتباهه إلى أن الزيارة لا تعد موافقة نهائية، وإنما خطوة إيجابية في الوصول إلى ما يريده إسماعيل.. اختلف موقف الأصدقاء، فلم يوافق أو يعترض هاني، والتزم الصمت، أما عمرو فكان رافضًا، مقتنعًا بأن إسماعيل يستحق الزواج من فتاة أفضل اجتماعيًا وثقافيًا.. استاء إسماعيل من كلمات صديقه حتى قرّرا معًا عدم التطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى..

استغرق الجميع في النوم بعد يوم طويل وشاق.. بدأ بخيبة أمل للصيادين، وانتهى بنجاح ساحق مليء بالرزق.. لم يختلف كثيرا اليوم الأول عن اليوم الثاني.. وعلى سطح المركب استمر الأصدقاء في التحدث عن أخبارهم العملية تارة وحياتهم الشخصية تارة أخرى، ومن كثرة اتهامات أصدقائه له بقلة الحديث، والتكتم على تفاصيل حياته، اتخذ وليد قرارا بإعلان نبأ حمل زوجته:

- أنا عندي ليكم خبر حلو.

استوعب عمرو الخبر من تردد وليد، ومن بعده هاني، بينما وقف إسماعيل تائها فقال الصديق الساخر:

- أكيد يا سمعة وليد هايتجوز تاني.. هو فيه خبر أحلى من كده؟

بالرغم من عدم التطرق إلى هذا الموضوع من قبل، إلا أن الأصدقاء الثلاثة كانوا يعلمون جيدا، أن وليد ومها مرا بظروف صعبة، وانتظرا ولي العهد بفارغ الصبر.. قفز إسماعيل وأطال حضن وليد في تأثر بالغ..

ومن بعده هاني الذي ارتفع صوته عاليا:

- ويل يا ويل.. ألف مبروك يا ويل.

وأخيرًا عمرو الذي كان يجلس القرفصاء وجهاز اللاب توب على قدميه:

- تعالَ يا وليد اديني بوسة، أصل أنا مش قادر أقوم، رجلي منملة.

ذهب وليد إلى عمرو وقبله، ومن خلفه إسماعيل الذي قرر أن يستغل الموقف في تعذيب صديقه الذي صرخ بأعلى صوته:

- بس يا إسماعيل!! رجلي، مش قادر!!

وفي «لحظة تجلي» أخرى، تحدث هاني وبصدق، ولأول مرة عن مشكلته مع أمه «مدام ماري».

والدة هاني؛ سيدة منزل تقضي معظم وقتها في الكنيسة ما بين عبادة، وأعمال خيرية.. حاولت والدة هاني أن تقنع ابنها بالزواج أكثر من مرة.. بذلت معه مجهودًا جبارًا بدون كلل أو ملل.. وعلى الجانب الآخر صمد هاني بصعوبة إرضاءً لوالدته:

- أنا مفيش $\frac{1}{2}$ إكليل، فرح، عزا، قداس، تعميد غير وخدتني معاها.. دي جورجيت هايلة، ورياضية!! يعني بالذمة هاتجوز واحدة علشان بتلعب تنس؟! لأ وبعديها بيومين؛ كريستين جميلة، مامتها ست طيبة أوي، ها.. أتكلم معاهم؟! مالي أنا ومال مامتها؟! لأ، وكلهم هايطيروا من إيدي.

كان الأصدقاء يتسمون بتحفظ شديد أمام تلك المشكلة أو ما أسماها هاني «بالمأساة»، إلى أن دافع إسماعيل عن مدام ماري قائلا:

- إنت كبرت برضه وهي هاتتجنن وتجوزك.

ثم أضاف وليد:

- بالذمة انت عايز تتجوز؟!

أجاب هاني مؤكدا:

- صدقني أنا عايز، بس مش...

قاطعه إسماعيل سائلا بلغة جادة:

- أنا عندي سؤال؛ هو إيه حكاية صدقني دي يا هاني؟! يعني الكلمة دي عندكم في الإنجيل مثلا، ولا انتم متفقين عليها بينكم وبين بعض؟!

ابتسم هاني، وأجاب عمرو موجها حديثه لإسماعيل:

- إنت ضايع!! هما المسيحيين ما بيحبوش يحلفوا.. فـ«صدقني» و«بالأمانة» دول بدل الحلفان.. افهم بقى!

وفي تمام الساعة الرابعة عصرًا، استعد الجميع للعودة من «الكرتين» إلى «وادي الدوم».. وكما نادى الريس عوضين في الرحيل، ناداه مرة أخرى في طريق العودة:

- الجريرة يا أستاذ إسماعيل..

وفي نهاية الرحلة، كان الإجهاد واضحًا على الأصدقاء، فجلسوا في هدوء وسكون تامين إلى أن انطلق فجأة وبدون أي إنذار جرس «ترولينج»

إسماعيل معلناً عن صيد كبير.. وفي لحظة انتفض الجميع، وفي حماس شديد التفوا حول إسماعيل.. مد البحار سلامة يده مساعداً في سحب السمكة الكبيرة، ووسط أصوات التهليل ارتفع صوت إسماعيل:

- الكاميرا بسرعة يا هاني.

وبعد عناء شديد ظهر «جرم بياض» بوزن لا يقل عن ثلاثين كيلو جراماً.. سجل هاني تلك اللحظات الجميلة بلقطات طبيعية كثيرة..وعلى المرسى نظر إسماعيل لصديقه وقال منتصراً:

- مش انا قولتلك اصبر وانت تشوف.

نهاية عظيمة لرحلة ممتعة..

وفي طريق العودة من «وادي الدوم» امتلأت سيارة عمرو عن آخرها.. أدار قائد السيارة أغاني غربية كلاسيكية، وقبل الوصول إلى القاهرة استقبل عمرو مكالمة من خطيبته نور، التي انتهزت فرصة وجود هاني فسألت عن آخر التطورات في تشطيبات الشقة.. أجاب عمرو بثقة:

- أنا لسه سائل هاني حالاً أخبار الشقة إيه، أنا متابع كويس جداً، وبقولك قدامه، اني زهقته!!

اكتفى هاني بالابتسامة وهو يستمع لأكاذيب عمرو المستمرة، معقباً بعد انتهاء المكالمة:

- ليها الجنة.

وسط زحام القاهرة الخانق تحركت سيارة عمرو في إحدى الإشارات ببطء شديد، تابع وليد أمين الشرطة الذي وقف جاهدا لتنظيم الطريق، وفك هذه الشفرة العجيبة، ثم قال معقبا:

- لعلمكوا شغلانة المرور دي أوحش شغلانة في الدنيا.

قال إسماعيل سائلا:

- إشمعنى؟!

- عايزك كده تقف 10 ساعات كل يوم، في الشمس والحر والتراب والدخان والدوشة، وتاخد في آخر الشهر 700 جنيه.

أضاف عمرو معترضا:

- ولا حتى 7000 جنيه.

كان لإسماعيل رأي آخر:

- يا عم الداخلية دول واكلينها والعة، ملوك الرشاوي.

أجاب هاني رافضا:

- هو علشان فيه كام أمين شرطة بياخد رشوة تبقى الداخلية كلها حرامية؟!

ونّخه عمرو قائلا:

- إنت اهبل يا إسماعيل.

ثم وجه حديثه إلى وليد:

- إنت عارف ان في انجلترا أي عسكري مرور لازم يلبس شراب طبي معين علشان يحافظ على رجله، ولو مالبسهوش يتجازا؟!

- يا عم الناس دي في حته تانية خالص.

وأثناء تلك المناقشة، وبالتحديد عند كوبري الملك الصالح اصطدمت سيارة سكودا جديدة يقودها ضابط بميكروباص أجرة قديم يقوده سائق في أواخر الخمسين من عمره.. نتج عن الحادث شرخ في الإكصدام الأمامي وكسر بالفانوس الأيمن لسيارة الضابط، وبدون أي تلفيات تذكر في الميكروباص.. كالعادة، توقف الطريق وبدأ الجميع في انتظار رد فعل الضابط الذي قفز من سيارته وهو في قمة الغضب. نظر إلى تلفيات السيارة ثم بدأ في سرد أقذر الألفاظ لسائق الميكروباص الذي وقف مذعورا محاولا الاختباء والاحتماء خلف الجمهور الذي تجمع في موقع الحادث، إلى أن تمكن منه قائلا بأعلى صوته:

- رخصك فين؟!

تلعثم الرجل في الحديث، فصرخ فيه الضابط مرددا:

- بقولك رخصك.

تحرك عمرو بالسيارة وهم يحللون الموقف باستفاضة.. اتفقت واختلفت الآراء! أكد إسماعيل أن الضابط هو المخطئ لأن سيارته هي التي صدمت الميكروباص من الخلف.. مستخدما التبرير المعروف:

- القانون بيقول ان اللي ورا هو اللي غلطان.

دافع هاني عن الضابط، مقتنعا بأن سائق الميكروباص وقف في منتصف الطريق فجأة، بخلاف أن فانوسي الخلف غير موجودين، إلى أن فض وليد الاشتباك معلنا أن كليهما مخطئ، مؤكدا رأي إسماعيل ومقتنعا بوجهة نظر هاني، ثم عقب عمرو برؤية واقعية قائلا:

- بغض النظر مين اللي غلطان.. الظابط دلوقتي هياخد السواق على القسم، هايسحب رخصه وهايبهدله ضرب، لغاية لما يدفع ثمن تصليح العربية.

عاد وليد ودافع عن الضباط قائلا:

- طيب فاكرين التاكسي اللي دخل في عربية حازم الظابط قدام البيت عندنا من كام شهر؟! حازم زعق بكلمتين ومشي، مع أن سواق التاكسي كان غلطان 100 في الـ 100.

- علشان حازم ابن ناس.

لم يكن وليد سعيدا بسمعة الضباط، يدافع عنهم من الحين للآخر، ولكن الأحداث من حوله، قصص الإهانات والاعتداءات في الأقسام، روايات الانتهاكات الإنسانية من ضرب وتعذيب للمتهمين أثقلت مهمته وجعلت دفاعه وموقفه صعبًا وضعيفًا.

انتهت الرحلة وعاد وليد إلى منزله ومعه كمية أسماك رهيبة.. شنط بلاستك ممتلئة عن آخرها، وثلاثة «آيس بوكس» بها أكثر من خمسين كيلو سمك بأنواع مختلفة. وقفت مها في ذهول سائلة:

- هانعمل إيه بالسمك ده كله يا وليد؟! إحنا ماعندناش مكان نشيل فيه الكلام ده.

خدي اللي انتي عايزاه، وسيبي الباقي، نبيل ومغازي في الطريق، هاياخدوه ويرجعوا بيه ع المثيا.

- واضح ان حظكم كان حلو الرحلة دي..

- جدا.

ثم ارتفعت ضحكات مها عندما حكى لها وليد قصة عمرو والسمكة الأولى، وكيف ارتسم الذهول على وجه إسماعيل.. شرح لها وليد بعد ذلك سر هذا الكم الهائل من الأسماك؛ إذ أخذ إسماعيل السمكة العملاقة لنفسه، واكتفى عمرو بخمس سمكات فقط لخطيبته نور، أما هاني فتنازل عن أكثر من ثلثي نصيبه بعد أن قرر وليد دعوة ضباط وعساكر القطاع على هذه الوليمة.

وأمام باب المنزل لم يتوقع نبيل ومغازي هذا الكم الهائل من الأسماك، فقال لهما وليد سائلا:

- مش هاتقدروا تاخدوه كله ولا إيه؟!

رد مغازي بثقة:

- لا يا باشا ازاي.. إحنا هانتصرف.. ما تجلجش سعادتك.

في الأيام الأخيرة قبل عودته إلى المثيا، اختفى وليد عن الأصدقاء، الإجازة المرضية على وشك الانتهاء، وهناك كم من الارتباطات

والالتزامات.. اطمأن في مستشفى الشرطة على سلامة يده، جدد رخصة السيارة، وأخيرا ذهب مع مها إلى الدكتور عاطف بعد إجراء وتسلم جميع التحاليل المطلوبة.. قرأ الطبيب الأرقام بإمعان وأعلن عن ارتياحه لكل النتائج.. اهتم وليد أيضا بلقاء أخيه الصغير عماد، جلسا معًا لساعات طويلة، رفض واعترض فيها وليد على فكرة الهجرة، ولكنه نجح بصعوبة بالغة في إقناع عماد بسحب استقالته حتى الانتهاء من إجراءات الهجرة التي قد يتم قبولها أو رفضها.

الفصل العاشر 10

استيقظ شريف يوم الجمعة بعد الساعة الحادية عشرة صباحا، وقبل أن يدخل إلى الحمام ارتفع صوته في وسط المنزل قائلا:

- الفطار بسرعة يا بيري.. مش عايز اتأخر على الصلاة..

داعب شريف يارا وسارة في غرفة مليئة بالألعاب لمدة خمس دقائق، ثم أصابه الملل فخرج وجلس على المائدة وفي يده الجريدة.. قرأ تفاصيل جديدة في قضية مختار أبو المجد رجل الأعمال الشهير، الذي تم القبض عليه في المعادي منذ أيام في ظروف غامضة، ثم انتبه فجأة لكيمي المربية وهي تضع طعام الإفطار أمامه، وخلفها بيري التي قالت سائلة:

- هاتعمل إيه النهارده؟

لم يرفع شريف عينيه عن الجريدة ولكنه أجاب:

- هاصلي، وعندي مشوار، هاخلصوا واجيلكم على الغدا..

اعتادت عائلة شريف الذهاب إلى فيلا المحفوظ كل يوم جمعة لتناول الغداء مع راغب وأميرة.. انتهز شريف هذه الفرصة للقاء حماه، فهو لم ييأس، بل استمر في التودد إليه حالما باليوم الذي ينضم فيه إلى مشروعات

آل محفوظ.. بالرغم من هذا التركيز، لم تنجح محاولاته المتكررة؛ إذ إن والدها قرر عدم إشراكه في أعماله، مقتنعا بأن ذلك قد يؤثر سلبيا على حياة ابنته معه..

صلى شريف فريضة الجمعة في الجامع القريب من المنزل، ثم استقل سيارته للذهاب إلى المهندسين.. في الطريق حاول الاتصال بسحر للمرة العشرين.. لقد مضى أسبوع كامل على هذا اللقاء وهو يستمع إلى نفس الرسالة: «الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقا»، إلى أن اقتنع أخيرا أن هذا الرقم ما كان إلا وسيلة للهروب منه، إضافة إلى أنها أيضًا وعدته بالاتصال ولم تفعل.. لم يجد شريف أمامه إلا أن يلوم نفسه قائلا: «إزاي ما خدتش نمرة عربيتها؟!».

قرر الذهاب إلى معرض الحاج عباس بدون سابق إنذار.. كان واثقا من وجود الحاج في معرضه، فالجمعة هو يوم انتعاش تجارة السيارات. دخل إلى صالة العرض، حيًا الجميع ثم ارتفع صوته قائلا:

- القهوة يا جابر.

سمعه الحاج عباس، فعقب بصوت مرتفع:

- الغالي ابن الغالي..

دخل شريف غرفة عباس فوجده جالسًا خلف مكتبه وأمامه حفنة من الأوراق المالية، وأرقام ماكينة العد تتحرك بسرعة، فعلق شريف قبل التحية قائلا:

- يا رزمك، باين عليها اتعشت بدري النهاردة.

أجاب الحاج عباس ضاحكا:

- ياريتك جيت من 10 دقايق، كان عندي زبونة تستاهل بقك.

- طيب كلمني، اجيلك في ثانية.

وبعد فاصل من الدعابة والضحك أعلن شريف بثقة عن خبر أسعد الحاج عباس كثيرا:

- الـ 500، جاهزة يا حاج..

صاح عباس فرحا:

- وساكت؟! يا أخي حرام عليك، إنت عارف إيه أكتر حاجة بتعجبني فيك؟

- إيه يا حاج؟

- تُقْلَك..

- التُّقل صنعة يا حبيبنا!

- هانستلم إمتى يا غالي؟

وقبل الدخول في تفاصيل، دخل جابر بالقهوة قائلا:

- اتفضل يا باشا.

– تسلم يا جابر.

– اقفل الباب وراك ومش عايز حد يدخل..

خرج جابر، فوضع شريف يده في الشراب، أخرج علبة سجائر، وضعها أمام عباس قائلا:

– نفسين يستاهلوا صدرك.

– وأنا اقول، الغالي بقاله فترة ميمسيش عليا.

أخرج الحاج عباس قطعة حشيش كبيرة من العلبة معقبا:

– نفسين؟ دول مليون نفس.

ارتفعت ضحكات شريف قائلا:

– مفيش حاجة تغلى عليك يا حاج.

لف عباس سيجارتين في ثوانٍ، أشعل واحدة وأعطى لشريف الثانية، ثم تطرق إلى تفاصيل الموضوع سائلا:

– قولي بقى، وصلت معاهم لكام؟

– 30 أخضر بالعافية..

– لا.. كتير أوي.. ويعدين الدولار طاير.

– كتير إيه بس يا حاج، ويعدين الدولار طاير على الكل. لعلمك كانوا ماسكين في 35 ونزلتها لـ 30 بطلوع الروح.

لم يقتنع عباس فأجاب قائلا:

- بس كده هتقف غالية.

- ليه، إحكيلي كده؟

- 210 وملف 100 ومصاريف نقول 30 يبقى 340..

قاطعه شريف قائلا بحماس:

- زي الفل، الـ 500 النهاردة على الزيرو بأرتب.

ساد الصمت لحظات إلى أن سأل عباس عن لون السيارة:

- سمرة، صح؟!

- أسود ملوكي.. بقولك إيه ياحاج، إحنا مش هاتوجع دماغنا على ألف ولا ألفين دولار زيادة.. إحنا بنشتري راحتنا..

تنهد عباس ورضخ قائلا:

- ماشي يا غالي، على بركة الله..

كان الاتفاق أن يتحمل الحاج عباس تكلفة شراء السيارة بالكامل، على أن يتم خصم مصاريف وتكلفة السيارة من سعر البيع، ثم اقتسام الربح بنسبة متساوية.. بالرغم من ثقة عباس في عدم واقعية وصدق المبالغ التي حددها شريف، إلا أن مسئوليته كضابط شرطة وتصدره في استلام وتسليم السيارة أعطى الأمان والطمأنينة في قلب عباس الذي قرر التغاضي عن الفارق مقابل راحة باله، وسلامته وسلامة تجارته..

أمسك عباس ماكينة الحساب سائلا:

- الدولار بكام النهاردة؟!

- كسر الـ 7.. خليني أسأل واشوف.

في يناير 2003 تم تعويم العملة المصرية وتحرير سعر صرف الدولار أمام الجنيه.. أدى هذا القرار لارتفاع سعر الدولار إلى سبعة جنيهات. أربكت هذه القفزة جميع التجار والأسواق وحياة المواطنين أيضًا..

وضع عباس ما يوازي ثلاثين ألف دولار في شنطة بلاستيك، أعطاها لشريف على وعد بتسليم السيارة في خلال شهرين على الأكثر، وقبل أن يرحل اتصلت به بيري فضغط على الزر الأخضر قائلا:

- ربع ساعة.. سلام..

أنهى شريف الاتصال فقال عباس معقبا:

- تعجبني وانت دابح القطة.

وقف شريف قائلا:

- أصلها هتتعد تقولي ازيك، أخبارك إيه، إنت فين وجاي إمتى، والغدا جاهز.

مد شريف يده وسلم على الحاج عباس الذي وقف قائلا:

- خليهم يشوفولنا «باجيرو»، فيه ملف احتمال يخلص اليومين دول، بس قولهم يحنّوا شوية.. الأسعار دي مش هتاكل معايا تاني، يا إما اشتغل مع ناس غيرهم..

كانت كلمات عباس رسالة قاسية لشريف، أعلن فيها استياءه من الأسمار، مهددا بطريقة غير مباشرة بالاستغناء عن خدماته.

كلمات غير مريحة، ولكن شريف أجاب مبتسما:

- إنت تؤمر يا حاج..

استقل شريف سيارته عائدا إلى المعادي، وفي الطريق اتصل بصديقه معتز الذي زف له خبر زواجه أمس من الممثلة لولي، ثم عاتبه للمرة الرابعة لرفضه الحضور كشاهد على الزواج.. اعتذر الصديق ضاحكا وواعدا بالشهادة في الزيجة التالية، ثم انتهى الحوار بالاتفاق على الاحتفال مساءً في «القنبلة».

كانت عائلة المحفوظ في انتظار شريف الذي اعتذر بلباقة لتأخره عن موعد الغداء قائلا:

- آسف جدا، أصلي كنت بزور والد واحد زميلي في المستشفى.. يوم واحد أجازة يتعمل فيه 100 حاجة.. هما البنات فين يا بيري؟!

- لسه نايمين من دقايق.

اجتمعت العائلة حول المائدة لتناول الغداء.. وبعد لحظات تطرق الحديث إلى قضية العام، قصة القبض على رجل الأعمال مختار أبو المجد صاحب توكيل السيارات المعروف. روى شريف تفاصيل ما حدث في هذه الليلة، فخورا بتواجده في حملة التفتيش والقبض عليه في فيلا بالمعادي.. سأله حماه عن ملابسات القضية فأجاب شريف بمعلومات مهمة أكدت

للمحفوظ صحة ما يتم تداوله في جلسات رجال الأعمال بناديهم الخاص بجاردن سيتي..

قال شريف سائلا:

- هو حضرتك تعرفه؟

- آه طبعا، ده صاحبي جدا.

حاولت بيري الدفاع عن والد صديقتها فقالت:

- أغلب الكلام اللي مكتوب ده ما حصلش..

أجاب شريف ساخرا:

- طيب خلينا في اللي حصل، ولا علشان بنته صاحبتك؟

تدخل المحفوظ في الحديث معلنا الحقيقة:

- دي فرصة ودن يا شريف، بس جامدة شوية، وماحدش عارف هي جاية منين..

سألت أميرة زوجها:

- هو فعلا ممكن تكون القضية دي كلها علشان يشغلوا الناس عن موضوع الدولار؟!

- لأ طبعا.. ده موضوع شخصي 100 في الـ100، على العموم الأيام الجاية هاتبين..

التزم شريف الصمت بعد أن وضح تأثر راغب بما حدث لصديقه، بينما استمرت أميرة وبيري في سرد الأسئلة والتكهنات إلى أن رن هاتف المحفوظ الذي نظر إلى الرقم، ثم قال وكأنه تذكر معلومة مهمة:

- الفيلا اللي جنبنا في القطامية للبيع.. بتاعة عدنان، إيه رأيكم تيجوا تعيشوا معانا هناك..

اشترى راغب فيلا بل قصرًا في القطامية منذ أكثر من خمس سنوات، ومنذ عام قرر ضم جميع أعماله وشركاته واستثماراته في بناية واحدة.. وبعد دراسة وافية استقر على التجمع الخامس، أنشأ هناك مبنى عملاقًا، وفي نفس الوقت قرر الانتقال مع زوجته للحياة في هذا المتجمع الراقي..

تحمست أميرة قائلة:

- فكرة هايلة، بيت عدنان جميل، بيسين وجنينة كبيرة، الأولاد هايتبسطوا أوي.

لمعت عينا شريف للفكرة، ولكنه التزم الصمت، حتى سأل راغب ابنته:

- إيه رأيك يا بيري؟

- مش عارفة، أصل أنا بحب المعادي ومش عايزة اسيبها.

- ماحدش قالك سيبي المعادي.. اقعدي في الصيف في القطامية وفي الشتا ارجعي المعادي..

- يا بابي مش بالسهولة اللي حضرتك بتكلم بيها دي.

أضافت أميرة:

- وبعدين كلها سنة وأختك ترجع على التجمع، فنبقى كلنا جنب بعض..

لاحظ راغب سكوت زوج ابنته فسأله:

- إيه رأيك يا شريف؟!

- فكرة هايلة، وطالما شغل بيري هيبقى في التجمع يبقى أكيد هناك أحسن.. هو فاضل كتير على المبنى الجديد؟!

- إحنا ابتدينا ننقل خلاص..

استغربت أميرة سؤال شريف فسألت:

- إيه يا بيري، إنتي ماقولتيش لشريف؟

- مش لما اشوفه الأول ابقى احكيلو..

عقّب شريف بدبلوماسية:

- ليها حق.. أنا الفترة اللي فاتت ضغط الشغل عليا كان جامد أوي، وماكنتش بلحق اقعد معاها، ولا مع البنات.

أجاب راغب سائلا:

- مش انت اللي كان نفسك تبقى رئيس مباحث؟!

وقبل أن يرد شريف ارتفع صوت بكاء يارا من الدور العلوي، فعقبت أميرة فرحا:

- حتى عواطفهم بحبه.

قالت بيري معترضة:

- أنا ما بحبوش خالص، بقى بيوترني.

أصيب شريف بحالة من الإحباط لعدم تمسك بيري بهذه الفرصة، فهو يعي جيدا أن الفيلا في هذا «الكومبوند» يفوق ثمنها عشرة ملايين جنيه.. جلس شارد الفكر إلى أن بدأ في طمأنة نفسه قائلا: «أنا هاعرف اقنعها ازاي»..

تناول شريف الشاي مع الأسرة ثم رحل عائدا إلى المنزل. قرر النوم ساعة استعدادًا للسهرة التي قد تمتد حتى الساعات الأولى من فجر اليوم التالي.. في نفس الليلة اتفقت بيري مع صديقتها رنا على اللقاء معًا في شارع تسعة.. كانت بداية اللقاء مثل كل لقاء، «كابتشينو» لبيري و«لاتيه» لرنا التي تحدثت بإسهاب عن فكرة مشروع جديد، إلى أن توقفت عن الحديث فجأة، نظرت إلى صديقتها بفحص ثم سألتها بنبرة جادة وواضحة:

- مالك يا بيري؟! فيه إيه؟

انسابت دمعة من بيري وهي تجيب:

- أنا غلطت يا رنا.. ياريتني سمعت كلامك.

كانت هذه الكلمات سببا لرحيلهما من المكان.. عادا معًا إلى منزل رنا، بالرغم من تحذير شريف لها بعدم الذهاب إليها، فرأيه أن صديقتها تعيش حياة الأوربيين، تسكن بمفردها وتدعو أصدقاءها الشباب لزيارتها والسهر معها، معتبرا ذلك سلوكًا مرفوضًا ونمط حياة غير مناسب.. اعتراض أو قبول شريف كان آخر شيء يهم بيري في هذه اللحظة بعد أن انصب اهتمامها على الجلوس مع صديقتها التي تثق فيها كي تشاركها وتحكي لها تفاصيل حياتها أو كما وصفت وقالت:

- أنا عايشة في كارثة.

منزل رنا جميل، دور أرضي بمدخل خاص لحديقة صغيرة.. في داخل الشقة أثاث مودرن.. اختارته الصديقتان معًا منذ أن كانتا طالبتين بالجامعة.. استراحت بيري على كرسي مريح، أما رنا فاستلقت على «كنبة» سائلة:

- ها.. إحكيلي بقى فيه إيه؟!

- هاحكيلك، بس من الأول..

سردت بيري تفاصيل العلاقة من البداية في كلمات قليلة، إلى أن حكت لها الخطوط العريضة لما حدث في ليلة سوداء بالساحل الشمالي:

- شربت لغاية لما فصلت، ويعدين روحنا بيت حد من أصحابه، مش عارفة حتى بيت مين.. أنا كنت حاسة بكل حاجة، بس ماكنتش عارفة أوقفه!! الدنيا باظت، وفوقت على مصيبة، بس هو قعد يهديني ويقولي ما احنا كده كده هنتجوز..

اعتدلت رنا في جلستها واستمعت بتركيز شديد، وصوت بداخلها يقول: «إن ما حدث من شريف سبب كافٍ لتركه وليس للزواج منه»، في واقع الأمر كان هذا الفعل هو سبب ثقة شريف وإحساسه بامتلاك بيري، وأنه مهما فعل فلن تستطيع الابتعاد عنه. لم تقاطع رنا صديقتها التي استمرت في شرح إحساسها وتفكيرها أثناء تلك الفترة وكم كانت خائفة منه بالرغم من حبها له..

ثم تطرقت لأهم نقطة من وجهة نظرها قائلة:

- المشكلة ان شريف اتغير جدا.. بقى واحد تاني، بيتكلم بأسلوب وحش أوي، وعلطول بيزعق، وبعدين ولا أنا ولا البنات أصلا في دماغه.

توقعت رنا أن يكون شريف على علاقة بأخرى فسألت بوضوح:

- فيه بنات في الموضوع؟!

- ماعتقدش؛ لأنه بيسيب الموبايل عادي، بصيت فيه كام مرة ومالقتش حاجة.

- كويس، حاجة تتحسبله.. طيب، وأخباره في الـ..

- هو انا باشوفه؟ بس هو مركز في المواعيد، أصله هيموت على ولد، بس بنسى، أنا أصلا مش ناوية اخلف منه تاني..

أخذت رنا نفسا عميقا وهي تنظر إلى صديقتها وفي داخلها صوت يقول: «هذه ليست صديقتي بيري، ما هذا الذي أصابها؟!» وكما هو متوقع وطبيعي، أعلنت بيري بعد حوالي ساعة من النقاش تفكيرها الجاد في طلب الانفصال، ولكنها تحلت بالصبر خوفا من صدمة والدها ووالدتها فهما

لا يعلمان شيئا عن تفاصيل حياة ابنتهما الشخصية. أنهت بيري حديثها ثم استمعت إلى صديقتها رنا التي كشفت ولأول مرة عن إحساسها تجاه شريف بدون أي خجل أو تحفظ.. كانت بيري على علم أنهما بلا وئام منذ أول لقاء، ولكنها لم تتوقع كلمات رنا القاسية:

- أنا بكرهه من قلبي، والنهارده كرهته أكتر،بس أنا مش موافقة على موضوع الطلاق ده.

ثم عادت وتحدثت بمنتهى الرزانة، طلبت مبدئيا من صديقتها الهدوء، والتفكير والتريث؛ لأن الطلاق من وجهة نظرها لن يكون بالطبع في صالح سارة ويارا، وقبل أن تدافع بيري عن رأيها وقرارها عاتبتها رنا قائلة:

- ممكن تسمعي كلامي المرة دي؟!

***

وقبل مرور شهرين، التزم شريف باتفاقه مع الحاج عباس.. سافر وحيدا إلى نقطة الالتقاء في مرسى مطروح، وجد الأعرابي سويلم في انتظاره داخل سيارة. لم يستمر اللقاء أكثر من ثلاث دقائق، دفع شريف مبلغ أربعة وعشرين ألف دولار نقدًا وتسلّم سيارة مرسيدس 500 فارهة، حتى أنه فشل في إخفاء انبهاره قائلا:

- تسلم إيدك يا سويلم.

- مش جولتلك هدية.. مطلوب أي شغل تاني جريب؟

- باچيرو، بس نخلص من دي الأول.

عاد شريف إلى القاهرة الساعة الحادية عشرة مساء، اتجه مباشرة إلى جراج مركز تجاري لفندق عالمي في وسط المدينة.. اصطف بالسيارة في الطابق الرابع، فك لوحتي السيارة المعدنيتين ووضعهما في حقيبة صغيرة، دخل إلى المركز التجاري، ثم خرج منه واستقل «تاكسي» إلى معرض الحاج عباس الذي استقبله بحفاوة قائلا:

- شكلك كده عندك أخبار حلوة.

- ولا في الأحلام، 12/10 .

وضع شريف مفتاح السيارة أمام عباس وأكمل حديثه قائلا:

- هانطلب فيها كام؟

- بإذن الله 750.. هو العجل فين؟

- هيلتون رمسيس، الدور الرابع، ومتغطية بغطا أزرق.

كانت علاقة شريف بالسيارة تنتهي في اللحظة التي يعطي فيها المفتاح للحاج عباس، حتى أنه اعتاد عدم زيارة المعرض أو الاقتراب منه إلى أن يتم بيع السيارة، نظام وضعه لنفسه، اتبعه والتزم به..

***

استمر شريف، ومنذ أن أعلن المحظوظ عن فكرة شراء ڤيلا القطامية، في محاولاته اليائسة لإقناع بيري بالعدول عن رأيها.. حجم الفرصة هذه المرة أكبر بكثير من إجمالي صفقاته منذ أول يوم زواج.. بدأ بالتردد إليها، تواجد بشكل لافت، هدايا بدون مناسبة حتى أنه دفع مبلغ ثمانية آلاف جنيه

تحول شريف إلى شخص آخر في دقيقة واحدة.. تجول في حديقة الفيلا في خطوات غير منتظمة والهاتف في يده.. أجرى اتصالا آخر وتأكد تماما من صحة هذه المعلومة، ثم اتصل بحماه الذي انزعج من ارتباك ورد فعل شريف، ثم طلب منه التماسك والتحلي بالصبر حتى التأكد من حقيقة الخبر وأسبابه، وإن كانت هناك أي فرصة لتدارك هذا الموقف غير المتوقع.. أنهى راغب الحديث مع شريف واتصل باللواء هاشم الذي أكد الخبر رافضا الدخول في أي تفاصيل، وفي نهاية الحديث، قال هاشم لصديقه بوضوح:

- خلي شريف ينفذ من غير دوشه.

استقبل شريف هذه الكلمات في طريق العودة إلى القاهرة بعد رحلة قصيرة انتهت بخبر أربك حساباته تماما.. وعندما حاول أن يستفسر أجاب راغب قائلا:

- أنا مسافر أسبوع، ولما ارجع هقابل هاشم وافهم منه إيه اللي حصل بالظبط.

ساءت نفسية شريف بعد قرار نقله الذي كان بالنسبة له صفعة على الوجه.. أصابه أرق وحزن شديدين من فكرة ذهابه لتسلُّم عمله في موقعه الجديد، كشعور طفل رافض ولكنه مضطر للذهاب إلى المدرسة في أول يوم دراسة.. كان يعلم جيدا فقدان كثير من الصلاحيات، خسر حرية الحركة، وانزعج من اختلاف المسئوليات.. في لحظة سلبت منه قوة اتخاذ القرار مجبرا على الالتزام بتعليمات رئيسه الجديد بعد أن كان رئيس نفسه

ومن حوله.. زاد من سخطه أيضا اضطراره لارتداء القميص الأبيض أي «البدلة» الميري، الزي الذي لا يرتديه وكرهه بشدة.. في هذه الفترة زاد شريف من حدته في معاملة زوجته مما أعاد العلاقة إلى نقطة الصفر..

***

في نهاية شهر يوليو سنة 2003.. تسلم شريف عمله نائبا لمأمور قسم محطة الجيزة، وفي غضون أيام قليلة نجح في كسب من حوله، بداية من مأمور المحطة إلى أصغر ضابط تم تعيينه.. أسلوبه ومظهره، وانتشار خبر زواجه من ابنة المحفوظ، كل ذلك أعطاه «برستيج» قويًا، ولكن هذا لم يمنع علامات الاستفهام التي انتشرت في أرجاء المحطة: «ماذا جاء به إلى هنا؟»، «ولماذا تم نقله من مباحث المعادي؟».

انتظر شريف بفارغ الصبر لقاء المحفوظ وهاشم، كان يريد الحصول على أي معلومة تعيد إليه اتزانه، وبعد مرور شهر اتصل به راغب قائلا:

- اللوا هاشم لسه ماشي من عندي.

برج المحفوظ، صرح جديد وعملاق في التجمع الخامس، مبنى من عدة طوابق يدير منه راغب شركاته.. كانت هذه هي الزيارة الأولى لشريف في هذا المقر. وقف أمام سكرتارية الاستقبال، سأل عن زوجته وطلب عدم إبلاغها حتى يفاجئها بالزيارة.. في الدور الأول، كان باب مكتب بيري مفتوحا، دخل شريف بهدوء، وقال مازحا:

- ده احنا بنشتغل بجد بقى!

البلاغات الافترائية والكيدية ضده، والتي كانت بالطبع سببا واضحا في نقله من قطاع المباحث.. استمر شريف في حديثه إلى أن قاطعه راغب مداعبا:

– يعني محطة الجيزة مش برضه أحسن من أمن البحيرة؟!

– أكيد أحسن، بس انا هاتجنن واعرف أنا عملت إيه؟!

خرج شريف من مكتب المحفوظ إلى سيارته مباشرة مع أنه اتفق مع بيري على المرور عليها قبل الرحيل.. حديثه مع والدها لم يفده بشيء بل أربك تفكيره وزاد من قلقه؛ إذ لم يجد أي إجابة عن الأسئلة التي طافت في ذهنه: «ما حجم المشاكل في ملف خدمتي، ولماذا لم أُستدعَ للتحقيق، ومَن وراء هذه البلاغات، وأخيرا، ماذا أفعل الآن؟!».

بعد رحيل زوجها ذهبت بيري لوالدها في مكتبه، جلست معه وسألته بوضوح قائلة:

– هو شريف كان بيعمل إيه هنا يا بابي؟

تحدث راغب بمنتهى الصراحة مع ابنته، ثم طلب منها عدم الإفصاح عن أي كلمة حفاظا على مشاعر شريف الذي يمر بظروف وضغوط نفسية صعبة بعد نقله من موقعه..

عادت بيري وسألت والدها عن سبب نقله فأجاب قائلا:

– أنا فعلا مش عارف حصل إيه، خلينا نعدي شوية وقت وبعدين اسأل هاشم تاني..

انتهى الحديث عن شريف، ثم فاجأ المحفوظ ابنته بخبر شراء فيلا بعدنان بالقطامية.. أسعد الخبر بيري ولكنها في نفس الوقت عادت وأكدت عدم رغبتها في الرحيل من المعادي، ثم طلبت من والدها عدم الإفصاح عن هذا الخبر لزوجها.. وافق المحفوظ بدون أن يسأل عن السبب، واثقا من وجود مبرر قوي خلف هذا الطلب..

أثناء حديثهما شعر الأب بغضب ابنته من زوجها، ولكنه فضل الانتظار حتى تبوح بكل ما يدور في خاطرها في الوقت الذي تراه مناسبا لها.. خرجت بيري من الغرفة، فأمسك والدها الهاتف واتصل بزوجته قائلا:

- بيري مش مظبوطة، واضح ان فيه مشاكل مع شريف.. حاولي تفهمي فيه إيه من غير ما تضغطي عليها..

***

لقد مرت شهور، إلا أن سحر لم تفقد إحساس الاعتداء عليها.. لم يغب الضابط عن ذهنها إلى أن قررت في صباح أحد الأيام الانتقام منه.. اشترت خط هاتف محمول بدون تقديم أي إثبات شخصية، ثم وقفت بسيارتها في شارع جانبي بشبرا.. لم تحتَجْ أن تنظر في هاتفها للبحث عن رقم بيري، فقد حفر في ذاكرتها منذ أن رددته أول مرة في شقة المقطم.. أجرت أول اتصال دون رد، لم تيأس فأعادت المحاولة أكثر من مرة إلى أن أجابت بيري، فقالت سحر بكلمات هادئة:

- أنا واحدة عايزة أحكيلك على حاجات مهمة أوي عن جوزك، سيادة الضابط.

كانـت بيري تجلـس في مكتبهـا وأمامها أحد موظفي الشـركة فأجابت قائلة:

- ممكن تخليكي معايا ثانية واحدة.

خرجت بيري من مكتبها، ودخلت إلى غرفة الاجتماعات وهي تقول:

- أيوة أنا معاكي.. مين حضرتك؟!

- مش مهم انا مين.. المهم انك تعرفي إن جوزك عنده شقة في المقطم يقابل فيها الستات أصحابه..

أجابت بيري منزعجة:

- شقة إيه؟!

- يعني جرسونيرة.

استمرت سحر على مدار دقيقتين كاملتين في وصف شقة شريف، بداية من موقعها الجغرافي، المدخل، إلى أدق تفاصيل المكان من الداخل.. ثم سـألتها سـحر إن كانت على علم بأن زوجها يتعاطى المخدرات ويشـرب الخمر، وأن سهراته تستمر حتى الفجر مع أصدقائه.. وعندما قاطعتها بيري وسألتها عن سبب إفشائها لكل هذه الأسرار أجابت سحر بثقة:

- أنا لو جوزي بيخوني، كنت أتمنى إن حد يكلمني يوعيني.

- إنتي تعرفي أنا اسمي إيه؟!

- أيوه، بيري.

- إنتي تعرفي شريف؟

- طبعا أعرفه، ومعايا كمان نمرة تليفونه.

رددت سحر الرقم فأجابت بيري بثقة:

- دي مش نمرة شريف.

عادت سحر وأكدت أن هذا الرقم لأحد الهاتفين اللذين يستخدمهما شريف. سألت بيري عن الرقم مرة أخرى، ثم بدأت في تدوينه على ورقة أمامها، ثم فجرت سحر المفاجأة الأخيرة بوصف علامة مميزة في أعلى ساق شريف اليسرى، نتيجة إصابة أو جرح قديم، ثم أضافت قائلة:

- أنا ممكن احكيلك أكتر من كده كمان بس مش هاقدر.

سألتها بيري بمنتهى السذاجة:

- إنتي عرفتي الكلام ده ازاي؟!

في لحظة اخترعت سحر قصة ادعت فيها أنها صديقة لفتاة كانت على علاقة بشريف منذ فترة طويلة، وأنه اعتاد تهديدها وابتزازها مستغلاً سلطته ونفوذه، مما أدى إلى انهيار صديقتها نفسيا، وسفرها خارج القاهرة هروبا منه.. ثم رجتها سحر ألّا تذكر الحديث الذي دار بينهما خوفا منه ومن بطشه وانتقامه.. وفي نهاية المكالمة، وعدتها سحر بالاتصال بها مرة أخرى للاطمئنان عليها، داعية الله أن يوفقها في اتخاذ القرار الصائب أمام ظلم وافتراء وخيانة زوجها لها، ثم أنهت حديثها قائلة:

- على العموم أنا كده عملت اللي عليا.

وضعت بيري هاتفها أمامها وهي لا تكاد تصدق ما حدث، ثم انفجرت باكية، أما سحر فأمسكت شريحة الهاتف في يدها وهي في نشوة الانتصار، كسرتها بصعوبة، ثم قذفت بها خارج السيارة التي انطلقت مسرعة في شوارع شبرا..

***

الفصل الحادي عشر 11

لم تعد حياة بيري كما كانت منذ مكالمة سحر.. أصابها انهيار نفسي شديد، سيطرت على قلبها أحاسيس سلبية كثيرة من غضب وندم لزواجها من شريف.. كان لرنا موقف بطولي خلال تلك الفترة.. تحدثنا كثيرا وتقابلنا يوميا إلى أن وضعت رنا خطة أولية هدفها التأكد من صدق المعلومات التي وصلت إليهما.. أعادت وكررت عليها كل الخطوات إلى أن عاتبتها بيري قائلة:

- إنتي ليه محبساني اني حمارة!

- مش قصدي، بس التكرار بيعلم الشطار.

- شطار إيه بس، ده انا بجد طلعت حمارة.

في هذه الليلة استلقت بيري في الفراش مرتدية «الترينج» المفضل لديها، انتظارا لوصول شريف الذي عاد الساعة الرابعة والنصف فجرًا، وبعد أقل من عشر دقائق كان مستغرقا في أحلامه. مرت عشر دقائق أخرى، اطمأنت لنومه ثم تقزت من السرير، اتجهت إلى مدخل الشقة على أطراف أصابعها وأخذت مفتاح سيارة شريف. للشقة بابان، خرجت من الباب الذي يبتعد عن غرفة النوم ويطل على صالة استقبال الضيوف.. ارتفع صوت دقات قلب بيري وسط الهدوء والسكون الذي سيطر على المكان.. خرجت من

الشقة، وضعت المفتاح في الباب من الخارج وأغلقته بمنتهى الحرص ثم استقلت الأسانسير واتجهت بخوف إلى مدخل البناية والبراب، ولو عم عرفان الذي اعتاد الاستيقاظ مبكرًا لأداء صلاة الفجر، ارتفع صوته سائلا:

- خير يا مدام بيري؟

أجابت بيري بحدة تعكس مدى قلقها وتوترها:

- مفيش حاجة، ومش عايزة شريف يعرف اني نزلت وركبت عربية، ولو عرف مش هتقعد هنا يوم واحد..

قاطعها الحارس قائلا بنبرة حزينة:

- الأرزاق على الله يا ست هانم.. وبعدين سعادتك عمرك ما كلمتيني كده.. هو انا لاموخذاة عملت حاجة؟

اقتربت منه بيري ومدت يدها قائلة:

- إمسك.

رفض عم عرفان بإصرار أخذ أي أموال من بيري معقبا:

- لا يا ست هانم، مش هاخد ولا مليم، وعمري ما هانطق بكلمة لشريف بيه، ده انا لحم كتافي من خير والدك الله يكرمه.

انصرف الحارس وابتعد عنها بعد أن شكرته بيري التي اقتربت من سيارة زوجها. ضغطت على الريموت، فتحت الباب وجلست على مقعد القائد، وهي تتمنى براءة زوجها من كل هذه الاتهامات!. وقبل أن تمد يدها في أي مكان تذكرت كلمات رنا:

ـ تفتشي العربية على مهلك، وخلي بالك ان كل حاجة ترجع في مكانها..

ضغطت بيري على زر الإضاءة الداخلية للسيارة وبدأت تنظر حولها بتركيز وترقب.. مدت يدها وفتحت درج مسند اليد فوجدت هاتفًا محمولًا صغيرًا بجانب أوراق كثيرة وضعت بنظام واضح.. أمسكت بيري الهاتف ويدها ترتعش.. بدأت بتصفح الأسماء فقرأت أكثر من اسم عشرين فتاة. تجولت في القائمة، اتجهت إلى الرسائل قرأت رسالة واحدة من سالي مكتوبة باللغة العربية: «آسفة يا شريف، مش هاقدر اشوفك النهاردة أصل ماما تعبانة، هاكلمك بكره».. وفي صندوق إرسال الرسائل، تكررت كلمات «ارجو الاتصال» إلى سمر وهند وأخرى لرقم بدون اسم، ثم اتصلت برقم هاتفها فرأت الرقم الذي أملته عليها سحر.. تنهدت للحظات، مسحت رقمها وأعادت الهاتف في مكانه.

أمسكت بيري إطار القيادة بقوة وهي تبكي كالطفلة البريئة، عادت بظهرها إلى الخلف، وكأنها تستريح من عناء رحلة طويلة.. صدقت «البنت» كما أسمتها رنا في أول معلومة.. بالفعل يمتلك شريف هاتفًا آخر لا تعلم عنه شيئًا.. تماسكت، مسحت الدموع من عينيها وبدأت في تفتيش السيارة بهدوء.. لم تبذل أي مجهود، فكل شيء أمامها واضح، زجاجة بارفان جديدة، «سي دي هات» كثيرة، مصحف، نظارة شمس، فرشاة شعر، ورقة بفرة، كارت معايدة بتوقيع هند به كلمات حب وعشق احتفالا بعيد ميلاده الماضي، أوراق وإيصالات الصيانة، كاتالوج وكتيب الضمان، وأخيرا ميدالية فضة وبها أربعة مفاتيح لم ترها من قبل.. نزلت بيري من

السيارة، فتحت كابينة الحقائب فوجدت كيسًا بلاستيكيًا مليئًا بالملابس حقيبة أخرى من القماش وبداخلها ثلاث زجاجات خمر من السوق الحرة وكيس صغير من صيدلية وبه علبة واقي للرجال وزجاجة شامبو.

رأت بيري ما يكفيها.. تأكدت مرة أخيرة من وضع كل شيء في مكانه أغلقت السيارة في استسلام، وعادت إلى منزلها وهي في حالة عدم اتزان. أقل من خمس دقائق في سيارة شريف كانت سببا في ارتفاع حاد في ضغط الدم، وصداع رهيب سيطر على رأسها، تناولت مهدئًا على أمل أن يهدأ هذا الألم.. ذهبت بعد ذلك إلى غرفة يارا وسارة، نظرت إليهما في حب وشفقة، قبلتهما وهما نائمتان.. خرجت من غرفتهما وهي لا تعلم إلى أين تذهب، بعد أن قررت في لحظةٍ عدم النوم بجانب شريف مرة أخرى، جلست في غرفة المعيشة، استلقت على كرسي مريح، أمسكت رأسها من الألم وهي تحاول أن تتذكر كل ما سمعت من سحر. دقائق وغلبها النوم من شدة الإرهاق، وقد كست وجهها الدموع التي انسابت من عينيها بغزارة..

***

في جزيرة الروضة، استيقظ وليد مبكرا كعادته، صلى الفجر، ثم جلس على سجادة الصلاة مرددًا أذكار الصباح.. وفي السابعة صباحا بدأت مها في تحضير حقيبة السفر سائلة:

- أحط لك القميص ده؟

- آه، والأبيض كمان.

- عايز كام فوطة؟

أجاب وليد ساخرا:

- مش معقولة يا مها، بقالي أكتر من سنتين بسافر وكل مرة تسأليني نفس الأسئلة.

- حقك عليا، أنا غلطانة، من هنا ورايح هوضب الشنطة على مزاجي، ومش من حقك تعترض..

وأثناء تناولهما للإفطار استمر وليد في سرد الوصايا العشر لزوجته..

- ما تعمليش أي مجهود وما تشيليش حاجات تقيلة.

قاطعته مها وأضافت بلغة ساخرة:

- وهاتحرك بالراحة، الدكتور عاطف قال الـ 3 شهور الأولى هما أهم فترة في الحمل.

تمنى وليد أن تحصل زوجته على إجازة بدون راتب لمدة شهر أو شهرين، إلا أن اعتراض الطبيب لم يساعده على تنفيذ ذلك.

وفي الثامنة صباحًا أرسلت مها رسالة إلى مديرها في العمل تستأذن في التأخير لمدة ساعة واحدة فقط، فأجاب كاتبا: «صباح الخير، مفيش مشكلة، بس مش أكتر من ساعة علشان اجتماع الإدارة الساعة 10»..

أجابت مها برسالة أيضا: «قبل 10 هاكون موجودة إن شاء الله..»

في ليلة أمس اتفقت مها مع عماد على أن يذهبا معًا لتوصيل وليد إلى المحطة، على أن يقلها بعد ذلك إلى عملها. التزم عماد بالميعاد، فهو يعي جيدا أن أخاه يفضل دائما الذهاب إلى المحطة قبل ميعاد تحرك القطار بخمس عشرة دقيقة.. في الطريق تحدث الأخوان مرة أخرى في موضوع الهجرة بينما التزمت مها الصمت. أكد عماد نيته في تقديم الأوراق والمستندات المطلوبة إلى سفارة أستراليا خلال هذا الأسبوع. اعترض وليد بشدة وطلب منه الانتظار حتى عودته من المنيا للتحدث باستفاضة أكثر في هذا القرار المصيري.. انتهى النقاش عن الهجرة أمام باب محطة السكة الحديد بالجيزة، وقف عماد بسيارته قائلا:

- ادخلوا انتوا، وانا هاركن واجيب الشنطة وآجي وراكم..

كان المكان مزدحمًا بالسيارات الملاكي، الأجرة والميكروباص، العاملين والمسافرين.. نظر عماد حوله بحثا عن مكان يصطف فيه سيارته، إلى أن وجد بالفعل مكانًا خاليًا وقريبًا من مدخل المحطة.. تحرك بالسيارة سريعا، اصطفها في لحظة، أخرج حقيبة أخيه، أمسكها في يده، ثم مشى

في اتجاه بوابة الدخول.. بعد أن ابتعد عماد بضع خطوات من السيارة ناداه نافع، أمين شرطة المرور بأعلى صوته قائلا:

- يا باشمهندس، شيل عربيتك من هنا، ده مكان عربية الظابط..

وقف عماد في مكانه، نظر إلى الخلف وأجاب قائلا:

- دقيقة واحدة، هادخل الشنطة وارجع علي طول..

رفض الأمين نافع وأجاب معترضا:

- مش هينفع.. شيل عربيتك يا هاخدلك مخالفة..

أصر عماد على موقفه قائلا:

- بقولك دقيقة واحدة، كان زماني رجعت..

فتح نافع الدفتر الذي أمسكه في يده وبدأ في كتابة رقم سيارة عماد الذي نظر إليه مستنكرا:

- يعني انت كده استريحت؟!

قال عماد جملته الأخيرة واتجه مسرعا إلى داخل المحطة دون أن يعطي فرصة للأمين أن يعقب على ما قاله.. نظر باحثا عن وليد وزوجته إلى أن رآهما فذهب إليهما.. مد وليد يده وأخذ حقيبته من أخيه شاكرا، ثم وقفوا في مكانٍ خالٍ انتظارا للقطار المتجه إلى المنيا..

في نفس التوقيت، وصل الرائد شريف إلى محطة الجيزة وهو يقود سيارته البيجو.. اتجه إلى المكان الذي خصصه لنفسه منذ أول يوم تم نقله

وإلى محطة الجيزة فوجد سيارة اصطفت في مكانه.. استاء بشدة، ضغط على آلة التنبيه بعصبية، إلى أن جاء إليه الأمين نافع مهرولا، فقال له شريف بأعلى صوته:

- مبت حد يركن مكاني ليه يا حيوان؟

اعتاد شريف استخدام تلك الألفاظ مع الأمناء وعساكر الشرطة، معتبرا إياها دعابة، وفي أوقات أخرى كنوع من التوبيخ.. ارتبك نافع وهو يدافع عن نفسه قائلا:

- والله يا باشا انا قلتله مايركنش هنا، بس هو ساب العربية ومشي..

- اعمل انت أمين هُزق.

- انا خدته مخالفة يا باشا.

- مخالفة إيه وزفت إيه، اتفضل ارميهاله في نص الشارع.

انصاع الأمين لتعليمات شريف وذهب خلف السيارة وبدأ في محاولة دفعها للأمام، ولكنه فشل.. عاد نافع ووقف أمام شريف قائلا بصوت خافت ضعيف:

- مانادو الفرامل سعادتك.

- هاته الأربع فرد على الأرض، ومرة تانية ما تخليش أي حد يركن مكاني.. فاهم يا حيوان؟!

- وسعادتك انا قلتله ده مكان عربية الباشا، بس هو صمم وقالي دقايق وراجع..

لم يرد شريف إنما تحرك بسيارته بضعة أمتار، أغلق الطريق بسيارته على سيارة عماد وهو يردد بداخله: «لما نشوف هايطلع ازاي بروح امه»؟

وفي داخل المحطة سلم وليد على أخيه عماد قبل وصول القطار بدقائق قائلا:

- خلي بالك من ماما..

عقّب عماد ضاحكا:

- خلي بالك من زوزو..

ابتسم وليد وهو يقبل رأس زوجته، فقد اعتاد ذلك قبل سفره، ثم نظر إليها قائلا:

- مش هاوصيكي.

- خلاص يا وليد حفظت، مافيش مجهود، ومش هاشيل حاجات تقيلة.

قاطعها عماد ساخرا:

- ومش هتلعب كورة في الشارع.

خرجا من المحطة في اتجاه سيارة عماد.. رآه الأمين من مسافة بعيدة فقال للرائد شريف الذي كان يستعد للخروج من سيارته:

- أهو جه سعادتك..

أغلق شريف سيارته بالريموت في هدوء، ومشى واثقا في اتجاه المحطة.. اقترب عماد من الأمين الذي وبّخه قائلا:

- أدينا اتهزأنا بسببك، شوف بقى هاتعرف تخرج ازاي؟

لمح عماد الرائد بزيه الميري وهو يبتعد عن المكان، فجرى إليه مسرعا بينما ذهبت مها ووقفت بجانب السيارة.. تحدث عماد بأدب مع شريف الذي استمر في المشي بخطوات ثابتة قائلا:

- من فضلك عايز اخرج بعربيتي.

أجاب شريف ساخرا:

- ما تخرج.

- أخرج ازاي؟ ما عربية حضرتك قافلة عليا.

أوقفت هذه الجملة شريف الذي نظر إلى عماد بغضب وأجابه مونخا:

- هو مش الأمين قالك ما ينفعش تركن هنا، ما سمعتش الكلام ليه؟

اقترب الأمين منهما ووقف بجانبهما مستمعا إلى عماد الذي استمر في الدفاع عن نفسه:

- أنا ما تأخرتش، وبعدين ده مكان في الشارع، مفروض أي حد يقدر يركن فيه..

أجاب الأمين نافع بعصبية:

- أنا قولتلك ده مكان الباشا، وما ينفعش تركن هنا ولا حتى ثانية واحدة.

لم يهتم عماد بما قاله الأمين، ووجه حديثه إلى شريف راجيا:

- من فضلك انا عندي شغل ومتأخر.

- وأنا مالي.. خد تاكسي، أنا مش هاطلع بعربيتي قبل الساعة 4..

- يعني إيه؟

رد شريف بكلمات مستفزة:

- علشان تتعلم الأدب، لما يقولك ما تركنش هنا تبقى تسمع الكلام.

أنهى شـريف حديثه ومشـى في اتجاه المحطة بخطوات سـريعة، ففقد عماد أعصابه قائلا:

- إيه قلة الذوق دي؟

ثم أضاف بصوت مرتفع:

- ما ينفعش تسـيبني وتمشي.. من فضلك شـيل عربيتك علشان أروح شغلي.

وقف شـريف علـى إحدى درجات مدخل المحطة، ثم استدار سـائلا بتحدٍّ:

- مين ده اللي قليل الذوق؟

شـعر عماد بأنه تخطى حـدود اللباقة، فتراجع بحديثه ولغته قائلا بنبرة هادئة:

- ما هو ما ينفعش اللي حضرتك بتعمله ده..

أجاب الأمين بحماقة:

- كلم الباشا عدل يلا انت.

نظر إليه عماد وأجاب غاضبا:

- مالكش انت دعوة.

وقفت مها تنظر إليهم من بعيد في ترقب شديد.. شعرت بأن هناك شيئا ما يحدث بين عماد والضابط، لم تستطع تحديد ما هو، فقررت الاقتراب في محاولة لفهم الموقف الذي وضح أنه تأزم فجأة، حتى أن الأمين دفع عماد بيده أكثر من مرة..

أبعد عماد يد الأمين بعصبية سائلا شريف:

- عاجبك اللي بيعمله ده؟

أجاب الضابط مدافعا عن الأمين:

- هو ما عملش حاجة، إنت اللي غلطان وقليل الأدب..

لم يشعر عماد بنفسه وهو يرد بوضوح أمام جميع المارة والعاملين في محيط المحطة الذين تجمعوا حولهم قائلا:

- أنا مش قليل الأدب، إنت اللي قليل الذوق.

دفع الضابط عماد بقوة بعد هذه الجملة، ثم بدأ في ترديد أبشع الشتائم، أما الأمين الذي اكتسب مزيدًا من الثقة، فأمسك عماد من قميصه بعنف وعصبية إلى أن مزقه.. تابعت مها كل هذه الأحداث عن قرب وهي في حالة ذهول من الألفاظ والإهانات التي رددها شريف في وجه عماد الذي

وقف وسط الجموع مذعورا وفاشلا في الدفاع عن نفسه.. وفي لحظة اقترب منه شريف ونظر إليه بتحدٍّ صارخا:

- أنا بقى هاربيك يا ابن الكلب يا واطي..

وسط هذه الأحداث التقت أعين مها وعماد الذي رد الإهانة بنفس الكلمات قائلا:

- إنت اللي ابن كلب واطي.

فقد شريف صوابه بعد هذه الإهانة، تخطى الجمهور بعصبية شديدة ووجه ضربة قوية وعنيفة بيده في وجه عماد الذي نجح بدوره في رد الضربة بل وبأقوى منها في كتف الرائد الذي فقد أعصابه تماما.. ومن هنا ومنذ تلك اللحظة، تحول المكان إلى ساحة عراك. فشل عماد تماما في الدفاع عن نفسه أمام هذا الكم الهائل من الضربات المتلاحقة من أيدي وأرجل شريف ونافع، وفوزي أمين الشرطة الذي انضم إلى زميله، حتى نزفت الدماء من أنفه وفمه ووجهه بغزارة.. فشل الجمهور في إبعاد الضابط والأمينين إلى أن علت الأصوات فصرخ أحد المارة معقبا:

- ده كده هايموت.

تحركت مها سريعا نحو درجات مدخل المحطة في محاولة لإنقاذ عماد الذي أُنهك من كم الضرب المتالي، حاولت إبعادهم وهي تصرخ في الثلاثة قائلة:

- إيه اللي بتعملوه ده؟! حرام عليكم، هتموتوه.

لم يهتم شريف بما قالته مها، بعد أن أصابه الجنون، ويمتهى العصبية أبعدها بيديه جانبا للوصول مرة أخرى إلى عماد الذي انبطح أرضا في حالة يرثى لها.. تماسكت مها بصعوبة ووقفت مرة أخرى أمام عماد تحميه بيدها وجسدها، ثم وجهت حديثها لشريف قائلة بأعلى صوتها:

- حرام عليك، دي مش رجولة.

وفي رد فعل غير متوقع، صفع الضابط مها على وجهها بقوة، حاولت أن تماسك لكنها فشلت تماما، وعلى إثر الصفعة اختل توازنها فسقطت من أعلى درجات مدخل المحطة صارخة صرخة مدوية توقف الجميع على إثرها عن الحركة. اتجهت فجأة كل الأنظار إليها، تحرك عماد بجسده على الأرض بصعوبة، أمسكها بيده فوجدها فاقدة للوعي فصرخ عاليا:

- ماحدش يقربلها.. دي جوزها ظابط.

لم يكن عماد يعي ما يدور حوله، معتقدا في هذه اللحظة بأن مها أصبحت طرفًا في هذا العراك.. اقتربت سيدتان منهما وأمسكتا مها بينما تقدم رجل مسن لمساعدة عماد الذي صاح وهو يحاول الوقوف قائلا:

- حد يكلم الإسعاف بسرعة.

قال أحد المارة معقبا:

- الإسعاف هاتيجي في ساعة.

ثم أشار بيده قائلا:

- مستشفى أم المصريين الناحية التانية، تاكسي في ثانية.

اجتهدت إحدى السيدتين في إفاقة مها.. حملتها الأخرى بين يديها، ثم وضعت قطرات من عطر على أنفها قائلة:

- حد يجيلها مية بسرعة.

وقبل أن تنتهي الجملة كان بين يديها كوب من الماء أعطاها إياه عم دسوقي بائع الشاي الذي ارتفع صوته مرددا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

نظر عماد لكل من حوله بتوسل، أراد من الجميع مساعدة مها، بينما وقف شريف والأمينين مع الضابط مراد الذي خرج من قسم محطة الجيزة على إثر انتشار خبر المشاجرة. لحظات وظهر تاكسي، أسند عماد وسيدتان زوجة أخيه، التي بدأت في استعادة جزء طفيف من وعيها. ساعدوها في ركوب عربة الأجرة، وفي نفس الوقت تحرك الأمينان نافع و فوزي اللذان أمسكا يد عماد بقوة ليقول أحدهما بسخرية:

- إنت رايح فين؟ عايزينك معانا شوية.

- أنا ماقدرش اسيبها، دي مرات أخويا.

جذبه الأمين نافع قائلا:

- لا يا حبيب أمك هاتقدر.

تدخلت سيدة في الحديث معلقة بمروءة:

- أنا مش هاسيبها يا بني، ماتخافش!

عقب أحد المارة قائلا:

- آه والنبي يا ماما، روحي معاها، ينوبك ثواب.

اتجه ملازم أول مراد والأمين نافع وفي يدهم المتهم عماد إلى داخل المحطة، أما شريف فنادي أمين قوة المحطة قائلا:

- تعالَ يا فوزي، سيبهم هما يدخلوه.

- تحت أمرك يا باشا.

أضاف شريف بصوت منخفض:

- اطلع على أم المصريين بسرعة، إنت لاقيت الست دي واقعة في شارع البحر الأعظم، تمشّي الولية اللي معاها وسواق التاكسي من على الباب.. فاهم؟!

- فاهم يا باشا.

- وتفضل هناك لغاية لما اكلمك.

عبر الأمين فوزي الطريق مسرعا إلى مستشفى أم المصريين.. ازدحام الطريق بالسيارات جعله يصل إلى المستشفى مع وصول التاكسي إلى البوابة.. نفذ فوزي التعليمات بدقة وأعطى المعلومات منفردا للاستقبال وللأمين مسئول الأمن معلنا العثور على هذه السيدة مغشيا عليها في شارع البحر الأعظم، وتحديدا بالقرب من نادي المعلمين. قيد مسئول أمن المستشفى كلمات الأمين في دفتر الأحوال بدون مراجعة المصابة أو التأكد من صحة هذه المعلومات.

وفي قفص قسم محطة الجيزة، لم يكن عماد خائفا، ولكن مضطربا ونادما.. أراد الاتصال بوليد لكنه فقد هاتفه المحمول أثناء العراك، وعندما طلب من الضابط مراد إجراء هذا الاتصال رفض، طبقا لتعليمات الرائد شريف الذي ذهب وجلس مع العقيد زكريا مأمور قسم المحطة. في هذا اللقاء روى شريف سيناريو مختلفًا تماما عن الحقيقة، اتهم فيه عماد بالاعتداء عليه وعلى أمين المرور. وبعد مناقشة سريعة تبادلا فيها الآراء، اتفقا معًا على تحرير محضر تعدٌ على الضابط والأمين أثناء تأدية وظيفتهما بالإضافة إلى اتهامات أخرى من سب وقذف علني وعلى أن يتم تأييد ذلك بشهادة الشهود.. استأذن شريف من المأمور ثم ذهب إلى مراد وطلب منه سرعة تحرير المحضر، وضم أقوال شهود الإثبات بالمحطة وخارجها..

●●●

في الشارع المقابل، وفي مستشفى أم المصريين رقدت مها على أحد الأسِرّة في قسم الطوارئ وهي في حالة إعياء شديد، لا يفصلها عن آخرين إلا ستائر من جميع الاتجاهات.. كشف عليها الدكتور حلمي رئيس قسم النساء ولاحظ بعد أقل من دقيقة أنها عانت من نزيف حاد، فقدت على إثره الجنين الذي كان يرقد في بطنها.. حاول الطبيب أن يسألها عمّا حدث ولكنه فشل في الحصول منها على أي إجابة.. وبعد نصف ساعة نجحت الممرضة عواطف في الحصول منها على اسم عماد بصعوبة بالغة. خرجت عواطف إلى صالة الاستقبال وارتفع صوتها عاليا:

- فيه حد هنا اسمه عماد مع الست اللي جوه دي؟

أجاب الأمين معقبا:

- اللي لابسه بنطلون أسود؟

- أيوه.

- لأ دي لوحدهـا، لقيناهـا واقعة فـي البحر الأعظم، ولا معاها شنطة ولا حتى محمول.

سألها الأمين عن حالتها فأجابت الممرضة قائلة:

- كانت حامل وسقطت، جالها نزيف، واديالها حقنة مسكنة هتنيمها شوية، لما تفوق نبقى نشوف حكايتها إيه.

حصل الأمين فوزي على هذا النبأ وعاد طائرا إلى محطة الجيزة.. وجد شريف في مكتبه، وسرد عليه حالة مها، فسأله منزعجا:

- الست والسواق مشيوا من هناك؟

- من على الباب، ما دخلتهمش زي ما سعادتك أمرت.

لم يرتَـح شريف بعد سماع هذا الخبر، فقد أصبح فجأة أمام قضية جنايات.. ذهب مسرعا إلى مكتب مأمور المحطة الذي اقترح على الفور تغيير المحضر، والاكتفاء باتهام عماد بالاعتداء على الأمين نافع.. شرح زكريا وجهة نظره بخبرة قائلا:

- إنت تبعد خالص عن الواقعة، تبقى شاهد وبس..

وفي لحظة تم تمزيق المحضر الذي كان الضابط مراد علي وشك الانتهاء منه؛ ليعيد كتابة ما حدث وفق السيناريو الجديد الذي أخرجه مأمور المحطة..

ومن القفص استمر عماد في محاولات فاشلة للسماح له بالاتصال بأخيه إلى أن أنهى الأمين فوزي الجدال ساخرا:

- هنا مش هاتعمل أي حاجه، لما تروح قسم الجيزة ابقى اطلب منهم تكلم وليد وأبو وليد وأم وليد كمان لو عايز.

موقف صعب؛ فهي تجربة عماد الأولى داخل قسم شرطة، بل هذا هو أول محضر في حياته.. وقف في القفص مصابًا ومرهقًا، يائسًا ويائسًا في انتظار المجهول.. في تلك اللحظات لم يكن يتمنى شيئًا غير الاطمئنان على زوجة أخيه بعد كل ما تعرضت له بسببه. أسئلة كثيرة سيطرت على عقله وأهمها: «هل فقدت مها الجنين؟»

***

في مستشفى أم المصريين جلس الدكتور حلمي في غرفته لكتابة التقرير الخاص بمها، ثم نادى الممرضة قائلا:

- الست اللي جالها نزيف.. عرفتي تاخدي منها نمرة حد من أهلها؟

عادت الممرضة إلى مها التي كانت نائمة وفي حالة إعياء شديد.. حاولت عواطف التحدث معها ولكن ما تعرضت له والحقنة المسكنة أثقلا من مهمتها، وأخيرا وبصعوبة بالغة تمتمت مها بكلمات قليلة سائلة:

- أنا فين؟

أجابت الممرضة عواطف مشفقةً:

- في مستشفى أم المصريين يا حبيبتي.

بالرغم من الحالة التي كانت عليها مها إلا أن عماد لم يغب عن بالها، بعد كل ما تعرض له من ضرب وأذى، أرادت الاطمئنان عليه قبل الاطمئنان على نفسها فقالت سائلة:

- عماد فين؟

- إنتي جيتي هنا لوحدك.

- أنا هنا ليه؟

كانت حالة مها سيئة بالفعل حتى أن الممرضة لم تُرِدْ إبلاغها بخبر فقدان الجنين، إنما اهتمت بمحاولة معرفة اسم مها بالكامل، وعنوانها، ورقم هاتف أحد أفراد عائلتها، ولكن مها أجابت راجية:

- عايزه الدكتور، بسرعة من فضلك.

كان هذا الطلب دليلًا على استيعاب مها للموقف.. لم تكن هناك آلام مبرحة، فالحقنة مازال مفعولها ساريًا، ولكنها كانت تشعر وتعي جيدا بأن هناك ما يدعو للقلق.. دقائق وعادت الممرضة ومعها الطبيب المعالج الذي قال لها بأدب:

- حمد الله على السلامة.

- جرالي إيه؟ أنا دكتوره.

حاول الطبيب اختيار كلماته حفاظا على مشاعرها فأجاب معقبا:

- واضح يا دكتوره إنك وقعتي وقعة جامدة أوي.

إعادت مها السؤال مرة أخرى بصعوبة ولكن بوضوح:

ـ أنا جرالي إيه من فضلك؟

أجاب الطبيب بصوت حزين:

ـ نزيف وإجهاض.

لم يحتجِ الطبيب إلى شرح المزيد أو إضافة كلمات أخرى. أغمضت مها عينيها وبدأت في البكاء بصوت مكتوم.. انسابت الدموع على وجهها والطبيب ينظر إليها مرددا بصوت يملؤه الإيمان:

- الحمد لله انك بخير.. قدر الله وما شاء فعل.

استمرت مها في البكاء إلى أن سألها الدكتور حلمي عن رقم هاتف أحد من ذويها للاتصال بهم. بالرغم من تأكد مها أن وليد خارج القاهرة إلا أنها لم تتردد في إعطاء رقمه للطبيب الذي أمسك هاتفه المحمول سائلا:

- ده رقم مين يا دكتورة؟

اختلطت الدموع بالكلمات وهي تقول بصوت خافت وضعيف:

- جوزي.. النقيب وليد.

***

الفصل الثاني عشر 12

مازال وليد جالسا في القطار وفي يده إحدى الصحف، يقرأ المقالات دون تركيز، فقد سيطرت على تفكيره كلمات أخيه الصغير وفكرة الهجرة من مصر.. بالرغم من اقتناع وليد بوجهة نظر عماد، إلا أنه لم يستطع الإفصاح عن ذلك..

لم يتنبه وليد وسط هذه الخواطر لهاتفه الذي استمر في الرنين إلى أن نبهه رجل يجلس بجانبه قائلا:

- المحمول بتاع حضرتك بيرن يا أستاذ.

أخرج وليد الهاتف من جراب وضعه في جانبه، رأى أمامه رقمًا غير مدون باسم فأجاب بهدوئه المعتاد سائلا:

- ألو، أيوه مين؟

- النقيب وليد؟

- أيوه، مين يا فندم؟

- أنا الدكتور حلمي أبو بكر، رئيس قسم النساء في مستشفى أم المصريين.. مدام مها زوجة حضرتك..

أجابت الممرضة عواطف مشفقةً:

- في مستشفى أم المصريين يا حبيبتي.

بالرغم من الحالة التي كانت عليها مها إلا أن عماد لم يغب عن بالها، بعد كل ما تعرض له من ضرب وأذى، أرادت الاطمئنان عليه قبل الاطمئنان على نفسها فقالت سائلة:

- عماد فين؟

- إنتي جيتي هنا لوحدك.

- أنا هنا ليه؟

كانت حالة مها سيئة بالفعل حتى أن الممرضة لم تُرِدْ إبلاغها بخبر فقدان الجنين، إنما اهتمت بمحاولة معرفة اسم مها بالكامل، وعنوانها، ورقم هاتف أحد أفراد عائلتها، ولكن مها أجابت راجية:

- عايزه الدكتور، بسرعة من فضلك.

كان هذا الطلب دليلًا على استيعاب مها للموقف.. لم تكن هناك آلام مبرحة، فالحقنة مازال مفعولها ساريًا، ولكنها كانت تشعر وتعي جيدا بأن هناك ما يدعو للقلق.. دقائق وعادت الممرضة ومعها الطبيب المعالج الذي قال لها بأدب:

- حمد الله على السلامة.

- جرالي إيه؟ أنا دكتوره.

حاول الطبيب اختيار كلماته حفاظا على مشاعرها فأجاب معقبا:

- واضح يا دكتوره إنك وقعتي وقعة جامدة أوي.

أعادت مها السؤال مرة أخرى بصعوبة ولكن بوضوح:

- أنا جرالي إيه من فضلك؟

أجاب الطبيب بصوت حزين:

- نزيف وإجهاض.

لم يحتج الطبيب إلى شرح المزيد أو إضافة كلمات أخرى. أغمضت مها عينيها وبدأت في البكاء بصوت مكتوم.. انسابت الدموع على وجهها والطبيب ينظر إليها مرددا بصوت يملؤه الإيمان:

- الحمد لله انك بخير.. قدر الله وما شاء فعل.

استمرت مها في البكاء إلى أن سألها الدكتور حلمي عن رقم هاتف أحد من ذويها للاتصال بهم. بالرغم من تأكد مها أن وليد خارج القاهرة إلا أنها لم تتردد في إعطاء رقمه للطبيب الذي أمسك هاتفه المحمول سائلا:

- ده رقم مين يا دكتوره؟

اختلطت الدموع بالكلمات وهي تقول بصوت خافت وضعيف:

- جوزي.. النقيب وليد.

***

الفصل الثاني عشر 12

مازال وليد جالسا في القطار وفي يده إحدى الصحف، يقرأ المقالات دون تركيز، فقد سيطرت على تفكيره كلمات أخيه الصغير وفكرة الهجرة من مصر.. بالرغم من اقتناع وليد بوجهة نظر عماد، إلا أنه لم يستطع الإفصاح عن ذلك..

لم يتنبه وليد وسط هذه الخواطر لهاتفه الذي استمر في الرنين إلى أن نبهه رجل يجلس بجانبه قائلا:

- المحمول بتاع حضرتك بيرن يا أستاذ.

أخرج وليد الهاتف من جراب وضعه في جانبه، رأى أمامه رقمًا غير مدون باسم فأجاب بهدوئه المعتاد سائلا:

- ألو، أيوه مين؟

- النقيب وليد؟

- أيوه، مين يا فندم؟

- أنا الدكتور حلمي أبو بكر، رئيس قسم النساء في مستشفى أم المصريين.. مدام مها زوجة حضرتك..

حكى الدكتور حلمي بدون توقف كل تفاصيل حالة وإصابة مها، ووليد يستمع صامتا وهو في حالة ذهول. عشرات الأسئلة دارت في خاطره: «من هو الدكتور حلمي، كيف ولماذا حدث ذلك؟ ما حقيقة حالة مها؟».

وقف وليد من مجلسه مفزوعا، قاطع الطبيب سائلا:

- هي مراتي فين؟

- بقول لحضرتك في مستشفى أم المصريين، هي قدامي دلوقتي.

- طيب ممكن اكلمها؟

- ثانية واحدة.

أعطى الدكتور حلمي الهاتف لمها التي قالت بصوت ضعيف:

- تعالَ بسرعة يا وليد.

ارتفع صوت وليد وسط القطار سائلا:

- إيه اللي جرا يا مها، فهميني؟

أجابت مها باكية:

- ضربوني، وضربوا عماد جامد أوي.

صرخ وليد بأعلى صوته سائلا:

- مين دول اللي ضربوكم؟

- ظابط وأُمّنا...

استمع الدكتور حلمي لصراخ وليد، فمد يده وأخذ الهاتف من مها قائلا:

- بعد إذنك.. كفاية كده..

أكمل الطبيب الحديث مع وليد، أوضح له أن زوجته مجهدة وتحتاج للراحة بعد النزيف الذي أصابها، وعندما سأله وليد عن تفاصيل ما حدث، أجاب الطبيب بأنه ليست لديه أي معلومات، ثم طلب منه سرعة الحضور إلى المستشفى وأضاف قائلا:

- ويا ريت لو حد يجيبلها هدوم وغيارات.

كان أمام وليد أقل من ساعة للوصول إلى المنيا، وثلاث ساعات على الأقل للعودة منها.. أنهى المكالمة ثم بدأ في إجراء العديد من الاتصالات.. لم يجلس لحظة واحدة بل استمر في المشي داخل القطار بخطوات عشوائية لفتت انتباه جميع الركاب.. حاول الاتصال بأخيه عماد فوجد الهاتف مغلقًا، ثم اتصل بحماه وحكى له ما دار بينه وبين مها وطبيب مستشفى أم المصريين.. شاءت الظروف أن يكون الدكتور حلمي نفس دفعة تخرج والد مها. تذكره جيدا بالرغم من أنه لم يره منذ سنوات عديدة.. أخذ الدكتور رأفت رقم هاتف الدكتور حلمي ثم اتصل بابنه، طالبا منه سرعة التوجه إلى أخته في مستشفى أم المصريين بالجيزة.. وفي القطار ظهرت على وليد كل علامات القلق والاضطراب حتى أن العرق بدأ يتسلل على جبينه.. اختلفت في ذهنه الأسئلة دون إجابة أو تصور منطقي واضح: «أين عماد؟ لماذا هاتفه مغلق؟ من هو الضابط الذي اعتدى على زوجته وأخيه؟ لماذا اعتدى عليهما؟ هل هو حادث سيارة؟ هل بالفعل فقد ابنه؟».

وسط هذا الكم الهائل من الهواجس، انتبه وليد فجأة لرجل مسن وضع يده على كتفه قائلا:

- اشرب كوباية الميه دي يابني واقعد كده واستهدا بالله.

أمسك الرجل يد وليد الذي انصاع إليه قائلا:

- حاضر.

شرب وليد ثم جلس في مكانه وهو ينظر في ساعته متمنيا اللحظة التي يصل فيها إلى المنيا ليستقل قطارا آخر يعود به مرة أخرى إلى القاهرة..

***

في قسم محطة الجيزة، انتهى الضابط مراد من كتابة المحضر الجديد، الذي اتهم فيه الأمين نافع المدعو عماد سامي بالاعتداء عليه أثناء تأدية وظيفته، إضافة إلى الاتهام بالسب والقذف العلني، وقد شهد على هذا المحضر الرائد شريف وأربعة آخرون من العاملين في محيط محطة الجيزة، أما عماد فرفض الإدلاء بأقواله إلى أن يتصل بأخيه النقيب وليد.. أبلغ شريف مديره بقرار عماد الذي تماسك برجولة في هذا الموقف الصعب.. أعطى المأمور تعليماته بكتابة رفض المتهم الإدلاء بأقواله، على أن يتم ترحيله إلى قسم الجيزة لاستكمال الإجراءات قبل عرضه على النيابة العامة..

***

وفي محطة المنيا، لم يستطع وليد انتظار القطار المتجه إلى القاهرة، خرج من المحطة، استقل سيارة أجرة بيجو قائلا للسائق:

- عايز انزل القاهرة وهاديلك اللي انت عايزه، بس تجري بسرعة.

- ماشي بس غرامة الرادار عليك؟

أخرج وليد كارنيه الشرطة من حافظته ورفعه أمام عيني السائق قائلا:

- مالكش دعوة بالرادار.

- خلاص يا باشا، يبقى كده 300 جنيه، وساعتين ونص تبقى في مصر بإذن الله.

انطلقت السيارة الأجرة من المنيا إلى القاهرة، وفي الطريق ازداد توتر وليد بسبب اختفاء أخيه، مازال هاتفه مغلقًا، ومازال لا يعرف حقيقة ما حدث لزوجته.. وسط هذه الظروف استقبل وليد اتصالًا من الضابط إسلام الذي استفسر عن سبب تأخره.. كان وليد فقد إحساسه باليوم والتزامه بالعمل، حتى أنه لم يبلغ زملاءه بعودته إلى القاهرة، وكالعادة لم يدخل وليد في أي تفاصيل قائلا:

- فيه ظرف طارئ، ولازم ارجع القاهرة تاني.

- خير، فيه حاجه؟

- خير بإذن الله، بس قدملي عارضة 48 ساعة من فضلك يا إسلام.

- طيب محتاج أي حاجة؟

- لا.. تسلم.

- ده احنا كنا مجهزنلك وليمة سمك حكاية..

كان ضباط وعساكر قطاع الأمن المركزي على علم بعودة وليد من القاهرة، قام الشاويش شاكر بالإشراف والتنسيق مع المطبخ لتجهيز وليمة من الأسماك التي أرسلها وليد مع نبيل ومغازي منذ أيام قليلة.. أنهى وليد الحديث بعد أن اعتذر عن عدم الحضور، متمنيا غداءً طيبًا وشهيًا للجميع، واعدا بالاتصال بزميله لطمأنته في أقرب فرصة..

***

كان أحمد أول من وصل لمستشفى أم المصريين، سأل عن أخته ثم توجه إليها فوجدها راقدة، وهي في حالة إعياء شديد، على فراش قديم ومتهالك، ترتدي جلباب مستشفى أخضرَ يفترض أنه مُعقّم.. أمسك يدها محاولا إيقاظها لطمأنتها والاطمئنان عليها.. فتحت مها عينيها بصعوبة ونظرت إلى أخيها في أسى وحزن لم يرهما في عيني أخته على مدار عمرها وقبل أن يتحدث أحمد مع مها ظهرت الممرضة سائلة:

- إنت بقى عماد؟

- لأ، أنا أحمد أخوها.

- أمال مين عماد اللي سألتنا عليه 100 مرة؟

- ده أخو جوزها..

قرأ أحمد شفايف أخته التي حاولت الحديث قائلة:

- ميه..

ساعدت الممرضة مها في شرب رشفة ماء، وقبل أن تحكي ما حدث لأخيها وصل والدها ووالدتها التي كانت تحمل في يدها حقيبة وبداخلها ملابس لابنتها. أخذتها الأم في أحضانها باكية سائلة:

- إيه اللي جرا يا مها؟

أجابت مها والدموع تنزف من عينيها:

- البيبي.. البيبي يا ماما.

فشلت الأم في التماسك وردت باكية:

- لا إله إلا الله..

أضافت الممرضة قائلة بصوت إيجابي:

- محمد رسول الله.. يا ستي الحمد لله انك بخير، وبعدين إن شاء الله تجيبي غيره..

اطمأن الدكتور رأفت على سلامة ابنته، ثم سأل عن مكتب زميله الدكتور حلمي الذي أحسن استقباله في هذا الظرف الصعب.. قدم الطبيب خالص عزائه لصديقه، طمأنه على حالة ابنته ثم أعطاه التقرير الذي كتبه قائلا:

- حصلها نزيف في الرحم نتيجة الإصابة وأدى إلى إجهاض وفقدنا الجنين.. ربنا يعوضها يا دكتور.

تفهّم الدكتور رأفت الموقف الطبي لابنته، ثم سأله عن الأسباب والظروف التي أدت إلى ما حدث، فأجاب الطبيب بأن المعلومة الوحيدة

التي حصل عليها هي فقدان اتزانها في شارع البحر الأعظم بإكراه مع... في واقع الأمر ليس مقتنعا بأن هذه هي الحقيقة..

ومن على فراش المستشفى، وبعد مجهود مضنٍ استمع أحمد لكلمات مها القليلة. نجح في وضع ما حدث في جملة مفيدة، ثم اتصل بوليد وأخبره بأنه تم الاعتداء على عماد ومها من ضابط وأكثر من أمين شرطة أمام مدخل محطة الجيزة، وأن ما حدث لزوجته هو نتيجة ضرب ودفع الضابط لها بقوة وعنف، ثم توقع أخوها أنها فقدت الوعي لتجد نفسها فجأة في فراش المستشفى.. سأل وليد أسئلة كثيرة ولكنه فشل في الحصول على أي معلومات أخرى. طلب وليد من أحمد سرعة التوجه إلى قسم الجيزة في محاولة الوصول إلى عماد؛ إذ توقع أن يكون أخوه هناك بما أن الأحداث تمت في منطقة الجيزة.. استأذن أحمد الجميع للذهاب إلى قسم الجيزة، أما وليد فبدأ في إجراء العديد من الاتصالات بأصدقائه الضباط في محاولة للوصول إلى أحد المعارف أو الزملاء في هذا القسم..

بعد أقل من خمس عشرة دقيقة اتصل أحمد بوليد الذي أجابه قائلا:

- أنا عرفت انه مش عندك، بس انا عايزك ترجع على محطة الجيزة وتسأل السياس أو الشيالين اللي هناك عن خناقة حصلت الصبح، وشوف هايقولوا إيه وكلمني..

بعد رحيل أحمد بدقائق وصل عماد وفي يده الكلبشات مع أمين ومجند من قسم محطة الجيزة لتسليمه إلى قسم الجيزة، وقيد المحضر وإثباته بأقوال الشهود في دفتر القيود.. كان المتهم عماد في حالة يرثى

لهاه ممسكا منديلا في يده، واضعا إياه على أنفه في محاولة لوقف النزيف المستمر.. كدمات في وجهه بأماكن متفرقة، إصابات وجروح بيده وساقيه، قميصه ممزق وسرواله متسخ وبهما آثار دماء كثيرة.. إجهاد شديد وإعياء واضح.. بعد وصول عماد بخمس دقائق، وقبل وضعه في الحجز، وقف بجانب متهمين آخرين في قضية سرقة بالإكراه، وعندما مر أمامه نقيب شرطة أوقفه عماد بأدب قائلا:

- من فضلك..

قاطعه أمين قسم محطة الجيزة معاتبا:

- اسكت يالا وما تتكلمش..

أجاب النقيب معترضا:

- ما تسيبه يتكلم.

- أنا أخويا نقيب شرطة اسمه وليد سامي، من فضلك عايز اكلمه؟

نظر إليه النقيب فريد باندهاش واهتمام سائلا:

- وليد بتاع الروضة؟

تجدد الأمل في وجه عماد:

- أيوه، أنا أخوه.

- مين اللي عمل فيك كده؟

تدخل الأمين في الحديث مرة أخرى قائلا:

التي حصل عليها هي فقدان اتزانها في شارع البحر الأعظم باكرا، مع إن في واقع الأمر ليس مقتنعا بأن هذه هي الحقيقة..

ومن على فراش المستشفى، وبعد مجهود مضنٍ استمع أحمد لكلمات مها القليلة. نجح في وضع ما حدث في جملة مفيدة، ثم اتصل بوليد وأخبره بأنه تم الاعتداء على عماد ومها من ضابط وأكثر من أمين شرطة أمام مدخل محطة الجيزة، وأن ما حدث لزوجته هو نتيجة ضرب ودفع الضابط لها بقوة وعنف، ثم توقع أخوها أنها فقدت الوعي لتجد نفسها فجأة في فراش المستشفى.. سأل وليد أسئلة كثيرة ولكنه فشل في الحصول على أي معلومات أخرى. طلب وليد من أحمد سرعة التوجه إلى قسم الجيزة في محاولة الوصول إلى عماد؛ إذ توقع أن يكون أخوه هناك بما أن الأحداث تمت في منطقة الجيزة.. استأذن أحمد الجميع للذهاب إلى قسم الجيزة، أما وليد فبدأ في إجراء العديد من الاتصالات بأصدقائه الضباط في محاولة للوصول إلى أحد المعارف أو الزملاء في هذا القسم..

بعد أقل من خمس عشرة دقيقة اتصل أحمد بوليد الذي أجابه قائلا:

- أنا عرفت انه مش عندك، بس انا عايزك ترجع على محطة الجيزة وتسأل السياس أو الشيالين اللي هناك عن خناقة حصلت الصبح، وشوف هايقولوا إيه وكلمني..

بعد رحيل أحمد بدقائق وصل عماد وفي يده الكلبشات مع أمين ومجند من قسم محطة الجيزة لتسليمه إلى قسم الجيزة، وقيد المحضر وإثباته بأقوال الشهود في دفتر القيود.. كان المتهم عماد في حالة يرثى

لها، ممسكا منديلا في يده، واضعا إياه على أنفه في محاولة لوقف النزيف المستمر.. كدمات في وجهه بأماكن متفرقة، إصابات وجروح بيده وساقيه، قميصه ممزق وسرواله متسخ وبهما آثار دماء كثيرة.. إجهاد شديد وإعياء واضح.. بعد وصول عماد بخمس دقائق، وقبل وضعه في الحجز، وقف بجانب متهمين آخرين في قضية سرقة بالإكراه، وعندما مر أمامه نقيب شرطة أوقفه عماد بأدب قائلا:

- من فضلك..

قاطعه أمين قسم محطة الجيزة معاتبا:

- اسكت يالا وما تتكلمش..

أجاب النقيب معترضا:

- ما تسيبه يتكلم.

- أنا أخويا نقيب شرطة اسمه وليد سامي، من فضلك عايز اكلمه؟

نظر إليه النقيب فريد باندهاش واهتمام سائلا:

- وليد بتاع الروضة؟

تجدد الأمل في وجه عماد:

- أيوه، أنا أخوه.

- مين اللي عمل فيك كده؟

تدخل الأمين في الحديث مرة أخرى قائلا:

- ما هو ده يا باشا الواد اللي ضرب أمين الشرطة عند المحطة..

انتبه فريد لما قاله الأمين وتعجب سائلا:

- هو انت بتاع خناقة المحطة؟

هز عماد رأسه قائلا:

- بس دول هما اللي ضربوني، وضربوا...

قاطعه فريد سائلا:

- كام نمرة اخوك.

سجل فريد الرقم ثم ابتعد عنهم، وهو يوجه حديثه للأمين آمرًا:

- مالكش دعوة بيه.

ثم نظر إلى عماد وأضاف قائلا:

- هاكلمه وارجعلك..

استقبل وليد مكالمة زميله وصديقه فريد، الذي تم نقله في الحركة الأخيرة إلى قسم الجيزة، معلنا عن وجود أخيه الصغير أمامه في القسم وهو في حالة سيئة للغاية.. حكى فريد بعض المعلومات التي سمعها عن تلك الواقعة، ومدى اهتمام قسم محطة الجيزة بمتابعة المحضر وإجراءاته، وفي نفس الوقت لم يتطرق من قريب أو بعيد لما حدث لزوجة وليد وكأن شيئا لم يكن. طلب منه فريد سرعة الحضور، وبالتحديد قبل عرض عماد على النيابة المسائية.. شكره وليد على اتصاله، ثم طلب منه إعطاءه بعضًا

من الوقت فهو مازال في الطريق وأمامه على الأقل ساعة للعودة إلى القاهرة..

أنهى وليد المكالمة ثم اتصل بأحمد الذي اقترب من محطة الجيزة، ليبلغه بوصول عماد إلى القسم ثم طلب منه البقاء بجانب أخته.. انتشر خبر العثور على عماد، ولكن وليد طلب من الجميع عدم الذهاب إلى القسم، فانصاع الجميع لقراره دون مناقشة.. مرت ساعة تحسنت فيها حالة مها بعض الشيء حتى أصبحت قادرة على الحركة داخل الفراش والحديث بكلمات أكثر وضوحا.. صممت على الاتصال بوالدة وليد التي حضرت إلى المستشفى مسرعة وهي في منتهى القلق.. لم تتطرق مها في المكالمة لأي تفاصيل عن الحادث إلى أن حضرت آمال ورأتها طريحة الفراش.. هزت مها رأسها يمينا وشمالا إجابة لنظرات والدة وليد التي سألت عن الجنين.. بكت آمال في لحظة وابتعدت خارج المكان حتى ذهب خلفها الدكتور رأفت قائلا:

- الحمد لله انها جت على قد كده.

بكت آمال سائلة:

- هو إيه اللي حصل يا دكتور؟

بكلمات مختصرة حكى رأفت ما حدث لمها وعماد عند المحطة وهي تستمع وعلامات الذهول والضيق مرسومة على وجهها..

ومع مرور الوقت، ومن على فراش المستشفى استطاعت مها أن تقص على وليد ما حدث لها ولأخيه من الضابط والأمناء أمام محطة الجيزة،

وعندما سألها وليد إن كانت حالتها تسمح بالذهاب إلى قسم الجيزة لتحرير محضر بأقوالها، أجابت بنعم.. لم تتردد مها في الموافقة، وأبدى في الرأي والندما الذي طلب منه وليد صورة من التقرير الطبي الذي كتبه طبيب المستشفى..

***

استمر شريف في متابعة الأحداث في قسم شرطة الجيزة من محطة الجيزة، انزعج بشدة لعدم دخول عماد الحجز.. استاء من الضابط فريد الذي طلب من مأمور قسم الجيزة السماح لعماد بالجلوس أمام مكاتب الضباط.. كلمات فريد عن علاقته الوطيدة بزميله الضابط وليد ساعدت المأمور في اتخاذ هذا القرار.. حاول فريد أيضا تعطيل الإجراءات ولكنه فشل أمام إصرار أمين المحطة على قيد محضر المحطة دفتريا، مثبتا أن ما حدث واقع لا يمكن تغييره أو الرجوع عنه. كانت هذه هي تعليمات مأمور قسم المحطة ومساعده الرائد شريف الذي كان يعي تماما أن هذه الخطوة هي الحل الأمثل لإنهاء مسئوليته، أما عماد فقد صار متهما في جنحة ضرب والتعدي بالسب والقذف، إدانة تامة بشهادة الشهود..

اطمأن شريف بعض الشيء بعد اتصال مديره بصديقه مأمور قسم الجيزة الذي وعده بالاهتمام بالمحضر.. خلال هذا الحديث أبدى مأمور المحطة استياءه الشديد من المتهم عماد الذي لم يُعطِ أو يُبدِ أي احترام للرائد شريف الذي شهد الواقعة منذ بدايتها.. أثناء هذه المكالمة الطويلة، لم ينسَ زكريا أن يحكي لصديقه أن شريف هو زوج ابنة رجل الأعمال المعروف راغب المحفوظ، واصفا إياه بأشعار وقصائد منها:

ـ ده ظابط ابن ناس جدًّا، برنس.

ويعد مزيد من المدح في شريف وأخلاقه، وغناه وكرمه، أنهى مأمور المحطة حديثه عن عماد والواقعة قائلا:

ـ هو فاكر علشان أخوه ظابط يبقى يمشي يلطش في الناس؟ دي حاجة تقرف، عيال عايزه ربايه.

كان مأمور المحطة على يقين واقتناع بإدانة عماد في هذه الواقعة، ركن سيارته في المكان المخصص لسيارة الضابط، وعدم انصياعه لتعليمات الأمين، ثم تعديه أيضا بالضرب والسب على الرائد شريف والأمين ناقع بمثابة «الكارثة»، ضاربًا عرض الحائط بهيبة الشرطة ورجالها..

***

في مستشفى أم المصريين، استسلم وتماسك الجميع، راضين بقضاء الله وقدره.. ساعدت والدة مها ابنتها في ارتداء ملابس أخرى استعدادا للرحيل لمقابلة وليد أمام قسم الجيزة. على باب قسم الطوارئ أوصى الطبيب مها بالانتباه وتوخي الحذر في الحركة لعدم حدوث أي مضاعفات، ثم طلب منها الراحة التامة على الأقل ثلاثة أيام والاهتمام بالتغذية لتعويض ما فقدته.. بالرغم من أن مها عانت من آلام حادة إلا أن أحزانها النفسية كانت أعنف وأشد وطأة.

وصل وليد إلى الجيزة، سبع ساعات إلا قليلًا قضاها في القطار والسيارة الأجرة ذهابا وإيابا، أصعب وأطول رحلة بل الأسوأ في حياته.. اتجه مباشرة إلى قسم الجيزة، وفي الجهة المقابلة للقسم وقفت سيارة الدكتور

رأفت، تحرك وليد تجاههم مسرعا وهو ينظر إليهم.. كست الحسرة وجو
الجميع، أحمد ووالده خارج السيارة.. والدة مها تجلس في الأمام إل
زوجته فنامت في أحضان والدته في المقعد الخلفي.. وعندما فتح وليد
باب السيارة، اتجهت إليه زوجته وانفجرت في البكاء قائلة:

- أنا آسفة، أنا آسفة.

دمعت عينا وليد الذي حضنها بقوة مرددا:

- أنا اللي آسف، أنا اللي بجد آسف.

هل هو آسف على فقدان الجنين، أم آسف على ما حدث لها بسبب
أخيه؟

التف الجميع حول وليد الذي رأى الواقع أخيرا أمامه، زوجته في حالة
انهيار وانكسار وقد وضح بشدة على خدها الأيسر انتفاخ بلون أزرق جراء
صفعة الضابط لها.. سألها وليد بعصبية:

- إيه ده! إيه اللي جرا لوشك؟

أجابت مها باكية:

- إحنا اتبهدلنا يا وليد.. اتبهدلنا أوي.

قبّل وليد رأس زوجته ويدها ثم حضنها صامتا.. كان بداخله بركان من
الغضب، ولكنه نجح في التماسك أمام عائلته، وعندما هدأت مها طلب
منهم انتظاره حتى العودة من القسم، فعقبت والدته راجية:

- أرجوك يا وليد طمني على أخوك.

هز رأسه وأجاب بأدب:

- حاضر يا فندم.

دخل وليد إلى القسم مسرعا وبخطوات ثابتة، وقبل أن يسأل عن النقيب فريد رآه واقفا في الجانب الأيمن من المدخل يتحدث إلى أحد زملاءه الضباط.. اتجه إليه دون أن ينتبه لأخيه عماد الذي جلس على أريكة بجانب آخرين في الجهة اليسرى للمكان..

انتبه عماد لدخول أخيه فوقف مناديا:

- وليد..

أدار وليد وجهه فرأى أمامه أخاه الصغير في مظهر مؤسف لا يكاد يصدق.. بالرغم من أن مها قالت إنه تم الاعتداء عليه بوحشية إلا أنه لم يكن يتخيل كم هذه الإصابات.. بالرغم من ذلك لم يبدِ وليد تجاهه أي تعاطف، بل قال له بوضوح:

- استنى هنا جنبك.

ألقى وليد التحية على زميله فريد، شكره على الاهتمام بأخيه، ثم طلب منه الاطلاع على محضر الشرطة.. لم يرفض فريد إنما اقترح عليه مقابلة مأمور القسم قائلا:

- العقيد حسان راجل محترم جدا، تعالَ معايا نلحقه قبل ما يمشي.

في الطريق إلى مكتب العقيد، حكى وليد لصديقه في كلمات قليلة ما جعلت لزوجته بسبب هذه الواقعة.. أبدى فريد اندهاشه بعد سماعه لهذا

النبأ السيئ.. كان العقيد حسان يستعد للرحيل عندما دخل الضابطان إلى مكتبه، ألقى فريد التحية قائلا:

- النقيب وليد يا فندم، زميلي سعادتك من أيام الكلية، وأخو عماد بتاع خناقة المحطة..

لم يرد العقيد التحية، دخل مباشرة في الحديث قائلا بحزم:

- إيه يا سيادة النقيب اللي أخوك عامله ده؟!

أجاب وليد سائلا:

- هو سعادتك شفته؟!

- بغض النظر شفته ولا لأ، بيضرب وبيشتم أمين شرطة ليه؟

استأذن وليد وخرج من الغرفة بعد هذا الرد.. توقع العقيد أن يعود الضابط بأخيه المتهم لإثبات موقف بعينه.

تحدث فريد مع المأمور في غياب وليد قائلا:

- ده مراته طلعت في الموضوع كمان يا فندم، قالّي ان فيه ظابط ضربها ووقعت وودوها مستشفى أم المصريين..

- ظابط ضرب مراته، إزاي؟! هي موجودة في المحضر؟

- لا يا فندم، ولا حد جاب سيرتها أصلا.

عاد وليد بعد دقائق إلى القسم ومعه زوجته ووالدها.. لم ينتبهوا لوجود عماد الذي رآهم وهم يخطون خطوات بطيئة. اكتفى عماد بالنظر إليهم وهو في قمة الأسى والخجل.. وفي مكتب المأمور وقف العقيد حسان في

اللحظة التي رأى فيها مها وهي تتمكز على يد زوجها الذي ساعدها على الجلوس بمنتهى الصبر، ثم قدم والدها قائلا:

- الدكتور رأفت عبد الوهاب.. حمايا.

مد العقيد يده وسلم على الدكتور رأفت بأدب واحترام طالبا منه الجلوس قائلا:

- اتفضل يا دكتور..

جلس وليد أيضا بجانب زوجته ثم بدأ حديثه وكأنه لم ير العقيد من قبل:

- النقيب وليد سامي، قائد سرية الدعم بقطاع الأمن المركزي بالمنيا.
أخويا الصغير ومراتي وصّلوني محطة الجيزة حوالي الساعة التاسعة،
كنت راجع القطاع.. وصلت المنيا، ورجعت تاني أول ماكلموني..
أنا ما حضرتش الواقعة، بس الدكتوره مها مراتي هتحكي لسعادتك
اللي حصل بالظبط.

أسلوب وهدوء وليد في الحديث جعلا العقيد ينتبه جيدا لحديث مها الصادق.. اعترفت بالفعل بأنها لم تسمع ما دار بين عماد والضابط والأمين في البداية، إلى أن اقتربت منهم أثناء الاعتداء على عماد.. حكت بأسف عن كم الألفاظ البذيئة التي رددها الضابط الذي صفعها على وجهها ثم دفعها بعنف وقوة وهي تحاول منعه من الاعتداء على عماد، حتى وقعت على الأرض فاقدة الوعي تماما.. وعندما توقفت مها عن الحديث بسبب بكائها عاتبها العقيد معقبا:

- يا دكتوره، رجالة بيتخانقوا مع بعض، إيه بس اللي يدخلك بينهم؟!

استجمعت مها قواها وأجابت بعصبية:

- علشان كانوا هيموتوا عماد.

قام الدكتور رأفت من مجلسه وفي يده التقرير الطبي، الذي أفاد بأن ابنته تحتاج إلى علاج أكثر من 21 يومًا، ثم أعطاه إلى العقيد قائلا:

- دي صورة من تقرير مستشفى أم المصريين.. بنتنا كانت حامل.

انتبه النقيب فريد للحديث معقبا:

- فيه مذكرة جت فعلا من مستشفى أم المصريين، هاجيبها لسعادتك حالا.

- هات معاك المحضر كمان.

صدق مها في سرد الأحداث، تأثرها وبكاؤها أثناء حديثها، وفقدها للجنين جعل العقيد يتعاطف معهم، حتى أنه أمسك الهاتف واتصل بمنزله قائلا لزوجته:

- أنا مش هينفع ارجع دلوقت، عندي شغل.

التزم الجميع الصمت إلى أن عاد فريد ومعه المحضر وإخطار المستشفى الذي قرأه وفحصه العقيد بنظرات سريعة ثم قال معقبا:

- المذكرة مكتوب فيها إن حضرتك وقعتي في شارع البحر الأعظم ووصلتي المستشفى في تاكسي مع أمين شرطة عند بوابة الدخول، وماكنش معاكي أي شنطة أو تحقيق شخصية..

وقف وليد من مجلسه، مد يده للعقيد وأخذ المذكرة لقراءتها، أما مها فنفت تماما ما سمعته قائلة:

- أنا كنت في المحطة بوصل وليد، أنا إيه اللي يوديني شارع البحر الأعظم؟!

قاطعها وليد سائلا:

- هي شنطتك فين؟

- ما عرفش.

ثم أضافت بعد لحظة:

- آه افتكرت، في عربية عماد، أنا سبتها في العربية لما دخلت معاك المحطة.

- يعني سعادتك شنطتها في عربية مركونة قدام المحطة، وهي وقعت في شارع البحر الأعظم، إزاي يعني؟!

أعاد وليد الورقة للعقيد قائلا:

- إخطار المستشفى ده مضروب يا فندم. إحنا عايزين نعمل محضر بأقوالها.

بعد هذه الجملة توتر الموقف في لحظة.. طلب العقيد من وليد الجلوس، ثم ضغط على جرس بجانبه قائلا بعتاب:

- إيه يا فريد بيه، صاحبك وانا اللي هضايفه؟ ينفع كده برضه؟

حاول العقيد حسان احتواء الجلسة بخبرته.. تحدث بأسلوب متزن مر
جعل الجميع يستمع إلى كلماته وآرائه؛ إلى أن قال باحترام شديد:

- أنا يا وليد بيه هاعملك كل اللي انت عايزه، بس ممكن نشوف الأور
المحضر يقول إيه؟

- اتفضل سعادتك.

أمسك العقيد المحضر في يده وبدأ في قراءته بتركيز شديد، أوراق عديدة لمحضر مكتوب بخط واضح.. أقوال الأمين أو كما أطلق عليه (المجني عليه).. شهادة الرائد شريف وآخرين.. بالطبع من أشرف على تنفيذ وصياغة هذا المحضر قدير وصاحب خبرة وفيرة.. وكما توقع العقيد لم تكن مها طرفًا في هذه الواقعة، بل لم يذكر اسمها من الأساس.. زاغت عينا العقيد وسط السطور وهو يفكر بعمق قائلا لنفسه: «محضر مطبوخ 10 على 10».. أخذ نفسًا عميقًا وعاد إلى الخلف ثم نظر إلى وليد سائلا:

- إنت قريت المحضر؟

وقف وليد ثم مد يده قائلا:

- لا سعادتك..

أعطى العقيد المحضر إلى وليد ثم خرج من الغرفة وفي يده هاتفه المحمول:

- بعد إذنكم، هاعمل مكالمة وارجع على طول..

جرت عينا وليد، وفريد، والدكتور رأفت بين السطور.. صفحات كبيرة كلمات وتفاصيل غير صادقة، وشهود زور أمليت عليهم إجاباتهم بحرفية وخبرة.. وفي غرفة خالية دخل العقيد حسان مسرعا ثم أغلق الباب خلفه. جلس على مكتب نائبه وهو يفكر في هذه الواقعة وأبعادها. وقبل مرور دقيقة واحدة اتصل بصديقه العقيد زكريا مأمور قسم محطة الجيزة، ودار بينهما حديث طويل، حكى فيه تفاصيل لقائه مع النقيب وليد وزوجته الدكتورة، وما تعرضت له من إصابة.. دافع مأمور المحطة عن شريف والأمين بثقة قائلا:

- أنا متأكد ان ما حدش قربلها.

ثم برر ما حدث شارحا:

- هي أكيد وقعت وسط الزحمة والهرجلة اللي حصلت، ولعلمك احنا توقعنا ان هي هتلبسها في الأمين علشان تخرّج منها الواد اخو جوزها، تقوم تتهم الظابط اللي أصلا مش طرف في الخناقة؟!

لم يعقب مأمور القسم فأضاف زكريا قائلا:

- لأ، وسمعت منهم دي.

- الست بتقول انه ضربها بالقلم فوقعت على السلم.

- ماحصلش أي حاجة من الكلام ده يا حسان.

ثم قال زكريا إن التعامل في هذه الواقعة سيكون من خلال المستندات، والشهود، وإخطار المستشفى الذي أفاد بوقوعها في شارع البحر الأعظم.. استمرت المناقشة، أفكار واقتراحات عديدة، ومن أهمها المصالحة وتوقيع

مذكرة تصالح بين الجميع وإنهاء هذه الخصومة التي بالطبع ستكون أولا وأخيرا في مصلحة الرائد شريف.. بعد تفكير سريع أيد العقيد زكريا هذا الاقتراح؛ إذ كان لديه تحفظ على كتابة محضر اتهام من زوجة النقيب ضد الرائد.. في نهاية الاتصال شكر مأمور المحطة صديقه، معتذرا عن هذا الإزعاج ثم أضاف بلغة حميمة:

- إنت هربان فين بقالك فترة، شكلك خايف تتغلب زي كل مرة.

أجاب العقيد ضاحكا:

- واضح انك بقيت بتنسى، آخر مرة انت شيلت عشرتين، وبعدين هنروح بعيد ليه، القهوة موجودة، والطاولة موجودة.

عاد العقيد حسان إلى مكتبه واعتذر للجميع قائلا:

- معلش مكالمة طويلة، المدام بتتخانق علشان ماروحتش، أصل احنا كنا عازمين اخواتها على الغدا النهارده.

عقب دكتور رأفت بأدب:

- آسفين ان احنا مأخرينك يا فندم.

- لأ، ماتقولش كده يا دكتور ده انتوا منوريني.

ثم وجه حديثه لفريد:

- شوف بقى هتغدينا إيه؟ بس عمال تقول وليد ده دفعتي، وليد ده أخويا وعشرة عمر..

اجتهد حسان في إذابة جو الحزن والتوتر، بإضافة جو من الحميمية للجلسة إلى أن تحدث وليد مرة أخرى عن الواقعة قائلا بوضوح:

- المحضر ده متفصل، وسعادتك عارف كده كويس.

لم يوافق أو يعترض العقيد، فأكمل وليد حديثه معاتبا:

- وكمان عماد ماخدوش أقواله.

أجاب حسان مدافعًا:

- ما هو مارضيش يتكلم، ولا المدام كمان أدلت بأقوالها في المستشفى.

انفعلت مها وعقبت بصعوبة قائلة:

- عايزني حضرتك أقول إيه وهما كاتبين اني وقعت في شارع البحر الأعظم؟

- كنتي تقولي انك وقعتي عند المحطة.

- ما هو الأمين مارضيش.

- يعني إيه ما رضيش.. مافيش حاجة اسمها كده يا دكتوره.

أنهى وليد الجدال في هذا الحوار بعد أن أمسك يد زوجته قائلا للعقيد:

- سعادتك، إحنا عايزين نعمل محضر، ونرفقه بالمحضر ده.

هز حسان رأسه وأجاب بدبلوماسية:

- إزاي بس يا وليد بيه؟ ده انت سيد العارفين، ده محضر معمول في قسم واحنا في قسم تاني.. ده شغل نيابة بقى مش بتاعنا.

ثم أكمل حديثه وهو ينظر إلى الدكتور رأفت الذي جلس مستمعا من أول لحظة:

- أنا بطلب ان احنا نهدا شوية ونحكم عقلنا..

بمنتهى التأثر أعرب العقيد عن حزنه وأسفه لفقدان الجنين، داعيا الله أن يعوضهما ويرزقهما خيراته، ثم عاد إلى صلب الموضوع شارحا وجهة نظره باستفاضة، والكل ينصت إليه بتركيز شديد:

- موقف أخوك مش كويس.. هيتعرض على النيابة كمان كام ساعة، وبالمحضر اللي قدامي هايتحبس مبدئيا 4 أيام، وأكيد هيتجددله..

بمنتهى الذكاء بث العقيد الرعب في قلوب الحاضرين.. شرح بخبرة موقف القضاء، تحدث باهتمام عن مستقبل عماد أمام حكم بالسجن قد يصل إلى ثلاث سنوات، ثم تطرق حسان بعد ذلك إلى مدى تشدد وزارة الداخلية في أي واقعة اعتداء على أي فرد من أفراد الشرطة أثناء تأدية وظيفتهم قائلا:

- يا وليد بيه، ما حدش ينفع يقرب منتا.. ما انت فاهم الكلام ده كويس.

وأخيرًا تطرق العقيد لصعوبة موقف مها خاصة أن الأمين الذي اصطحبها إلى المستشفى قيد وأثبت سقوطها واختلال توازنها في شارع البحر الأعظم، ثم وجه حديثه إلى رأفت قائلا:

- المشكلة يا دكتور إن احنا بنتعامل بالمستندات اللي في إيدينا، وبصراحة موقفنا في الورق اللي قصادي ضعيف.

وبذكاء أعطى العقيد الانطباع بانضمامه إلى جبهة ومصلحة عائلة وليد مستخدما كلمة «موقفنا».

تخلى أخيرا الدكتور رأفت عن صمته وقال سائلا:

- طيب حضرتك تقترح إيه؟

ها هو السؤال الذي تمناه العقيد أمامه على «طبق من ذهب».. اقترح العقيد حسان فكرة التصالح مع الأمين بعد أن أقسم أن كل ما يعنيه هو مستقبل عماد.. وبمنتهى الدهاء وعد الحاضرين بالاتصال بمأمور المحطة للضغط على الأمين لإنهاء المشكلة وذلك بتوقيع مذكرة التصالح، وكأن هذا هو الحل الأمثل الذي يمكن الوصول إليه..

تلجم لسان وليد أمام هذا الخيار الصعب، مستقبل أخيه أمام حق زوجته وحق الجنين الذي فقده.. حكم الدكتور رأفت صوت العقل مؤيدا وجهة نظر العقيد حسان، مقتنعا وواثقا أيضا أن الحق لن يصل إلى أصحابه في هذه الدولة..

في بادئ الأمر رفضت مها واعترض وليد على فكرة التصالح تماما، ولكنهما رضخا قليلا بعد أن استمرت المناقشات لفترة طويلة. نجح العقيد حسان في وضع الجميع تحت ضغط نفسي شديد بسبب موقف عماد حتى أنهى الدكتور رأفت الجدال قائلا بوضوح:

- ما ينفعش عماد يتحبس يوم واحد، من فضلك يا وليد عايزين نخلص من الموضوع ده ونمشي من هنا..

خرج وليد وفريد من الغرفة للتحدث مع عماد الذي كان منهكًا نفسيًا وجسديًا.. بالرغم من حالة عماد السيئة إلا أنه رفض هذه الفكرة بإصرار قائلا:

- نتصالح ازاي؟ لأ مش ممكن، مش هايحصل!

تردد وليد مرة أخرى؛ مستقبل أخيه في كفة، وإحساس الظلم والقهر في الكفة الأخرى.. أمسك فريد يد صديقه قائلا:

- عن إذنك يا عماد ثانية واحدة.

تحدث فريد مع وليد على مدخل القسم.. كلماته الصادقة حسمت الموقف وأنهت صراع وليد الداخلي:

- المأمور عنده حق، المحضر متستف، وأكيد عماد هياخد فيها حكم، ولو النهارده نعرف نتصالح احتمال بكره مانعرفش.

ثم أضاف فريد معلومة جديدة:

- إنت عارف شريف ده مين؟

هز وليد رأسه نافيا، فسرد صديقه بعض المعلومات عن شريف وأهمها زواجه من ابنة رجل الأعمال المعروف راغب المحفوظ ثم أضاف قائلا:

- ده كان قالب القسم، مقعد أمين من المحطة هنا، وظابط رايح جاي علينا، ده غير التليفونات، عشرين مكالمة من الوزارة، ومن مأمور

المحطة. ده انا بالعافية متزلتش عماد الحجز، وبصراحة اللي أنا خايف منه كمان انه ممكن يكون كلم حد في النيابة ومجهز لنا كمين هناك، وبدل 4 أيام نلبس 15..

ثم أنهى كلماته بجملة مفيدة:

- أحسن حاجة انا نخرّج عماد من المشكلة، وبعدين نبقى نشوف ممكن نعمل إيه.

بعد هذا الحديث عاد وليد إلى عماد وأخذ منه مفتاح السيارة ثم خرج من القسم وعبر الطريق إلى والدته التي كانت تجلس في السيارة وفي يدها المصحف الشريف.. انتبهت الأم لابنها الذي قال لها مطمئنا:

- عماد كويس، بس متعور شوية.

- متعور ازاي؟

- واضح انها كانت خناقة كبيرة.

أراد بهذه الجملة تمهيد مظهر أخيه لوالدته.. ثم أضاف قائلا:

- إحنا لسه قدّامنا شوية كمان.. المحضر وحش أوي.

اندهش أحمد سائلا:

- محضر إيه اللي وحش؟

- بعدين هاشرحلك..

أعطى وليد مفتاح سيارة عماد لشقيق مها ثم طلب منه سرعة إحضار السيارة من أمام المحطة، التي تبتعد عن قسم الجيزة بمسافة دقائق معدودة متمنيا العثور على شنطة زوجته بداخلها. عاد وليد إلى مكتب العقيد حسان الذي كان يتحدث في الهاتف.. انتظر إلى أن انتهت المكالمة ثم قال له بنبرة هزيلة:

- اللي سعادتك شايفه صح نعمله.

هز العقيد حسان رأسه معقبا:

- تمام كده، التصالح هو أفضل قرار في الموقف اللي احنا فيه.

خرج حسان من مكتبه مرة أخرى، أما وليد فجلس بجانب زوجته دون أن ينظر إليها حتى انهارت باكية.

أمسك وليد يدها بحنان في محاولة فاشلة لتهدئتها، فقال الدكتور رأفت مقترحا:

- طيب نمشي احنا بقى علشان مها لازم تستريح.

أجابت مها بإصرار:

- لأ، أنا مش هامشي من غير عماد.

عاد العقيد بعد أن اتفق مع مأمور قسم المحطة على كل التفاصيل.. جلس على مكتبه قائلا:

- الأمين جاي في السكة.. ماكانش عايز يتصالح.

هز وليد رأسه ساخرا:

- طبعا، أكيد لسه عايز ياخد حقه.

دخل فريد إلى الغرفة وخلفه عسكري من القسم وهما يحملان أكياسًا من أحد مطاعم الوجبات السريعة، فعقب حسان قائلا:

- أنا مش هاكل غير لو كل واحد في الأوضة دي أكل.

بمنتهى الأدب شكر الدكتور رأفت العقيد حسان الذي طلب من فريد كتابة المذكرة، ثم أوضح حتمية توقيع وليد ومها ووالدها كشهود على هذا التصالح.. كانت هذه فكرة مأمور المحطة؛ إذ إن وجود وليد ومها كشهود ينهي الصراع بالكامل.. بعد أن انتهى العقيد من إعطاء التعليمات لفريد قال وليد مستأذنًا:

- عايز حضرتك برا ثانية واحدة.

وقف حسان خارج غرفته مع وليد الذي قال له بوضوح:

- أنا وافقت على كل حاجه، بس أنا مش هامضي على مذكرة تصالح، حتى ولو اخويا اتسجن.

تدارك العقيد الموقف سريعا بإجابة واضحة أيضا:

- ماشي، بس المدام لازم تمضي، مش هايحصل تصالح غير كده.

- هو الرائد شريف جاي؟

- يجي ليه؟ هو مش طرف في الواقعة، هو شاهد في المحضر بس.

- ما مراتي والدكتور رأفت مش طرف برضه.

رفع حسان اللقب لأول مرة وأجاب قائلا:

- إنت زي أخويا الصغير يا وليد، ومش هاخليك تشهد على التصالح، مع إن مأمور المحطة مصمم، بس انا هاعمل كده على مسئوليتي الشخصية.. من فضلك متصعبش الدنيا علينا وخلينا نخلص من المشكلة دي.. أنا يا وليد مش هامني حاجة غير مستقبل أخوك.

وبعد أن اتفق الضابطان على كل التفاصيل عاد العقيد إلى غرفته، أما وليد فخرج مرة أخرى ليسأل عن أحمد فأجابت والدته:

- جه ساب شنطة مهاه، ورجع تاني على المحطة علشان يجيب العربية.

- طيب ما كان هناك، مارجعش بيها ليه؟

اتصل به وليد وسأله عن سبب عودته إلى المحطة فأجابه أحمد قائلا:

- أنا لقيت الأربع فِرَد على الأرض، رجعت خدت من عربية بابا شاحن كاوتش وخلاص نفخت اتنين وفاضل اتنين.. هاخلص واجيب العربية وارجع على طول..

كان فريد على وشك الانتهاء من كتابة مذكرة التصالح.. صيغة ثابتة ومعروفة، وقف وليد بجانبه يقرأها إلى أن أشار عماد بيده قائلا:

- الأمين اللي اتخانقت معاه لسه ماشي كده من دقيقة.

نظر وليد إلى أخيه وأجاب بصرامة:

- إحنا هانتصالح، ومش عايز اسمع منك ولا كلمة.. واضح؟

انفعل عماد سائلا:

- إزاي يا وليد؟!

أجاب بعصبية:

- هو كده.

مشى وليد مسرعا بعد هذه الجملة إلى مكتب العقيد حسان، فهو لم يكن يريد أن ترى زوجته الأمين في عدم وجوده.. دخل المكتب فرأى الأمين نافع واقفا بجانب مكتب العقيد.. رجل في أوائل الأربعينيات، طويل وعريض وصاحب بنيان قوي.. كانت مها تنظر إليه في حالة غثيان واشمئزاز وهو يتحدث عن الواقعة قائلا:

- وبعدين معاليك ساب العربية ومشي..

قاطعه وليد وقال مستئذنا:

- ممكن سعادتك تنادي عماد.

ضغط العقيد على جرس خلفه وهو يقول للأمين:

- ده النقيب وليد، أخو عماد.

نظر الأمين لوليد قائلا:

- والله يا باشا أخو سعادتك إللي ضربني الأول.

قاطعه العقيد قائلا:

- خلاص يا نافع.

دخل أحد أفراد الأمن فطلب منه العقيد استعجال النقيب فريد وإحضار عماد.. خرج العسكري فنظر وليد إلى الأمين سائلا باستهجان وهو يشير الى زوجته:

- شُفت الأستاذة قبل كده؟

هز نافع رأسه نافيا:

- لا يا باشا عمري ما شفتها..

إبتسم وليد ابتسامة صفراء، ثم هز رأسه ساخرا:

- أكيد طبعا ما شفتهاش.

سيطر السكون على الغرفة لمدة ثوانٍ إلى أن حضر النقيب فريد ومعه عماد الذي رآه العقيد لأول مرة. المتهم والمجني عليه كتفا إلى كتف.. المجني عليه سليم مئة في المئة والمتهم في حالة يرثى لها.. في هذه اللحظة فقط استوعب العقيد سؤال وليد في بداية لقائهم:

- هو سعادتك شفته؟

أيقن العقيد أن هناك ظلمًا بيِّنًا وقع ليس فقط على زوجة وليد ولكن على أخيه الصغير أيضا، وفي نفس الوقت أراد الانتهاء من هذه المشكلة والوصول بالجميع إلى توقيع مذكرة التصالح.. لم يتمالك الدكتور رأفت نفسه، تحدث بعد صمت مستنكرا هذا الموقف الظالم قائلا:

- حضرتك شايف ان الولد ده هو اللي اعتدى على الراجل ده؟!

أجاب حسان بدبلوماسية:

- من فضلك يا دكتور، إحنا عايزين ننهي الموضوع ده بعد إذنك.

لم يعقب الدكتور رأفت بل أحنى رأسه في أسى، أما مها فأخفت وجهها بيديها. أخذ العقيد مذكرة التصالح من فريد، قرأها في لحظات ثم التفت إلى الصفحة الثانية قائلا للأمين نافع:

- امضي هنا.

وقع الأمين ثم عاد خطوتين إلى الخلف..

أمسك فريد المذكرة وتحرك وسط الحاضرين لتتوالى التوقيعات بعد ذلك.. سيطر الوجوم على وجه وليد وهو يتابع أفراد عائلته وهم يوقعون على ظلم بيّن.. تمنى للحظات تمزيق هذه المذكرة، إلا أنه تماسك أمام فكرة حبس أخيه الصغير ولو ليومٍ واحد..

شرد وليد في أفكاره وأحزانه إلى أن صاح الأمين قائلا:

- تؤمر بحاجة معاليك؟

نظر العقيد حسان إلى الأمين متمنيا القبض عليه.. الواقعة أمامه والحقيقة واضحة، إنما أجابه قائلا:

- لأ امشي انت.

كان عماد آخر من وقع على هذه المذكرة.. كم كان غاضبا ومنكسرا.. ظل مترددًا حتى ارتفع صوت فريد قائلا:

- امضي هنا يا عماد.

انتهت إجراءات التصالح، شكر وليد مأمور القسم على مجهوده ووي
بعد أن استغرقت المفاوضات ساعات عديدة، تبادل وليد وحسان أرقام
الهاتف المحمول بعد أن قال له بلغة حميمة:

- يا ريت لو نتفضل على اتصال يا وليد.

- أكيد يا فندم.

وفي لفتة طيبة مشى معهم العقيد حتى مدخل باب القسم، وهو يردد
بعض الكلمات الرقيقة، شاعرا بصعوبة الموقف الذي مرت به هذه
العائلة..

ومن أمام باب القسم طلب وليد من الجميع الانصراف قائلا:

- بعد إذنك يا دكتور توصلوا ماما البيت، وأنا هاجي وراكم..

ثم نظر إلى أخيه عماد وأضاف:

- خليك هنا، مش عايز ماما تشوفك كده..

قالت مها وهي تتكئ على يد زوجها:

- أنا هاروح البيت.

أجاب وليد معترضا:

- لا طبعا.. انتي هتروحي مع مامتك.. إنتي محتاجه حد ياخد باله
منك، وأنا كده كده لازم ارجع المنيا.

وفي شارع البحر الأعظم رآهم أحمد، عبر الطريق إليهم، اطمأن على
أخته، ثم سأل عن عماد فأجاب وليد بكلمة واحدة:

- خلاص الموضوع خلص، اتصالحنا..

لم يفهم أحمد ما معنى هذه الكلمة في هذا الموقف فسأل متعجبا:

- يعني إيه اتصالحتوا؟!

أجاب الدكتور رأفت:

- بعدين يا أحمد.

رحلت سيارتا الدكتور رأفت وأحمد، ومن بعدهما بدقائق سيارة عماد التي قادها وليد قائلا:

- إحنا لازم نروح مستشفى الأول.

قبل عودتهم إلى الروضة أراد وليد تطهير وتضميد إصابات أخيه المتعددة والاطمئنان أيضا على عدم وجود أي شرخ بيده.. لم تكن هناك أي لغة حوار بين الأخوين في الطريق، صمت تام، كلاهما شارد ومستغرق في أحزانه.. قبل العودة إلى المنزل توقفا أيضا لشراء قميص وبنطلون لعماد، لم يرد وليد أن تراه والدته أو أحد من الجيران أو حارس العقار بهذه الصورة المؤسفة، وبالرغم من كل ذلك كان مظهر عماد في أسوأ صورة له منذ يوم مولده.

***

وفي داخل محطة الجيزة، جلس الرائد في مكتبه وأمامه الأمين وهو يقص عليه كل ما دار في القسم، شريف يسأل ويسمع بشغف واهتمام

ونافع يحكي بحماس وتكبر.. في نهاية الحديث تنهد شريف مستريحا في مقعده ثم عاد بجسده إلى الخلف قائلا بانتصار:

- بكره الصبح تروح تجيب صورة من مذكرة التصالح.

أجاب الأمين مبتسما:

- أول حاجة الصبح يا باشا.

- وبعدين مرة تانية ما تخليش حد يركن مكاني، سامع يا حيوان؟

الفصل
13 الثالث عشر

أوقف وليد سيارة أخيه أمام منزل العائلة في الروضة.. فتح عماد باب السيارة سائلا:

- ممكن أفهم احنا هانعمل إيه؟

- جاي تسألني هنعمل إيه واحنا واقفين قدام باب البيت، ما احنا بقالنا ساعة مع بعض، وانت ما تكلمتش ولا كلمة، إطلع يا عماد، وبكره هاجيلك نتفاهم.

- هتيجي بكرة إمتي؟

- هاخد مها للدكتور الصبح ولما ارجع هاعدي عليك..

أدار عماد وجهه إلي البناية فقال له وليد بصوت واضح:

- مش عايز حد يعرف أي حاجة عن اللي حصل.

نظر إليه عماد بدون أن يرد قائلا لنفسه: «أقول إيه لمين؟»

صعد عماد إلى المنزل دون أن يراه أحد، وبالرغم من ارتدائه لملابس جديدة إلا أن والدته صرخت في اللحظة التي رأته فيها سائلة:

- إيه ده؟! إيه اللي عمل فيك كده؟

كان عماد في أفضل مظهر منذ ذلك الصباح، إلا أن الكدمات ويده المصابة والضماد الأبيض كشف عن حجم ما تعرض له من ضرب واعتداء.. أغلق عماد باب غرفته خلفه بعصبية وكأنه لم يسمع أيا من أسئلة أمه الكثيرة، ثم قال بصوت مرتفع:

- من فضلك سيبيني لوحدي..

كانت الأم على وشك أن تفتح باب الغرفة ولكنها ترددت بعد سماع هذه الجملة فسألت من خلف الباب:

- طيب انت مش عايز حاجة؟

- لأ.. أنا عايزك بس تسيبيني لوحدي..

استلقى عماد على فراشه يعتصر جسده الألم، ويحترق قلبه بالحزن.. وبعد أقل من دقيقة بكى لأول مرة منذ سنوات.. تذكر في هذه اللحظة وفاة والده، تمنى وجوده بجانبه في هذه المحنة.. استمر في هذه الحالة إلى أن طرقت الأم باب الغرفة قائلة:

- أنا عملتلك العشا.. إنت أكيد ما كلتش حاجه النهارده.

استجمع عماد قواه وأجاب بصوت واضح:

- مش عايز، من فضلك سيبيني لوحدي.

***

في منزل الدكتور رأفت، سيطر جو من الحزن والاكتئاب على العائلة بأكملها.. ترددت بينهم كلمات قليلة.. بعد أن استلقت مها في الفراش

أشـرف والدها على إعطائها جميع الأدوية التـي كتبها صديقه الطبيب، أما والدتها فعادت إلى غرفتها لأداء الصلاة.. وفي غرفة المعيشـة شـرح وليد لأحمـد تفاصيـل مـا حدث فـي القسـم.. الغريب فـي الأمر أنه قـص عليه السـيناريو بدقة وكأنه شـاهد على الحقيقة.. حـاول أحمد وضع تصورات خاطئة ومختلفة إلى أن قال له وليد بخبرة:

- كل اللـي انت بتتكلم فيه ده مش مهم، المشـكلة في الورق، المحضر والشـهود.. الموضـوع اتطبخ كويـس، وفعلا ماكنش عندنا اختيار غير ان احنا نتصـالح..

- يعني الموضـوع خلص كده؟

- طبعا لأ.. بس انا لسـه مش عارف هاعمل إيه..

سمعه الدكتور رأفت الذي خرج من غرفة ابنته فقال معقبا:

- مـش هانعمل حاجـة يا وليـد، والحمد للـه انها جت على قـد كده.. وياريت لو الموضوع ده يتقفل، ومانتكلمش فيه تاني..

لم يعقب وليد على كلمات رأفت، ولكن ابنه أجاب معترضا:

- ما ينفعش يا بابا الموضوع يتقفل، اللي حصل ده.....

قاطع رنين هاتف أحمد حديثه، نظر في هاتفه فصاح قائلا:

- ده حد بيتكلم من تليفون عماد..

حاولت العائلة الاتصال بتليفون عماد أكثر من مرة إلا أن الجميع استمع إلى نفس الرسـالة: «الرقم الـذي تحاول الاتصـال به ربما يكـون مغلقا»، فأجاب أحمد بحماس:

- أيوه مين؟ ده تليفون عماد..

- أنا دسوقي من المحطة، لقيت المحمول ده واقع في الخناقة بس مفكوك.. استنيت لما رجعت البيت وخليت ابني يركبه..

عم دسوقي، واحد وسبعون عاما، علم من أعلام محطة الجيزة.. يعمل في بيع الشاي للجميع من نفس الموقع منذ أكثر من ثلاثين عاما.. يعرفه بل ويحبه الجميع، مثال للإنسان المصري الأصيل، بشرة سمراء، طيبة، أمانة، نبل وأخلاق حميدة..

اتفق أحمد مع دسوقي على الذهاب إليه في الغد لتسلُّم الهاتف بشرط أن يحضر ومعه بطاقة عماد الشخصية. قال دسوقي معتذرا:

- معلش يا بني.. دي أمانة.

شكره أحمد بعد أن شرح له عم دسوقي موقعه بالتحديد.. بالرغم من هذه المفاجأة السارة، ومع أن الهاتف جديد إلا أنه لم يضف أي نوع من أي بهجة، استقبل الجميع الخبر بهدوء، بينما عقبت والدة مها قائلة:

- ياااه.. لسه فيه ناس عندها ضمير؟!

أصر وليد على عدم ذهاب أحمد للقاء عم دسوقي قائلا بوضوح:

- أنا اللي هاجيب الموبايل، كل الناس النهاردة شافتك بتنفخ كاوتش عربية عماد، وبصراحة أنا مش عايز حد منكم يقرب من هناك خالص.

قبل أن يستأذن وليد في الانصراف حاول الدكتور رأفت إقناعه بأن يقضي معهم هذه الليلة في منزلهم، إلا أن وليد اعتذر قائلا:

- محتاج آخد دوش، وتعبان.. سيبوني براحتي.

عاد وليد بعد عناء يوم طويل إلى منزله الصامت.. انقبض قلبه بعد أن قارن في لحظة بهجة وسعادة العائلة احتفالا بحمل زوجته مقابل السكون والظلام الذي أصاب المكان.. تجول في الشقة الخالية بلا هدف، دخل للاستحمام والوضوء لصلاة جميع فروض اليوم، ثم استلقى في فراشه متمنيا النوم كي ينتهي كابوس هذا اليوم. كما هو متوقع لم تغمض له عين ولو للحظة واحدة. وسط هذا الصمت الرهيب سمع صوت الشيخ رجب العذب وهو يؤذن لصلاة الفجر.. قفز وليد من الفراش دون تردد وخرج من منزله متجها إلى الجامع لأداء صلاة الفجر مؤمنا بأن أفضل شيء في مثل هذه الظروف الصعبة هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى.. صلى وليد ركعتي السنة أولا، ثم أدى الفريضة خلف الشيخ رجب. جلس بعد ذلك في أحد الأركان وفي يده المصحف الشريف، قرأ صفحات قليلة في سورة البقرة، إلى أن أغمض عينيه وغلبه النعاس لدقائق.. رآه الشيخ رجب فذهب إليه وقال له مداعبا:

- إيه يا وليد، انت مطرود من البيت النهارده ولا إيه؟

انتبه وليد لصوت الشيخ رجب الذي أكمل حديثه قائلا:

- إنت بقالك كتير ماجيتش تصلي معانا الفجر.

أجاب وليد بهدوء:

- صح يا شيخ، عندك حق.

الشيخ رجب، خمس وخمسون سنة، أحب وليد منذ أن كان طفلا صغيرا، ساعده في حفظ أجزاء من القرآن وفسر له كثيرا من الآيات والأحاديث.. من قوة علاقته بالعائلة أوصى والد وليد أن يتلو الشيخ رجب آيات القرآن في عزائه.. لم يفعلها رجب من قبل ولم يكررها من بعد، بل ورفض أن يتقاضى على ذلك أجرا.. اعتاد وليد أخذ رأي الشيخ رجب في مواقف سابقة، وثق فيه بشدة لاستعانته دائما بآيات وأحاديث وأحيانا أخرى بروايات حكيمة..

لاحظ الشيخ رجب وجوم وليد فجلس بجانبه ثم سأله باهتمام:

- مالك يا وليد يا ابني؟

- مفيش يا شيخ.

- مفيش ازاي، هو انا مش عارفك، ولا خلاص، راحت عليك يا رجب ومش هاتحكيلي زي زمان؟

بالرغم من أن وليد هو الذي طلب من عماد عدم التحدث مع أحد فيما حدث إلا أنه أول من خالف ذلك.. بدون أن يشعر حكى بخطوط عريضة كمّ القهر والظلم الذي تعرض له عماد وزوجته، وانهيار الحلم والأمل بعد طول انتظار.. تأثر رجب كثيرا وحزن بشدة إلا أنه ربّت كتف وليد قائلا:

- لعله خير.

اندهش وليد من رد فعل وكلمات الشيخ رجب، فاعترض ولامه سائلا:

- كل اللي جرى لنا ده، وبتقولي لعله خير.. إزاي بس يا شيخ؟

أجاب رجب واثقا:

- هاحكيلك ازاي.

***

استيقظ شريف صباحا ولم يجد بيري بالمنزل.. لفت انتباهه وجود حقيبة سفر كبيرة وأخرى صغيرة قريبا من باب المنزل فاتصل بزوجته سائلا:

- إيه يا بيري الشنط دي؟

وضعت بيري والدها في جملة مفيدة قائلة:

- أصل بابا سافر أمريكا أول امبارح، وقلت احصله أنا والبنات بكره..

وقبل أن يعترض شريف، أضافت بيري بذكاء خبرا مهمًا:

- آه صحيح، إنت ليك عندي مفاجأة حلوة أوي..

- إيه؟ قولي..

- لا مش هاقول .

- يوووه.. ما تقولي بقى.

- أنا خلاص قلت لبابا يجيب ڤيلا القطامية.

بالفعل فوجئ شريف، فحياها صارخا:

- أيوه كده، هو ده الكلام.. بيـــن وچاكوزي وشياكة، يا سلام عليكي يا بيري.

- بس اسمع، أنا عايزه اعمل فيها كل حاجة لوحدي، واعملهالك مفاجأة.

وافق شريف قائلا:

- اعملي اللي انتي عايزاه.

- أنا هابتدي أوضب فيها أول ما ارجع.

- انتوا هاتقعدوا أد إيه؟

- شهر ونص، شهرين.

- شهرين؟! ليه كتير كده؟!

- ما انا ناوية اجيب كل حاجات البيت من هناك، فمحتاجة وقت.

أعجب شريف بكل شيء في هذه المكالمة، ڤيلا جديدة، مفروشات من نيويورك على حساب راغب المحظوظ، وشهر أو أكثر من الحرية المطلقة..

أنهت بيري المكالمة فضربتها صديقتها رنا على كتفها ضاحكة:

- ده انتي طلعتي ممثلة جبارة.

أعطت بيري أعلى درجات الأمان والطمأنينة لزوجها، إحدى الخطوات المهمة في الخطة. كان إحساس ولي يري أن أهم مكسب من فكرة

السفر إلى أمريكا هو الابتعاد عنه بعد أن أصبحت تكره رؤيته بل ونبرة صوته أيضا، أما شريف فسبح في بحر أحلام القطامية، والقفزة الجديدة التي انتظرها وتمناها من كل قلبه..

***

انتهى الحاج عباس بعد مرور شهرين من ترخيص المرسيدس. في الفترة السابقة قال لكل من سأل عن تلك السيارة إن صاحبها يبالغ في سعر بيعها، وأنه يحتاج فترة لإقناعه بسعر السوق، وقد حان الوقت المناسب؛ إذ أصبح الملف سليمًا، الرخصة سارية، واللوحات المعدنية في مكانها، وبذلك التسليم فوري..

وصل الحاج عباس إلى معرضه في الثانية عشرة ظهرا، جلس في هدوء يدخن «سيجارة ملفوفة» وهو يحتسي فنجان القهوة.. بدون أي مقدمات ظهر أمام باب مكتبه جابر وخلفه عميد شرطة في زيه الميري.. ارتبك عباس للحظات، أطفأ السيجارة وبدا مرحبًا بالضيف قائلا:

- اتفضل يا باشا، منور الدنيا.

دخل العميد خطوة واحدة داخل الغرفة ثم نظر إلى جابر قائلا بثقة:

- قهوة مظبوط، بس بسرعة.

اختفى جابر فأغلق العميد باب الغرفة قائلا:

- إيه الريحة الحلوة دي؟

- دي قزازة بارفان جديدة، متغلاش على معاليك.

أجاب العميد ضاحكا:

- بارفان؟! طيب يلا يا حاج عباس، الباشا الكبير عازمك على فنجان قهوة في الوزارة.

ارتبك الحاج عباس لوهلة سائلا:

- خير، هو فيه حاجه؟!

- الحقيقة أنا ماعنديش تفاصيل، بس اللي أنا عارفه ان الموضوع كله ساعة، هاتيجي معايا وانا بنفسي هرجعك.

نظر إليه عباس في حيرة قائلا:

- طيب يا باشا مش سعادتك تشرب القهوة الأول.

- لأ مش مشكلة، نشربها سوا في الوزارة.

- طيب ممكن اعرف أنا هاقابل مين؟

- هاقولك في الطريق..

استقل عباس مع سيادة العميد ياسر سيارة جديدة تابعة لجهاز الشرطة، جلسا معًا في المقعد الخلفي.. في الطريق أعلن ياسر عن رغبته في شراء سيارة جديدة لابنته التي ستتم ثمانية عشر عاما في غضون شهور قليلة، تبادل الاثنان أطراف الحديث عن أسعار السيارات ومواصفاتها إلى أن وصلا إلى لاظوغلي.. مرت سيارة الشرطة من بوابة وزارة الداخلية بعد أن أشار العميد بالتحية لأفراد الأمن.. وفي الدور الثالث بالوزارة جلس عباس والعميد في مكتب سكرتارية مساعد أول الوزير، اللواء هاشم الغرباوي.

حار عباس في إيجاد سبب لهذه الدعوة لكنه فشل أمام اسم لم يسمعه من قبل.. دار في خاطره سؤال مهم: «هل كان من الأفضل الاتصال بصديقه المحامي؟».. في نفس الوقت معاملة العميد ومدير مكتب المساعد في منتهى الاحترام. إنه بالطبع لغز محير..

بعد أقل من خمس دقائق.. قدم العميد الضيف إلى اللواء هاشم ثم استأذن قائلا:

- أنا في مكتبي يا فندم، تؤمر بحاجة سعادتك؟

شكره مساعد الوزير ثم قال مرحبا:

- اتفضل يا حاج عباس، ولا تحب اندهلك بعباس بيه.

- اللي تحبه يا باشا..

- خلاص هاندهلك زي ما كل الناس بتندهلك.

رفع هاشم الهاتف واتصل بمدير مكتبه قائلا:

- قهوة على الريحة للحاج عباس.

اندهش عباس قائلا لنفسه: «هو عرف منين ان قهوتي على الريحة؟».

رحب اللواء هاشم بضيفه بكل أدب وود، أثنى على قبول دعوته بالحضور، ثم اعتذر عن عدم ذهابه إليه، متعللا بالتزاماته وظروف عمله التي تقتضي وجوده في الوزارة.. أعرب عباس عن تفهمه وسعادته بلقائه واصفا حضوره بشرف يعتز به.. بعد هذه المقدمة الحميمة تطرق مساعد الوزير إلى صلب الموضوع قائلا:

- إحنا محتاجين نشتري عربية من عندك يا حاج.

بعثت هذه الجملة الهدوء والطمأنينة إلى قلب عباس الذي أجاب بمنتهى الثقة:

- إنت تؤمر يا باشا.. المعرض كله تحت أمرك..

- إحنا بنتكلم في حاجة عالية.

- أكيد سعادتك.. ما الغالي ميركبش غير عالي يا باشا.

انطلق عباس في عرض موديلات كثيرة بأسعار مختلفة دون أن يتطرق إلى المرسيدس الـ«500».. إحساسه بأن السيارة مهربة، جعله يتردد في عرضها على السيد المساعد، إلى أن فاجأه هاشم بسؤال واضح وصريح قائلا:

- والـ500 السودا اللي واقفه قدام باب المعرض، أخبارها إيه؟

أجاب عباس بذكاء التجار:

- دي لسه متباعة من يومين يا باشا، وصاحبها هايستلمها بكره.

اختلفت لهجة اللواء الذي عقب قائلا:

- لأ لسه ماتباعتش، ومن الآخر العربية دي تلزمنا يا حاج.

- طيب اديني فرصة أكلم صاحبها.

ارتفع صوت هاشم معقبا:

- وبعدين.. انت ناوي تزعلنا ولا إيه يا عباس؟

ارتبك تاجر السيارات؛ إذ لم يجد مجالاً للمناقشة، فأبدى موافقته

بقلا:

- خلاص يا باشا، إحنا نبعتها لغاية البيت.

- ما قلنا كده من الأول.

بدأ هاشم في سرد الترتيبات والتعليمات لعباس بثقة متناهية دون أن يطرق إلى سعر بيع السيارة.. استقبل عباس الحديث في صمت وذهول بعد أن أيقن أن ما يحدث الآن ليس صفقة شراء سيارة، إنما وضع مختلف وجديد لا يستطيع فهمه أو استيعابه.. وأثناء تعليماته أخرج مساعد الوزير من أحد أدراج مكتبه شنطة بلاستيك وبداخلها ظرف كبير به مبلغ من المال، أعطاه للحاج عباس قائلا:

- فيه ورقة جوه الظرف مكتوب فيها اسم اللي هايتعمله التوكيل، وبكره الساعة 8 بالليل هيعدي عليك يستلم العربية والرخصة والتوكيل..

فتح عباس الظرف وأخرج الورقة في توتر سائلا:

- هما دول كام سعادتك؟

أجاب مساعد الوزير بهدوء وثقة:

- دول تمن العربية..

نظر عباس في الظرف واثقا من أن المبلغ الذي في يده لا يتعدى نصف ثمن السيارة، فأعاد السؤال مرة أخرى:

- يعني كام سعادتك؟

- 400 ألف.. تكلفتها وقرشين كمان مكسب علشان مائزعلش.

استوعب عباس الموقف، لكنه تماشك معلقا:

- سعادتك العربية دي في السوق بـ 800.

قاطعه هاشم قائلا بثقة:

- ماتبكلمش كتير يا حاج عباس.

التزم عباس بالصمت أمام اللواء هاشم الذي أمسك هاتف مكتبه قائلا:

- العميد ياسر يجيلي بسرعة.

كان هذا الاتصال بمثابة إنهاء زيارة عباس الذي حاول التعقيب على الموقف قائلا:

- بس سعادتك..

قاطعه مساعد الوزير مرة أخرى بتحد وحسم محذرا:

- الزيارة دي ماحصلتش، والرائد شريف مايعرفش حاجة عنها، ولا كلمة واحدة، لأ، ولا حرف واحد، وده طبعا لمصلحتك ومصلحته، إحنا سيبنا العربيات اللي قبل كده تعدي، بس العربية الجاية هو هايترفد وانت هاتتسجن.. أظن كلامي واضح.

كلمات، بل سهام، اخترقت أذن الحاج عباس.. حديث صريح، تهديدات واضحة ومؤكدة، وكما يقال: «اللعب على المكشوف»..

حاول عباس المقاومة حتى آخر نفس راجيا:

- طيب، بعد إذن السعادة نزود المبلغ شوية.

أجاب اللواء مبتسما:

- يا عباس أنا خدمتك في العربية دي وانت عارف كده كويس، وبعدين ماتزعلش منك معالي الوزير.

أضاف هاشم لقب معالي الوزير إلى الحديث لينهي الجدال تماما.. ثوانٍ وأمسك هاشم الهاتف ليسأل عن العميد ياسر الذي حضر في نفس اللحظة فقال له آمرا:

- توصل الحاج بنفسك.

ثم وقف، مد يده وسلم على عباس ببرود واحترام قائلا:

- نورت يا حاج عباس.. المكتب مكتبك في أي وقت..

رحل عباس وهو في حالة خوف وغضب.. مشاعر متناقضة ومئات من علامات الاستفهام: «كيف عرف مساعد الوزير؟ من كشف هذا السر؟ اسم الرائد شريف قطع الشك باليقين، هل هو مُراقَب أم شريف أم كلاهما؟ كيف يمحو هذه الملفات من تجارته؟ هل يقص ما حدث على شريف، أم يتبع تعليمات سيادة اللواء؟ وأخيرا والأهم، ماذا سيفعل في حساب تلك السيارة مع شريف؟!»

في هذا التوقيت تمنى الحاج عباس عدم وجود هذه السيارة في حياته، بعد أن وعى تماما خطورة موقفه، ومدى اهتزاز اسمه، وأمنه، وتجارته..

***

في الصباح الباكر ذهب وليد إلى منزل والدته التي لم تذهب إلى عملها لرعاية ابنها الصغير. كان عماد في هذا التوقيت مستغرقا في النوم بعد يوم وليلة عصيبين، لم يغمض فيهما جفنه ولو للحظة.. جلس وليد مع والدته قليلا ثم أخذ بطاقة عماد الشخصية من محفظته للذهاب إلى محطة الجيزة لتسلُّم هاتف عماد المحمول من عم دسوقي.. حاولت الأم أن تتطرق في حديثها لما حدث إلا أن وليد اعتذر لها بشدة قائلا:

- أنا فعلا يا أمي مش قادر اتكلم في الموضوع.

احترمت الأم رغبة ابنها الذي قبّل رأسها واعدا بالعودة مرة أخرى في منتصف اليوم.. استقل وليد «تاكسي» إلى محطة الجيزة.. تجول داخل المحطة ذهابا وإيابا وكأنه يتعرف على المكان لأول مرة.. تابع أفراد الأمن من ضباط وأمناء وعساكر لفترة ثم خرج من المحطة ووقف على جانب الطريق وكأنه يبحث عن شيء ليس له وجود.. دقائق ولمح الأمين نافع الذي تحرك كثيرا وسريعا بين المارة والسيارات، لم يحاول وليد الاقتراب منه بل حرص على الابتعاد عنه.. وفي أحد جوانب سور حديقة المحطة، تعرف وليد بسهولة على عم دسوقي الذي افترش الأرض بجانب كشك صغير وقديم، فحياه قائلا بثقة:

- السلام عليكم يا عم دسوقي.

أجاب دسوقي التحية مندهشا من هذا الشاب الذي لم يره من قبل:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..

أجاب وليد على نظرات عم دسوقي مادًّا يده قائلا:

- دي بطاقة عماد بتاع خناقة امبارح.

هز دسوقي رأسه قائلًا بحزن:

- ربنا يجازي ولاد الحرام..

التزم وليد الصمت، بينما وضع عم دسوقي يده في جيبه وأخرج هاتف عماد سائلًا:

- هي الست اللي كانت معاه عاملة إيه؟

اندهش وليد لسؤاله عن مها وأجاب بهدوئه المعتاد:

- الحمد لله بخير.

- أنا سألت عليها في أم المصريين امبارح قبل ما امشي، قالوا انها خرجت، هي كانت حامل فعلًا؟

- أيوه كانت حامل.. قدر الله وما شاء فعل.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

بدا عم دسوقي مترددًا، قبل أن يسأل وليد بحرج:

- لا مؤاخذة يا بني.. اسم الكريم إيه؟! وتقرب إيه لبتاع الخناقة؟

رد وليد متفهمًا سبب السؤال ومخففًا الحرج عن عم دسوقي:

- ولا يهمك يا عم دسوقي.. اسمي وليد.. وأنا أخوه.

مدّ عم دسوقي يده بالهاتف المحمول، فأخذه وليد، ثم أعطاه مئتي جنيه، فقال دسوقي معترضا:

- إنت كده يا أستاذ هتضيع علينا الثواب.

- لأ ازاي؟! دي الأعمال بالنيات.. امسك يا عم دسوقي بقى ومتكسفنيش.

أمسك دسوقي المبلغ معترضا للمرة الثانية:

- ده كتير أوي.

- ولا كتير ولا حاجة.

- ربنا يكرمك يا بني.. إنت مش عارف أنا كنت محتاج المبلغ ده ازاي، ألف حمد وشكر ليك يارب..

حمد دسوقي الله - سبحانه وتعالى - كثيرا، ثم أصر على دعوة وليد لشرب كوب شاي، إلا أنه اعتذر قائلا:

- مش ها قدر والله يا عم دسوقي.. أصل انا مستعجل، هاجيلك مرة تانية.

دعا دسوقي كثيرا الوليد الذي عبر الطريق ليستقل «تاكسي» عائدا إلى الروضة لرؤية زوجته التي تحسنت حالتها الصحية قليلا، ولكن للأسف ساءت حالتها النفسية كثيرا.. احتواها وليد بعد مجهود كبير، ثم اقترح عليها الذهاب إلى الدكتور عاطف للاطمئنان عليها قبل عودته غدا إلى المنيا.. حاولت مها التأجيل من شدة الحزن ولكنها استسلمت أمام إصرار وليد و إلحاحه.. اتصل والد مها بصديقه الدكتور عاطف وأبلغه بما حدث، ثم طلب منه عدم التطرق إلى تفاصيل الحادثة.

وفي عيادته استقبل الطبيب الزوجين بمنتهى الحفاوة، وأبدى انزعاجه بحكمة وذكاء قائلا:

- إحنا ماعندناش مشاكل خالص، نطمن، وكلها شهرين ولا تلاتة وتقدري تبقي حامل تاني..

أجابت مها في حزن:

- إحنا قعدنا أكتر من 4 سنين وأنا ما بحملش.

- متقلقيش يا دكتوره، اللي يحمل مرة، يحمل مرة تانية وتالتة، السكة اتفتحت خلاص.

انشرح قلب الدكتور عاطف بعد الكشف على مها.. اطمأن بالفعل عليها، وأثنى كثيرا على الطبيب الذي قام بعلاجها سائلا:

- هو مين الدكتور اللي أشرف على الإجهاض.

- دكتور حلمي أبوبكر في مستشفى أم المصريين.

- عارفه، ده شاطر جدا، وعمل شغله كويس.

أدخل الطبيب ببراعة الطمأنينة إلى قلب وليد ومها التي بدأت في استعادة جزء طفيف من اتزانها.. في نفس الوقت فرض عليها الراحة التامة لمدة أسبوع حتى تستعيد كامل طاقتها، ثم حدد ميعاد استشارة للمتابعة.

أيد وليد كل ما قاله الطبيب وأضاف قائلا:

- وأنا هارجع من المنيا وهاجي معاكي علشان اطمن أنا كمان..

ثم وجه الدكتور عاطف حديثه إلى وليد:

- مفهوم طبعا اننا هانبعد شوية.

أجاب وليد مؤكدًا:

- طبعا يا دكتور.

أثلجت هذه الزيارة قلب الزوجين بعد خوف وعناء وتوتر دام أكثر من أربع وعشرين ساعة.. عادت مها إلى الفراش بينما وفّى وليد وعده وذهب للقاء والدته وأخيه الذي خرج من غرفته لدقائق فقط ثم عاد مرة أخرى دون أن يتحدث مع أمه ولو بكلمة واحدة.. بعد أن طمأن وليد والدته على زوجته بكلمات الطبيب دخل إلى غرفة أخيه المظلمة، وجده نائما على الأرض في وضع غريب..

أضاء نور الغرفة، ثم سأله مندهشا:

- إيه اللي منيمك كده؟

- زهقت من السرير..

مد وليد يده ووضع هاتف عماد المحمول على الفراش قائلا:

- فيه واحد لقاه ورحت جبته منه..

لم يهتم عماد بهذا الخبر، وبادر أخاه بنفس سؤال أمس:

- هاتعمل إيه يا وليد؟

في أقل من لحظة فقد وليد أعصابه، أجاب بصوت مرتفع وبنبرة غاضبة:

- هاتعمل إيه يا وليد، هاتعمل إيه يا وليد.. ما عرفش هاعمل إيه.

قفزت آمال وسط ولديها سائلة في خوف:

- هو فيه إيه؟

اعتذر وليد لوالدته ، ثم طلب منها تركه مع أخيه فوافقت قائلة:

- طيب أنا هاحضر الغدا على ما تخلصوا كلام، بس من فضلكم بلاش خناق..

انصرفت الأم فاعتذر وليد لأخيه الصغير أيضا:

- أنا آسف.. بس انت لازم تبقى فاهم إن انا متضايق زيك، ده لو ماكنش أكتر كمان.

رفع عماد رأسه إلى أعلى وأجاب بنبرة حزينة وهو ينظر إلى أخيه:

- إحنا لازم ناخد حقنا يا وليد.. لازم.

أخفى عماد وجهه بيده ثم انفجر باكيا وهو جالس أرضا، فانحنى عليه أخوه واحتضنه بقوة في حنان وحب قائلا:

- أنا مش عارف افكر يا عماد.. مش عارف.. فاهم يعني إيه مش عارف؟!

***

الفصل
14 الرابع عشر

قرر وليد السفر إلى المنيا بسيارته بعد أن كره القطار، وكره من قبله محطة السكة الحديد بالجيزة.. وصل إلى القطاع وتم استقباله بحفاوة شديدة، فقد اشتاق إليه الجميع، بعد أن قضى بالقاهرة أكثر من شهرين، أي منذ إصابته في حملة القبض على الدوكش بأسيوط.. حاول وليد جاهدا إخفاء أحزانه وآلامه، نجح في رد المجاملات وكلمات الترحاب التي انهالت عليه.. اطمأن أولا على أفراد السرية، ثم سأل الشاويش شاكر عن اللواء عبد الحميد فأجابه قائلا:

- الباشا في مصر بقاله يومين، وسمعت انه راجع بكره سعادتك..

ولثقة وليد في شاكر سأله أيضا عن الضابط إسلام وعلاقته بالمجموعة في ظل غيابه عنهم فأجاب الشاويش مادحًا:

- إسلام بيه طلع محترم.. ده سعادتك خدنا كلنا ونزل بينا على بني سويف في الـ 40 بتاع ناجي، الله يرحمه، وقعد هناك 3 ساعات، بصراحة رجولة.

ثم أضاف مبتسما:

- الناس كلها مسمِّيينه وليد بيه الصغير.

أسعدت هذه الأنباء وليد، الذي ابتسم أخيرا سائلا:

- هو فين؟

- في الاستراحة سعادتك.. أندهله؟

- لأ، أنا هاروحله.

ذهب وليد إلى إسلام في غرفته، طرق الباب ثم فتحه قائلا:

- أنا قلت آجي اسلم عليك.

قفز إسلام من السرير وقاطعه مرحبا:

- ابن حلال، والله العظيم على بالي اللحظة دي.. ويقول هو مش ناوي يرجع بقى ولا إيه؟!

بعد أن رحب به إسلام بحرارة دعاه إلى الجلوس قائلا:

- دور شاي وتحكيلي عملت إيه في الأجازة الطويلة دي.

تبادل الضابطان أطراف الحديث لأكثر من ساعة، اطمأن إسلام أولا على سلامة يد وليد، ثم قص عليه تفاصيل مأمورية في البهنسا التي تم خلالها القبض على تشكيل عصابي معروف بتهريب الآثار. تطرق إسلام أيضًا إلى تفاصيل حياة وأداء كل فرد من أفراد مجموعته إلى أن قال له وليد سعيدًا:

- واضح ان قعدتنا أول يوم ليك في القطاع عملت معاك شغل.

- أكيد.. كل كلمة انت قلتها يومها لسه بترن في ودني لغاية النهارده.

ثم أضاف بمنتهى الصدق:

- أقولك بصراحة، موت ناجي غير حياتي 180 درجة.. مش عارف أنساه..

هز وليد رأسه مؤكدا:

- كان ابن حلال أوي.. الله يرحمه.

***

وفي منزل القطامية، بدأت لعبة القط والفأر؛ إذ حاولت أميرة استدراج ابنتها للحديث عن شريف دون فائدة إلى أن سألتها بوضوح وهما تتناولان الشاي في الحديقة:

- أنا حاسة ان علاقتك انتي وشريف مش مظبوطه، إحكيلي لو فيه حاجه أحلها معاكم.

- مين قالك كده يا مامي؟! ويعدين أنا أصلا مش بشوفه.

وبمنتهى الذكاء استطاعت بيري تغيير الموضوع فأضافت قائلة:

- سيبك من شريف، قوليلي بس، أجيبلك معايا إيه من أمريكا؟

- أنا كمان مش فاهمة إيه حكاية السفرية اللي جت فجأة دي؟!

بعد ثمانٍ وأربعين ساعة وصلت بيري وابنتاها سارة ويارا إلى نيويورك. رحلة مباشرة استمرت حوالي اثنتي عشرة ساعة.. كانت أختها باكينام وزوجها كريم في انتظارهن بمطار «J F K».. رحلة طويلة ومرهقة للأم

وابنتيها.. كان واضحا على بيري الوجوم إلا أنها استماتت بساعات السفر في الدفاع عن مظهرها..

وفي الطريق من المطار إلى منزل كريم وباكينام اطمأنت الأخت على والدتها ثم سألت عن شريف، فأجابت بيري بهدوء:

- كويس، العادي، طول الوقت في الشغل..

أرادت بيري تغيير الموضوع فأضافت قائلة:

- هو بابي هيجي من واشنطن ولا احنا اللي هانروحله؟

- هو لسه مش عارف.. بس واضح انه عنده شغل كتير.

ثم انتبهت بيري لعدم وجود ابن وبنت أختها فسألت باندهاش:

- هما الولاد فين؟

أجاب كريم قائلا:

- في المدرسة، قدامهم ساعتين ويرجعوا البيت.. دول مش مصدقين انك جايه.

يعيش كريم وباكينام وابنهما وابنتهما في فيلا جميلة وصغيرة في إحدى ضواحي نيويورك.. استعدت باكينام لزيارة أختها، انتقل أولادها في غرفة واحدة واشترت سريرا جديدًا للتوأم يارا وسارة.. وفي منزل باكينام، وقبل أن تفتح بيري حقائب السفر أمسكت هاتفها المحمول واتصلت بصديقتها رنا، أبلغتها بوصولها، ثم قالت سائلة:

- ها.. عملتي إيه؟

أجابت رنا بسخرية:

- عملت إيه في إيه؟ يا بيري يا حبيبتي، ده لسه ماعداش 24 ساعة على سفرك.. الموضوع ده عايز يتاخد بالراحة، ولا انتي عايزانا نعُلك؟

ارتفع صوت بيري:

- بالراحة ازاي؟

دخلت باكينام الغرفة سائلة:

- هو فيه إيه؟

- ولا حاجه، ده أنا باكلم رنا.

- بجد، طيب سلميلي عليها..

خرجت الأخت من الغرفة، فأنهت بيري الحديث قائلة:

- إنتي قدامك شهر بس.. أنا عايزة ارجع تكون كل حاجة خلصانة..

ضحكت رنا وأجابت سائلة:

- ماكُنش باشتغل عندك، وانا مش واخده بالي؟!

اعتذرت بيري لصديقتها على أسلوبها الجاف في الحديث إلا أن رنا أجابت بمودة:

- أنا عارفة انك مش قصدك.. بيري انتي في نيويورك.. إنسي الزفت شريف ده خالص، اخرجي إنتي والبنات وانبسطوا.. وأنا هنا هاعمل اللي ما يخطرش على بالك.. اصبري بس وانتي تشوفي.

قررت رنا منذ اكتشاف خيانة شريف لصديقتها التعامل مع الموضوع بمنتهى الحكمة والاحتراف حتى أنها قرأت صفحات عديدة على الإنترنت عن البحث والتحري والمراقبة.. ساعدها في ذلك أيضا قرار بيري بالإنفاق على تلك المهمة من ألف إلى مئة ألف جنيه، وقد تركت لها قبل السفر مبلغ خمسين ألفًا نقدا قائلة:

- اصرفي زي ما انتي عايزه، المهم عندي انك تعملي اللي اتفقنا عليه.

***

وفي القاهرة نفذ الحاج عباس تعليمات اللواء هاشم بالحرف الواحد، بعد أن ارتعد من كم التهديد الذي شعر به في لقائهما معًا.. في الصباح تم توثيق التوكيل في الشهر العقاري ثم جلس في انتظار صاحب السيارة الذي حضر الساعة الثامنة وعشر دقائق لتسلُّم المرسيدس.. شاب يرتدي بدلة أنيقة ويتحدث بلباقة وثقة متناهيتين.. عاين السيارة في صبر، ثم أمسك الرخصة والتوكيل قائلا:

- أنا عايز محضر استلام يا حاج.

اعتاد عباس تحرير محاضر تسليم سيارات لجميع العملاء، لكنه تردد في هذا الموقف إلى أن قال له صاحب السيارة:

- أنا لازم انفذ التعليمات بالظبط.

أجاب عباس مضطرا:

- طيب ممكن البطاقة.

أخرج الشاب البطاقة من المحفظة وأعطاها له قائلا بثقة:

- ياريت لو تنجز، أصل أنا مستعجل شوية.

دقائق، واختفت المرسيدس من أمام عيني الحاج عباس الذي وقف أمام باب معرضه وهو في قمة الحسرة والغضب لا يكاد يصدق ما حدث له في الأربع والعشرين ساعة الماضية..

***

ومن قطاع الأمن المركزي بالمنيا كان وليد يطمئن هاتفيا على مها كل أربع أو خمس ساعات، تمنى مرور الأيام سريعا حتى يعود إلى القاهرة للذهاب معها إلى الطبيب للاطمئنان عليها.. وفي نفس الوقت فشل في الوصول إلى أخيه عماد الذي أغلق هاتفه المحمول ورفض الرد على الهاتف الأرضي.. حكت الأم لابنها أن أخاه الصغير لم يخرج ليس فقط من المنزل بل من غرفته أيضا، وأنها حاولت الحديث معه أكثر من مرة إلى أن قال لها بعصبية مهددا:

- لو مسبتنيش في حالي هانزل من البيت ومش هارجع تاني.

رجا وليد والدته أن تبتعد عنه مقتنعا بأنه يحتاج لمزيد من الوقت لتضميد جراحه الجسدية والنفسية..

في صباح اليوم التالي لوصول وليد إلى القطاع، وبعد طابور الصباح، ذهب إلى سيارته، أخرج من كابينة حفظ الحقائب لوحة كبيرة كتب عليها: «مبنى الشهيد ناجي الغمراوي».. وقف رجال السرية يتابعون الضابط إسلام والبلوكامين نبيل والعسكري مغازي وهم يثبتونها على مدخل مبنى

استراحة الضباط.. موقف مؤثر ولحظة أعادت للأذهان ذكرى استشهاد الزميل الذي أحبه وافتقده الجميع.. وقف وليد معهم يتابع في صمت إلى أن قال بصوت منخفض للضابط خالد:

- أنا تعبان شوية، هارجع الأوضة اريح، واشرف انت على التدريب.

عاد وليد إلى غرفته منهكا بالرغم من عدم قيامه بأي مجهود يذكر.. استلقى على الفراش وفي يده ورقة وقلم، بدأ في رسم خطوط طويلة وقصيرة ومستديرة وهو يفكر في زوجته والجنين الذي فقده وأخيه الصغير الذي واجه بالتأكيد تجربة ظلم أليمة.. وسط هذا الشرود ارتفع رنين هاتفه المحمول، نظر في الشاشة فقرأ اسم يحيى عبد الحميد.. لم يرد لكن يحيى عاود الاتصال مرة أخرى بعدها بخمس دقائق فأجاب وليد معتذرا عن عدم الرد في المرة الأولى.. امتلأ صوت يحيى بالحيوية والنشاط وهو يعلن عن خبر لم يتوقعه وليد بالمرة. خبر أسعده، وربما أغضب رئيسه.. في هذا الاتصال قصّ عليه يحيى تفاصيل لقائه منذ ساعات قليلة مع مدير الموارد البشرية لأحد البنوك الاستثمارية.. نجح يحيى في تقديم نفسه، وتوسم فيه مدير الإدارة خيرا. بعد أن رشحه للانضمام إلى فريق المبيعات لقسم قروض السيارات في البنك.. قدم له عرضا سخيا، مرتب مجز ألفان وخمسمئة جنيه شهريا، وألف جنيه بدل انتقال واستخدام للهاتف المحمول، بخلاف العمولات والامتيازات الأخرى من تأمين صحي وتأمينات اجتماعية، وقد وعده أيضا برفع راتبه في خلال ثلاثة أشهر إذا أثبت كفاءة ونجح في تحقيق أهداف وأرقام المبيعات التي حددها مديره في قطاع تمويل قروض السيارات، ثم أنهى يحيى حديثه قائلا بصدق:

- إنت السبب، كان زماني لسه باخد 600 جنيه في الشهر، وبروح كل يوم آخر الدنيا.

تمنى وليد كل التوفيق ليحيى الذي سأله قبل إنهاء المكالمة:

- مش عايز تشتري عربية جديدة؟

أجاب وليد ضاحكا:

- أكيد لو فكرت هاقولك، بس اوعى تتشطر عليا..

- طبعا لأ.. خليني بس أحاول أرد جميلك..

شكره وليد على كلماته الرقيقة وأنهى الحديث وهو يفكر في لقائه القادم مع اللواء عبد الحميد الذي كان على وشك العودة إلى القطاع قادما من القاهرة..

مرت الدقائق والساعات على وليد ببطء شديد وهو مستلق على الفراش في غرفته يفكر في سيناريوهات مختلفة لأزمته هو وعائلته دون أن يصل إلى أي قرار.. وسط هذا الهدوء والحزن سمع طرقات على الباب وصوت أحد العساكر مناديا:

- يا وليد بيه، الباشا وصل وعايز سعادتك..

قفز وليد من فراشه، فتح باب الغرفة قائلا:

- أنا جاي وراك على طول.

تحرك وليد سريعا، القلق يسيطر على خطواته وهو يحاول التنبؤ بما يمكن أن يحدث في هذا اللقاء.. دخل إلى غرفة اللواء عبد الحميد الذي

حيّاه ثم طلب منه الجلوس.. أنهى اللواء بعض مسئوليات إدارة الوحدة مع نائبه الذي انصرف بعد حوالي عشر دقائق، ثم نظر إلى وليد الذي قال له:

- حمد الله على السلامة يا فندم.

- الله يسلمك.. إيدك عاملة إيه دلوقتي؟

- الحمد لله، أحسن بكتير.

ثم تحدث اللواء عبد الحميد في موضوع ابنه قائلا:

- فيه شغل جه ليحيى عايز آخد رأيك فيه.

- يحيى كلمني من شوية يا فندم.

هز اللواء رأسه مندهشا ومبتسمًا بتحفظ، ثم أكمل حديثه سائلا:

- طيب ورأيك إيه؟

طلب وليد إعطاء الفرصة ليحيى كي يثبت نفسه في عمل مختلف، مقتنعا بأن العرض المقدم له جيد ماديا وفي مجال ذي مستقبل واسع ورفيع..

أجاب اللواء بعد لحظات صمت مستسلما:

- واضح ان انا كمان معنديش اختيار.. الولد متحمس وفرحان جدا.

- خير يا فندم بإذن الله.

- على قد ما انا كنت زعلان من اللي حصل، على قد ما اتمناله ينجح في أي حاجة يحبها.

- أنا آسف مرة تانية يا فندم.

- مافيش أسف ولا حاجة.. إنت كان نيتك تساعده وأنا فاهم كده كويس.. خلينا بس نشوف هايعمل إيه، بس لو فشل ساعتها هايقول حقي برقبتي.

- إن شاء الله ربنا هيوفقه يا فندم.

انهى عبد الحميد الحديث عن ابنه بتقديم المشيئة ثم تطرق إلى العمل:

- نرجع للشغل، انت غايب بقالك كتير، وأكيد محتاج تلم الدنيا من أول وجديد.

لم يجب وليد على رئيسه في نفس الموضوع، إنما فاجأه قائلا:

- أنا في مشكلة كبيرة يا فندم، ومش عارف اعمل إيه.

- خير يا وليد، فيه إيه؟

حكى وليد لسيادة اللواء ما حدث لزوجته وأخيه في المحطة وفي قسم الجيزة، فقاطعه عبد الحميد لائما:

- إزاي ما كلمتنيش.. إزاي تستنى كل ده؟!

- أنا كنت في دوامة يا فندم، وماكنتش حاسس باللي بيحصل حواليا.

وبعد مناقشة قصيرة أمسك عبد الحميد هاتفه المحمول واتصل بأحد أصدقائه، العميد رؤوف في إدارة التفتيش بوزارة الداخلية قائلا:

- وليد ده زي يحيى ابني بالظبط، عنده مشكلة كبيرة، يجيلك إمتى؟

أجاب رؤوف:

- أنا مسافر وراجع كمان أسبوع.

- خلاص، يستناك لما ترجع.. بس اسمع، الموضوع ده موضوعي وإنا عارف انك هاتعمل كل اللي تقدر عليه.

أنهى عبد الحميد الاتصال بصديقه، ثم وضع هاتفه المحمول أمامه قائلاً لوليد:

- رؤوف ده من تلاميذي، اشتغل معايا 3 سنين أول ما تخرج، محترم جدا وخدوم، مش عايزك تقلق.

ما أجمل هذه المكالمة وأحلى منها كلمات الاطمئنان التي أعادت جزءًا من الراحة إلى قلب وعقل وليد الذي لم يتوقف لحظة عن التفكير.

***

لم تمر أكثر من ثلاثة أيام على تسليم المرسيدس حتى فاجأ شريف الحاج عباس بزيارة في المعرض.. اندهش شريف عندما لاحظ اختفاء السيارة.. تقدم بخطوات سريعة داخل المعرض حتى وقف فجأة أمام مكتب عباس الذي كان يشاهد فيلمًا عربيًا سائلا:

- مش تقولي يا حاج ان الحلوة مشيت..

بالرغم من أن عباس اخترع سيناريوهات كثيرة للخروج من هذه الأزمة إلا أنها تبخرت واختفت عندما رأى شريف أمامه فجأة مرتديًا الزي الميري، فأجاب مدافعا:

- دي لسه طالعة من يومين، وبعدين إيه البدل الحلوة دي يا غالي؟!

جلس شريف وهو يعلن عن نقله إلى قطاع النقل والمواصلات وبالتحديد نائب مأمور قسم محطة الجيزة بصلاحيات أعلى نظرا لكفاءته واحتياج القطاع لخدماته.. ابتسم عباس في خبث وهو يتذكر كلمات وتهديدات مساعد الوزير.. أثناء الحديث تأكد عباس أن ما يقوله شريف ليس إلا أكاذيب ومبررات واهية فقاطعه سائلا:

- تشرب إيه غالي؟

- تسلم يا حاج، أصل أنا مستعجل..

دخل شريف في صلب الموضوع وسأل عن الحساب، فاعترف له عباس بأن هناك مشكلة في سعر بيع السيارة وأن نصيب شريف هو مبلغ خمسين ألف جنيه فقط لا غير.. ضحك شريف بسخرية واستهزاء ثم وضع عباس أمام اختيار واحد من اثنين؛ أن يعطيه مئتين وخمسة آلاف جنيه نقدا، أو يسلمه السيارة ويحصل على مبلغ خمسمئة وخمسة وأربعين ألفًا بعد بيعها.. رفض عباس الاقتراحين وبعد مناقشة عصبية رفع عباس المبلغ إلى ستين ألفًا.. اعترض شريف بشدة إلى أن أقسم عباس قائلا:

- والنعمة الشريفة العربية دي ماعملت جنيه واحد فوق الـ 60 باكو دول، وجايز أقل كمان..

لم يصدق أو يقتنع شريف، إنما اضطر إلى قبول الستين ألفًا بعد ضغط وقَسم عباس الذي استمر بدون توقف..

أخذ شريف المبلغ غاضبا ثم قال معقبا:

- فيه 145 في ذمتك يا حاج.

ثم أضاف بنبرة حادة وصوت واضح:

- ولعلمك أنا مش هاسيبهم.

وقف عباس بعد الجملة الأخيرة وسأل معاتبا:

- إنت بتهددني يا شريف؟!

سرد عباس ذكريات علاقته بوالده الحاج بيومي، والتي مضى عليها أكثر من أربعين عاما، ثم أضاف حزينا:

- إنت اتولدت على إيدي يا شريف، ومايتفعش ييجي اليوم اللي تعلي فيه صوتك عليا.

- وانا كمان يا حاج ماقدرش اشوفك قدامي تصاب، ده انت طول عمرك الكبير..

هدأ شريف من نبرة صوته وأضاف معتذرا:

- أنا آسف يا حاج، حصل خير، إن شاء الله تتعوض في الشغل اللي جاي.

أجاب عباس بحسم:

- لا يا ابني خلاص، حلوين على كده.

وقف شريف مستاءً وبداخله صوت يقول: «أكيد جاب ناس غيري بعد ماعرف كل خيوط اللعبة»..

أمسك شريف المبلغ في يده وألقى التحية، غاضبا، والحاج عباس ينظر

إليه في حزن وحوار في عقله: «ياريتني اقدر احكيلك اللي حصل»..

خرج شريف من الغرفة ومشى مسرعا وسط سيارات المعرض إلى أن ارتفع صوت عباس مناديًا:

- شريف.

وقف في مكانه فذهب إليه عباس ووضع يده على كتفه قائلا بصدق:

- وقّف شغل يا شريف، إحنا اتشمينا خلاص.

ارتبك شريف سائلا:

- يعني إيه؟

- يعني زي ما بقولك كده.. ريحتنا فاحت، فقفِّل على كده.

نظر شريف إلى عباس وعيناه ممتلئتان بالشك والحيرة، وأجاب موافقًا:

- اللي تشوفه يا حاج.

***

وفي نيويورك، اجتهدت بيري في إخفاء معالم الحزن والاكتئاب عن أختها باكينام إلى أن فشلت في اليوم الرابع لوصولها إلى نيويورك.. اعترفت لها في لحظة ضعف بما حدث من شريف ثم قصّت عليها كل تفاصيل حياتهما معًا وصولا إلى إصرارها على الطلاق منه فور عودتها إلى القاهرة.. اندهشت باكينام من عدم معرفة والدتها أو والدها بكل ما سمعته، فقالت لها بيري بحدة:

- ومش عايزاهم يعرفوا دلوقتي، من فضلك سيبيني أعمل اللي في دماغي الأول.

وعدت باكينام أختها الصغيرة بتنفيذ رغبتها على شرط أن تشركها معها في كل تفاصيل ما يحدث، وقد كان..

حكت بيري لأختها عن خطة رنا في مراقبة شريف.. حاولت باكينام إقناع أختها بالعدول عن هذا القرار وإنهاء الموضوع بهدوء إلا أن بيري انفجرت فيها قائلة بعصبية وحزم:

- اسمعي، أنا هاعمل اللي انا عايزاه، ولو حاولتي توقفيني مش هاكلمك تاني.

هدأت باكينام من روع أختها وتراجعت في لحظة قائلة:

- خلاص، خلاص، انتي حرة، أنا كنت بقول رأيي بس..

ومن القاهرة أعلنت رنا لصديقتها بداية تنفيذ الخطة بدون أن تذكر اسم صديقهما مازن زميل الجامعة، اللي تخرج قبلهما بعام واحد، ثم انضم للعمل بشركة والده، واحدة من أهم الشركات في مجال التكنولوجيا بالقرية الذكية.. أعطى مازن هذا الموضوع أولوية في حياته، ركز جيدا وفكر كثيرا واحتاط بحنكة قبل التحرك والانطلاق في مراقبة الضابط.. كما هو متوقع استغل شريف سفر بيري وأصبح يقضي معظم أوقاته في «قنبلة» المقطم مع صديقه معتز وصديقاتهما الفتيات، حتى أنه أعطى العاملات في المنزل إجازة، وملأ حقيبة سفر بالملابس حتى لا يعود كل يوم إلى منزله

بالمعادي.. ومن نيويورك حافظت بيري على وصية صديقتها رنا، داومت على الاتصال به يوميا حتى لا يلاحظ أو يشعر بأي تغيير أو اختلاف في تصرفاتها.. كم كان شريف سعيدا بهذه المكالمات القصيرة التي أعلنت فيها بيري عن شراء أشياء كثيرة وعديدة وثمينة للفيلا الجديدة.

وبمرور الأيام استعادت بيري جزءًا كبيرًا من هدوئها واتزانها.. اهتمام باكينام بها، صفاء الجو، والهدوء أعطاها فرصة للتفكير جيدا والتأقلم مع الواقع الأليم، وقد أسعدتها كثيرا أخبار رنا المتلاحقة عن بداية نجاح خطة مراقبة شريف الذي استمتع بأيامه وسهراته منذ سفرها.

***

بعد أقل من أسبوع واحد تقدم وليد بإجازة لمدة ثلاثة أيام. عاد إلى القاهرة كما وعد زوجته للذهاب معها إلى الطبيب للاطمئنان عليها.. بمرور هذا الأسبوع تحسنت حالة مها الجسدية، ولكن للأسف ساءت حالتها النفسية، التزمت الصمت كثيرا، فقدت الكثير من وزنها، وتقدمت بإجازة لمدة أسبوعين من العمل.. في اليوم الأول لوصول وليد ذهبا معًا إلى عيادة الدكتور عاطف الذي استقبلهما بابتسامته المعهودة.. وبعد الكشف على مها «بالسونار» طمأنهما الطبيب بشرح وافٍ، ثم أضاف قائلا:

- إحنا ما عندناش أي مشكلة الحمد لله، كل شيء طبيعي، بس طبعا هنستنا لغاية لما دورة تعدي.

- أكيد يا دكتور.

في حقيقة الأمر لم تكن مها في حالة نفسية تسمح لها بمعاشرة زوجها، وقد اعتبرت هذه الكلمات بمثابة تصريح لها بالاعتذار إذا حاول وليد الاقتراب منها.. لم تكن تعلم أن وليد أيضا لم يكن مستعدا هو الآخر للعودة إلى نمط حياتهما الطبيعية.. تجربة مريرة كشفت أبعادًا جديدة لشخصية الزوجين..

عاد وليد ومها إلى منزل عائلة زوجته وجلسا معًا في غرفة المعيشة.. كانت هذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها وليد من زوجته أن تقص عليه تفاصيل ما حدث في المحطة.. حكت وكأنها تشاهد ما حدث كفيلم أمام عينيها حتى انسابت دموعها بغزارة فتوقفت عن الحديث.

حضنها وليد قائلا:

- خلاص يا حبيبتي، إحنا مش هانتكلم في الموضوع ده تاني.

ابتعدت مها عن حضن زوجها ونظرت إليه في عتاب سائلة:

- يعني إيه، يعني الموضوع خلص؟!

- أنا ما قلتش كده.

- أمال قصدك إيه؟

- قصدي اننا لازم ننساه، وترجع حياتنا زي الأول تاني.

تنهدت مها وأجابت بنبرة ضعيفة:

- أنا عمر حياتي ما هاترجع زي الأول.

في مساء هذه الليلة اعترض وليد على عودة مها إلى منزلهما؛ إذ كان مهتمًا براحتها ورعاية والدتها لها.. أقنع مها بصبر ثم حسم الموقف قائلًا:

- أنا تعبان جدًا، هاروح انام، وهاصحى انزل واجيلك.

حاولت مها مقاطعة وليد الذي أكمل حديثه قائلًا:

- من فضلك اسمعي كلامي.

عاد وليد إلى المنزل، دقائق وكان في فراشه، شبه نائم يفكر في الغد متمنيًا أن يمر سريعًا، شغوفًا للقاء العميد رؤوف في إدارة التفتيش في اليوم التالي. وضع وليد آمالًا كبيرة على هذا اللقاء خاصة بعد كلمات المديح والثناء التي قالها رئيسه عن هذا الرجل.

في صباح اليوم التالي مر وليد على زوجته كما وعدها، جلس معها حتى صلاة الظهر ثم استأذن للذهاب لرؤية أخيه عماد الذي استمر في عدم الرد على اتصالاته.. فتح وليد باب الشقة، سكون تام، طرق باب غرفة أخيه المظلمة ثم خطا بداخلها فوجد عماد مستيقظًا ومستلقيًا في فراشه.. آثار الاعتداء عليه لم تختف بعدُ، بل وظهر في هيئة الشاب المريض.. غرفته مبعثرة، رائحتها كريهة، ملابسه المتسخة في كل مكان، وبدون أي تحية قال وليد معترضًا:

- إيه اللي انت فيه ده؟

لم يرد عماد على وليد الذي أزاح الستارة بيده وفتح شرفة الغرفة معاتبًا:

- ريحة الأوضة زي الزفت.. اتفضل قوم خد دوش حالا، واحلق دقنك كمان.

أدار عماد وجهه قائلا:

- مالكش دعوة بيا.

اقترب وليد من أخيه وأمسك يده بقوة قائلا:

- اسمع.. إحنا حقنا مش هايرجع وانت نايم في السرير.

- يعني إيه؟

- يعني اتفضل قوم، انضف، وبعد كده هتفهمني إيه اللي جرا يومها بالظبط.

- ما انا حاولت اقولك اللي حصل وانت مسمعتنيش.

- ماكنتش قادر اسمع حاجة ساعتها.. يلا قوم، اخلص.

انصاع عماد لأخيه ودخل إلى الحمام ليستحم فقط ولكن وليد أصر على حلاقة ذقنه. جلسا معًا في شرفة المنزل وفي يديهما كوبان من الشاي.. استمع وليد بتركيز شديد لأخيه، لم يَحْتَجْ أن يسأل عن أي شيء بعد أن شرح عماد بصدق كل ما حدث منه ومنهم.. تحدث أكثر من عشرين دقيقة ووليد ينصت باهتمام إلى أن أنهى عماد حديثه سائلاً:

- أديك عرفت كل حاجة، قولي بقى ناوي على إيه؟

أجاب وليد بهدوئه المعتاد:

- أنا هامشي في الإجراءات القانونية، بكره رايح التفتيش وهاشوف هايحصل إيه.

وقبل أن يرد عماد أضاف وليد قائلا:

- بس اللي أنا عارفه انك لازم ترجع حياتك تاني.. اللي انت فيه ده ماينفعش.

استمر الحديث بين الأخوين إلى أن عادت والدتهما من عملها. كم كانت سعيدة لرؤية وليد الذي تناول معهما الغداء قبل أن يرحل بسيارته إلى محطة الجيزة.. في شارع ربيع الجيزي اصطف وليد السيارة أمتار بعيدة عن المحطة ثم عبر الطريق متجها إلى كشك عم دسوقي الذي كان يجلس وحيدا على كرسي خشبي قديم.. ألقى وليد التحية سائلا:

- إنت فاكرني يا عم دسوقي؟

ابتسم دسوقي قائلا:

- آه طبعا فاكرك، ربنا يكرمك يا بني.

سأل الرجل الطيب عن صحة الشاب والسيدة فطمأنه وليد ثم أضاف بنبرة حميمة:

- مش هتشربني كوباية شاي ولا إيه يا عم دسوقي؟

وقف عم دسوقي أمام كشكه مرحبا:

- إنت تؤمر يا ابني، سكرك إيه؟

- مظبوط يا عم دسوقي.

في بداية اللقاء رفض عم دسوقي التحدث عن تفاصيل ما حدث في اليوم المشئوم، إلى أن أقنعه وليد واعدا ومقسمًا بعدم ذكر اسمه لأحد. أسلوب وليد وأدبه أدخلا الطمأنينة إلى قلب عم دسوقي الذي قص عليه ما رآه، بل وما سمعه أيضا من كل الذين حضروا هذه المشكلة منذ بدايتها، ثم أدلى بأهم معلومة أراد وليد أن يسمعها:

- هو الظابط شريف اللي ضربها ووقعها يومها، ولعلمك لولا إنها وقعت كان زمان الواد اللي معاها اتصفى في إيديهم.

ثم سأله وليد عن الشهود فأجاب شارحا:

- يا أستاذ دول عيال على باب الله، ولو مارضيوش يشهدوا كانوا هيمشوهم من هنا.

ثم فوجئ وليد بأن عم دسوقي رفض الشهادة معللا:

- قلتلهم مامعييش البطاقة، نسيتها.. أنا عمري ما اشهد زور، دي من الكباير يا بني، ربنا يسلم، ويبعد عنا الحرام.

مد وليد يده وسلّم على عم دسوقي، ثم أعطاه مبلغ مئة جنيه، إلا أن الرجل رفض بإصرار حتى قال له وليد:

- لو كنت اديتك الفلوس دي قبل ما تتكلم كان يبقى ليك حق ما تخدهاش، بس دلوقتي مفيهاش أي حاجة.. إمسك بقى ما تكسفنيش.

رحل وليد بعد أن أقسم مرة أخرى على حفظ الوعد الذي قطعه على نفسه، أما دسوقي فشكره داعيا له بالستر. اتجه وليد من أمام محطة الجيزة إلى قسم الجيزة لمقابلة صديقه النقيب فريد الذي كان في مكتب المأمور.. انتظره وليد إلى أن حضر فريد ورحب به سائلا:

- المدام وعماد أخبارهم إيه؟

- كانوا يومين صعبين، بس الحمد لله عدوا.

طلب وليد من فريد تصوير كل مستندات الواقعة، محضر قسم المحطة، مذكرة التصالح، وأيضا صورة من إخطار وتقرير مستشفى أم المصريين..

وافق فريد بدون مناقشة سائلا:

- إنت تؤمر، بس ممكن تقول إنت ناوي على إيه؟

أجاب وليد بسؤال:

- مش عارف.. قولي انت لو مكاني تعمل إيه؟

هز فريد رأسه وأجاب بنفس كلمات وليد الذي طلب منه قبل أن يرحل الاتصال به في حالة الوصول إلى إجابة مفيدة لهذا السؤال.. شكر وليد صديقه ووعده بزيارته مرة أخرى قريبا، بينما تمنى له فريد كل التوفيق في أخذ حقه وحق عائلته..

عاد وليد إلى منزله في الروضة ومعه ملف به صورة كاملة من مستندات الواقعة.. ظلام وصمت في المكان، دخل وليد إلى المطبخ، وعاد منه إلى مائدة الطعام وفي يده كوب من الشاي.. أمسك الأوراق في يده وبدأ في

قراءة كل كلمة أمامه.. استغرق ذلك أكثر من ساعتين كاملتين، استطاع خلالهما وضع نقاط على ثغرات في أقوال الشهود، ثم أمسك هاتفه واتصل بالدكتور حلمي سائلا:

- عندك مانع يا دكتور انك تشهد بإن حالة مها لما وصلت المستشفى ما ينفعش تكون من كعبلة طبيعية في الشارع وان كان فيه آثار اعتداء عليها؟

أجاب الطبيب برد قاطع وبصوت يملؤه الحماس:

- طبعا ما عنديش أي مانع، والتقرير اللي انا كاتبه كمان بيقول كدا.

أنهى وليد الاتصال بعد أن شكره كثيرا، ثم ذهب مرة أخرى إلى المطبخ لعمل كوب جديد من الشاي.. خلال هذه اللحظات اتخذ وليد القرار بكتابة مذكرة إلى وزارة الداخلية.. فتح جهاز اللاب توب أمامه، صفحة بيضاء على الشاشة كتب في أعلاها «بسم الله الرحمن الرحيم» وفي السطر التالي:

السيد اللواء/ مدير قطاع التفتيش.. وزارة الداخلية

تحية طيبة وبعد،

مقدمه لسيادتكم النقيب/ وليد محمد سامي، قائد سرية الدعم، بقطاع الأمن المركزي، محافظة المنيا..

إنه في تمام الساعة الثامنة وعشرين دقيقة يوم الأحد الموافق.. .

سرد وليد خطابا من صفحتين، شرح فيه ملخصا كاملا لكل ملابسات الواقعة، أدق التفاصيل المهمة، ثم طلب في نهاية الخطاب فتح باب

التحقيق وإجراء كامل التحريات للوصول إلى الحقيقة، وحفظ الحق وتحقيق العدالة التي أقسم عليها منذ التحاقه بكلية الشرطة..

أجرى وليد عشرات التعديلات، ثم قرأ ما كتبه أكثر من ثلاث مرات متتالية.. طبع نسختين ثم أغلق اللاب توب واتجه إلى منزل والدته للقاء أخيه. قرأ عماد المذكرة أكثر من مرة ثم أضاف بعض الكلمات والتعديلات معقبا:

- كلام كله مظبوط، وملخص الموضوع صح، بس انا متأكد انه مش هايحصل حاجة..

- مين قالك كده؟

- خلاص، قدمه وهانشوف.

لم ينم وليد في تلك الليلة أيضا، أصابه أرق شديد بعد أن اتخذ قرارًا بتقديم تلك الشكوى. أفكار كثيرة، وسيناريوهات مختلفة دارت في ذهنه حتى أرهق نفسيا فاضطر إلى ترك الفراش في السادسة صباحا استعدادا للذهاب إلى العباسية.. ارتدى ملابس مدنية، بدلة أنيقة لونها كحلي اشتراها منذ شهور قليلة، ثم تخلص من رابطة العنق بعد أن وقف أمام المرآة مترددًا.. لفت انتباهه أنه فقد كثيرًا من وزنه فقد كانت هذه البدلة مقاسه يوم شرائها.. جلس وليد في غرفة الاستقبال، قرأ المذكرة، بعد أن أجرى تعديلات عماد، وهو يتناول طعام الإفطار ثم خرج من منزله داعيا الله أن يوفقه في مهمة الدفاع عن حق أسرته.

وصل إلى مقر وزارة الداخلية الساعة الثامنة وأربعين دقيقة، أي قبل ميعاده بعشرين دقيقة.. انتظر في الخارج عشر دقائق متوقعا عدم وصول العميد رؤوف.. خطا إلى داخل المبنى ثم سأل أحد المجندين عن مكتب العميد رؤوف فأجابه:

- الدور التاني، المكتب اللي شمال الأسانسير.

- هو وصل؟

أجاب المجند واثقا:

- من بدري..

العميد رؤوف، أربع وخمسون سنة، وجه أبيض بشوش، معتدل القامة وصاحب بنيان جسماني رفيع، مجتهد في عمله، يحترمه زملاؤه ويقدرونه. جلس في مكتبه يحتسي فنجان القهوة التركي وهو يقرأ الجريدة بإمعان.. دخل وليد إلى الغرفة بخطوات ثابتة قائلا:

- صباح الخير يا فندم.. آسف سعادتك، مافيش حد واقف على الباب برة.

وقف العميد من مجلسه ومد يده:

- صباح الخير يا وليد بيه، اتفضل.

اندهش وليد لسماع اسمه، فأضاف رؤوف مبتسما:

- لسه اللواء عبد الحميد قافل معايا حالا وبيوصيني عليك، أهلا بيك.

- شكرا يا فندم.

إبتسم وليد ثم جلس أمام رؤوف الذي ضغط على زر بجانبه سائلا:

- تشرب إيه يا وليد بيه؟

- شاي بعد إذن سعادتك، مظبوط.

دون أي مقدمات أعطى وليد لسيادة العميد ملفًا أزرق به مذكرة من صفحتين.. أمسك رؤوف الملف ووضعه جانبا دون أن ينظر إليه قائلا:

- مش تعرفني بنفسك الأول؟

تحدث وليد عن تاريخه منذ تخرجه في كلية الشرطة، وتدرجه في مواقع الخدمة إلى حصول سريته على لقب أفضل سرية قتالية على نطاق الجمهورية.. وفي أثناء حديث وليد قاطعه رؤوف سائلا باهتمام:

- هو انت مجموعتك اللي راحت من المنيا لأسيوط علشان الدوكش؟

- أيوه يا فندم.

- تصور أنا حضرت جنازة العريف عن الوزارة.

- العريف ناجي، الله يرحمه.

ائتلفت القلوب بعد دقائق من بداية اللقاء، وقبل التطرق إلى الموضوع الرئيسي، تعامل رؤوف باحترام شديد مما أعطى وليد شعورًا بالراحة والأمل.

قال العميد رؤوف سائلا:

- خير يا وليد بيه.. قولي أقدر اساعدك ازاي؟

على مدار خمس عشرة دقيقة حكى وليد ملخصًا مفيدًا لما حدث لزوجته وأخيه، كلمات وألفاظ منتقاة بدقة متناهية. استمع رؤوف بتركيز واستياء، إلى أن أنهى وليد حديثه قائلا:

- ده كل اللي حصل يا فندم.

سكت وليد لحظة ثم أضاف بصوت واضح:

- وربنا عارف إن كل كلمة أنا حكيتها لسيادتك صدق.

أمسك رؤوف الملف الذي أعطاه له وليد وبدأ في قراءة السطور الأولى، ثم رفع رأسه ونظر إلى وليد الذي مد يده قائلا:

- ده ملف كامل فيه صورة المحضر وصفحة فيها ملاحظات عن شهادة الشهود، ومذكرة التصالح، وتقرير مستشفى أم المصريين مكتوب فيه ان مراتي إصابتها تحتاج لعلاج أكتر من 21 يوم، ودكتور المستشفى مستعد يشهد ان اللي حصلها إصابة من اعتداء مش وقعة في الشارع.

أخذ العميد رؤوف الملف الثاني قائلا:

- ده موضوع كبير، محتاج ادرسه كويس، وطبعا هاعرضه على المقدم بس هو في إجازة مرضية وراجع كمان يومين.

- يعني محتاج وقت أد إيه سعادتك؟

- أسبوع واحد، مش أكتر.

ثم تذكر وليد معلومة مهمة فأضاف قائلا:

- نسيت أقول لسعادتك إن الرائد شريف متجوز بنت راغب المحفوظ.

أجاب رؤوف بثقة:

- ما يخصناش هو متجوز بنت مين يا وليد.

- أنا قلت حضرتك تبقى عارف برضه.

تنهد رؤوف وأضاف قائلا:

- أنا خلاص عرفت احنا بتكلم عن مين؛ شريف بيومي، كان رئيس مباحث المعادي، واتنقل في الحركة اللي فاتت.

- مظبوط يا فندم..

وضع رؤوف الملفين أمامه، ثم قال بثقة متناهية:

- أنا عايزك تطمن وتبقى متأكد من إن حقك هيرجعلك.. خليني بس أقرا الورق كويس واقولك هانعمل إيه.. إحنا هنا يا وليد بنراعي ضميرنا قدام ربنا سبحانه وتعالى.

وقف وليد مرددًا:

- أنا مش عارف اشكر سعادتك ازاي.

- مفيش أي حاجة تشكرني عليها.

... ورفع يده قائلا:

- نورتني يا وليد بيه، وماتنساش تسلملي على اللواء عبد الحميد، أستاذي، أستاذي بجد مش مجاملة.

شكر وليد سيادة العميد مرة أخرى ثم خرجا خارج المبنى إلى
وهو في قمة الراحة والتفاؤل والرضا.

الفصل الخامس عشر 15

في حي المقطم، وبعد الاتفاق مع رنا استأجر مازن شقة في الدور الثالث في نفس البناية التي تقع فيها «القنبلة».. وضع فيها سريرًا، وطاولة كبيرة وأخرى صغيرة، ومجموعة كراسي بلاستيك.. ساعده في هذه المهمة موظف في شركته يثق فيه ثقة عمياء.. أسند إليه أعمالاً محددة وقد بدأ في التنفيذ منذ اللحظة الأولى من تسلُّم الشقة.. تم دهان باب ومدخل البناية من الداخل والخارج، وإصلاح إضاءة المدخل وتركيب إضاءات إضافية، ولوحة إعلانات لوضع أي ملصقات تخص البناية، ووحدة خشبية لوضع خطابات البريد.. وأُصص زرع كبيرة انتشرت في جميع الأركان، ولوحات بها ورود ومناظر طبيعية على الحائط.. استغرقت هذه الأعمال يومين فقط. اهتم مازن بتنفيذ تلك المهمة في ساعات العمل الرسمية فهو لم يكن يريد أن يرى شريف أحدا، وقد نجح بالفعل في ذلك.. وسط هذه التغييرات والإضافات الكثيرة، استطاع مازن إخفاء «كاميراتين» صغيرتين من موديل حديث ومتطور، إحداهما ترصد دخول أو خروج أي فرد من البناية والثانية وضعت في اتجاه باب «القنبلة».. وعلى سور شرفة الشقة انتشرت ثلاث كاميرات في زوايا مختلفة لرصد كل سيارة تصطف أو إنسان يسير في الطريق.. وفي داخل الشقة، ترك جهاز كمبيوتر لتفريغ كل التسجيلات التي استمرت على مدار أربع وعشرين ساعة دون توقف..

وفي مساء اليوم التالي لكل هذه الإصلاحات والتغييرات، وقف شريف ومعتز في مدخل البناية وهم في قمة الإعجاب، عقب معتز سعيدا:

– القبلة كده تشرف.

– ده ولا أكتنا في المهندسين يا ميزو، بس المشكلة ان صاحب الشقة هايقولك نزود الإيجار.

– هو العقد هيخلص إمتى؟

– كمان 4 شهور، تخيل 3 سنين عدوا هوا.

***

عاد اللواء زكي مدير إدارة التفتيش بعد إجازة مرضية سريعة إلى مكتبه، وفي لقائه الأول مع العميد رؤوف تحدثا معًا عن مذكرة وليد وحادثة المحطة.. أبدى رؤوف تعاطفه مع الضابط الذي جلس معه أكثر من ساعة منذ أيام قليلة.. استمع المدير لرؤية رؤوف جيدا ثم أجاب معقبا:

– مبدئيا افحص ملفه عندنا، وابعت مذكرة لأمن الدولة شوف أخباره إيه.

ثم سأل اللواء زكي عن اسم شريف الثلاثي فأجاب العميد قائلا:

– شريف محمد بيومي يا فندم.

انتبه المدير للاسم جيدًا ثم تذكره قائلا:

– مش ده الظابط اللي اتنقل من مباحث المعادي للنقل والمواصلات؟

- مظبوط يا فندم.

ساد الصمت لحظات ثم قال مدير التفتيش للعميد:

- طيب سيب الموضوع ده شوية، وأنا هابلغك هانعمل إيه.

أخذ المدير الملف الذي أمسكه العميد رؤوف في يده ثم أضاف سائلا:

- وصلت لإيه في موضوع ظابط قسم النزهة؟

أجاب رؤوف باستفاضة إلى أن استقبل اللواء زكي اتصالًا من مدير مكتبه:

- معالي الوزير عايز سعادتك يا فندم.

استأذن المدير زميله قائلا:

- معالي الوزير طالبني، خلينا نكمل كلامنا في وقت تاني.

***

وفي قطاع الأمن المركزي بالمنيا مرت الساعات والأيام بطيئة على وليد الذي بات واضحا عليه التأثر الشديد جراء ما حدث.. بالرغم من أنه لم يَحكِ أي شيء لأحد من زملائه في القطاع إلا أن الجميع لاحظ وتأكد من مروره بحالة غريبة لم يشاهدوها عليه من قبل.. يقضي ساعات طويلة في غرفته وحيدا، حتى أنه اعتاد الخروج مساءً من القطاع دون أن يعرف أحد إلى أين ولماذا؟ وعندما يسأله إسلام يجيب كل مرة بنفس الكلمات قائلا:

- مافيش حاجة، شوية زهق مش أكتر.

ومن داخل غرفته في المنيا تحدث وليد كثيرا مع زوجته التي تحسن حالتها.. نجح في إقناعها بالعودة مرة أخرى إلى عملها في محاولة لتجاوز الأحزان وعودة الحياة إلى طبيعتها، مقتنعا أيضا بأن وجود زوجته بالمنزل بلا هدف يجعلها فريسة للتفكير المستمر الذي بالطبع سيصيبها بمزيد من الاكتئاب.. أما أخيرا فلم يهدأ باله تجاهه إلا بعد أن أبلغته والدته بحضوره مؤخرا في مواعيد التمرين الرسمية.. في واقع الأمر لم يعد إلى التمرين وضع كل تركيزه في تقديم أوراق الهجرة إلى سفارتي كندا وأستراليا، قرر عماد أيضا عدم التحدث في هذا الشأن مع أحد، فاقدا ولاء بلده وواثقا بأن مستقبله في مصر قد انتهى إلى الأبد..

وسط هذه الأجواء المشحونة بالألم استقبل وليد اتصالا من صديقه إسماعيل يحمل فيه أنباء شخصية عديدة:

- أنا أجرت شقة قانون جديد قريبه جدا، وقفلت فيها امبارح.

- ليه، هو إيه اللي حصل يا اسماعيل؟!

- أبويا ضربني بالقلم علشان موضوع حنان.

- مش معقول!

- آه والله العظيم، إنت راجع امتى؟

- كمان أسبوعين، قولي محتاج إيه؟

- لا، ولا حاجة، أنا لسه سايب أبو حنان دلوقتي واتفقنا على قراءة فاتحة وتلبيس دبل الأسبوع الجاي.

- ليه يا إسماعيل الاستعجال ده؟

- استعجال إيه يا وليد؟ ده أبويا بيلاعبني بقاله أكتر من 6 شهور.. على العموم أنا هاجلها أسبوع كمان علشان تبقى موجود.

بارك وليد لصديقه بالرغم من اعتراضه على سرعة اتخاذ القرار، ثم وعده بالحضور والوقوف بجانبه في هذه المناسبة.. بعد أن انتهت المكالمة أخذ وليد يفكر في موقف صديقه، مستاءً بشدة من رد فعل والد إسماعيل في التعامل مع هذا الموضوع..

***

بعد مرور سبعة أيام من زيارة وليد الأولى فوجئ العميد رؤوف بعسكري مكتبه يعلن انتظار وليد بالخارج.. أحسن رؤوف استقباله ودعاه للجلوس قائلا:

- أهلا بيك يا وليد بيه.

حيّا وليد العميد بأدب، ثم قال:

- أنا جيت من المنيا مخصوص علشان اقابل سعادتك وراجع تاني على طول.

- طيب ما كنت تكلمني، دي سفرية طويلة.

- ما أنا ماخدتش الرقم يا فندم.

- كنت تاخده من عبد الحميد بيه.

- مافيش مشكلة يا فندم.

أمسك رؤوف ورقة صغيرة أمامه، وكتب عليها رقم هاتفه وأعطاها لوليد قائلا:

- إنت تكلمني في أي وقت.

ثم أخرج ملفًا وضعه في أحد أدراج مكتبه قائلا:

- أنا كتبت مذكرة وعرضتها على المدير أول مارجع، بس لسه ماجاليش رد.. انت فاهم طبعا اني ما قدرش استعجله.

ثم فتح الملف الذي أمسكه في يده وأضاف قائلا:

- بس انا بالنسبالي شغلي جاهز، جوابات استدعا لمأمور المحطة ومأمور قسم الجيزة مكتوبة، يعني هي مسألة وقت مش أكتر.

- أنا يا فندم مش هاستريح غير لما التحريات والتحقيقات تبتدي.

- اعتبرها ابتدت يا وليد، على العموم هما يومين تلاته، يجيلي الرد واتحرك على طول.

كلمات وثقة العميد رؤوف أسعدت وليد الذي شكره واستأذنه بالاتصال به قريبا، فأجابه مرحبا:

- أهلا بيك في أي وقت يا وليد.

- شكرا يا فندم.

***

في ليلة من ليالي الخميس، ارتفعت أصوات الموسيقى في «فيلة» المقطم، احتفالا بعيد ميلاد معتز الذي استمر في الرقص مع زوجته الفنانة، أما شريف فجلس يلف السجائر وهو يتابع استعراض فتاته وهي ترقص مرتدية فستانًا ساخنًا.. زجاجات وكاسات الخمور انتشرت في كل مكان، والسهرة في قمتها، إلى أن ارتفع صوت رنين هاتف شريف. نظر في الشاشة الصغيرة ثم وقف احتراما بل خوفا قائلا لنفسه: «راغب المحفوظ».. خفض شريف صوت الموسيقى في توتر قائلا:

- ده الشغل، هادخل جوه اتكلم، وماحدش يعلي المزيكا لغاية لما اخلص.

دخل شريف إلى غرفته، أغلق الباب مرتبكا، ثم اتصل بحماه.. كان شريف يعي جيدا أن المحفوظ لا يتصل به إلا لسبب، فدعا بداخله أن يكون خيرا.. في بداية الحديث اعتذر له شريف قائلا:

- معلش حضرتك ما كنتش سامع الموبايل.

لم يهتم راغب بما قاله شريف وأجاب سائلا:

- إنت فين يا شريف؟

- عند واحد صاحبي.

- طب عدي عليا في البيت، عايزك في حاجه مهمة.

- خير حضرتك، هو فيه حاجه؟

- لما تيجي، ومتتأخرش علشان عندي ضيوف من بره وعازمهم على العشا.

رحل شريف في ثوانٍ من المقطم.. برر ذلك باستدعاء عاجل من الوزارة، ثم وعد أصدقاءه بالعودة في خلال ساعة على الأكثر.. في الطريق حاول الوصول إلى سبب لهذه المقابلة ولكنه فشل.. بالرغم من أن علاقته ببيري مستقرة، وفي رأيه على أفضل ما يكون إلا أن القلق سيطر عليه بعد هذا الحديث السريع والجاف.. وصل شريف إلى القطامية، وجد راغب جالسا في حديقة المنزل وأمامه جهاز اللاب توب، يشرب «نسكافيه» ويدخن السيجار بشراهة.. حيا المحفوظ زوج ابنته ثم سأله بنبرة جادة:

- إيه حكاية خناقة المحطة اللي وقعت فيها مرات الظابط يا شريف؟

ابتسم شريف بتحفظ، ثم أجاب قائلا:

- حضرتك، دي خناقة بين أمين شرطة وواحد بسبب مخالفة مرور.. مسكوا في بعض قدامي.. أنا كنت معدي بالصدفة مش أكتر.. وبعدين هما اتصالحوا يومها.

- ومرات الظابط؟

- ماعرفهاش، بس أنا عارف انها هي كمان مضت على التصالح.. هو فيه إيه حضرتك؟

- الظابط ده قدم فيك شكوى في الوزارة، وبيتهمك انك ضربت مراته اللي كانت حامل، والجنين سقط.

- حضرتك، أنا..

قاطعه راغب قائلا بحسم:

- اسمع يا شريف، هاتقولي الحقيقة هاساعدك، هاتحكيلي أي كلام هاسيبك تتصرف لوحدك.

لم يتردد شريف في الاعتراف بجزء من الحقيقة.. حكى لراغب ما حدث، ولكنه نفى وأنكر بشدة اقترابه من زوجة الضابط، وأن ما أصابها هو جراء الزحام الشديد وسط العراك المتبادل، ثم أقسم بتوقع المأمور لهذا الاتهام، ولذلك اتخذا القرار معًا بإبعاد نفسه عن الواقعة، والاكتفاء بوجوده كشاهد فقط.. لم يَرتح راغب لهذا السيناريو، ولكنه أجاب مطمئنا:

-خلاص يا شريف أنا هاتصرف.. بس خلي بالك ان مشاكلك كترت، وده مش كويس لسمعتي وسمعتك.

اعتذر شريف لحماه عن كم الإزعاج الذي سببه له، واعدا بتوخي الحذر في المستقبل والبعد عن المشاكل تماما.. استأذن ورحل من التجمع الخامس عائدا إلى المقطم وهو في قمة الغضب.. لم يتصور في لحظة فتح ملف هذه الواقعة مرة أخرى، وبالرغم من استيائه من كلمات حماه إلا أنه ارتاح نفسيا بعد وعد راغب بإنهاء الموضوع..

***

وفي المنيا انتظر وليد ثلاثة أيام بصعوبة، إلى أن أمسك هاتفه المحمول واتصل برؤوف الذي كان يجلس في مكتبه.. أجابه العميد وحياه بمودة ثم

طلب منه مزيدًا من الصبر.. اعتذر وليد بأدب عن إلحاحه فعقب رؤوف متفهما:

- أنا مقدر جدا اللي انت فيه يا وليد، وبإذن الله هاتسمع أخبار حلوة قريب.

ثم طلب منه الاتصال به مرة أخرى بعد أسبوع..

استراح العميد رؤوف في مقعده وهو يفكر في هذه الواقعة.. كانت لديه علامة استفهام كبيرة: «لماذا لم يصل أي رد حتى الآن؟» ثم اتخذ القرار بالذهاب إلى مديره للاستفسار عن الموقف إذا لم يجد الرد في بريد نهاية اليوم.. وقد كان، بعد مرور ساعة واحدة وجد العميد رؤوف المذكرة التي قدمها بشأن هذه الواقعة وقد أشر عليها المدير بكلمتين فقط: «حفظ التحقيق» وتاريخ اليوم..

أمسك العميد رؤوف المذكرة في يده، مستاءً بشدة، لا يكاد يصدق القرار الذي اتخذه مديره.. تردد في الذهاب لمقابلته إلى أن تراجع قائلا لنفسه: «أكيد فيه حاجة في الموضوع»..

وقف رؤوف من مجلسه، خرج من غرفته وذهب إلى مكتب أحد مساعديه، عقيد صديق، ملتزم ومحترم ويثق فيه.. قص عليه ما حدث فقاطعه مساعده قائلا:

- إنت مش عارف ان راغب المحفوظ يبقى حبيب اللواء هاشم ولا إيه؟

- كانت هذه الجملة هي حل اللغز الذي حارَ أمامه العميد رؤوف؛ إذ كان الجميع بالوزارة على علم بمدى قوة العلاقة بين مدير إدارة التفتيش اللواء

زكي واللواء هاشم مساعد أول الوزير، وقد تردد كثيرًا أن هاشم هو السبب الرئيسي لتعيين اللواء زكي في هذا المنصب الرفيع.

***

عادت بيري إلى القاهرة، بعد رحلة استمرت أربعة أسابيع، كانت رنا فقط في انتظارها بالمطار.. إذ لم يكن أحد على علم بوصولها، قررت العودة إلى منزل والدها بالقطامية والتحدث معهم ولأول مرة عمّا بدر من شريف.. مفاجأة وصولها هي والبنتين أسعدت راغب وأميرة، وقبل أن تنتشر علامات الاستفهام أعلنت بيري النبأ المدوي قائلة بنبرة ثقة:

- أنا لازم اطلق من شريف.

استقبل الوالد الخبر بهدوء، ولكن الأم أصابها الذهول فسألت في لهفة:

- إيه اللي بتقوليه ده يا بيري؟

- يا مامي أنا اختياري كان غلط، وأنا هاتحمل نتيجته.

طلبت بيري من والديها الانتظار قليلًا حتى تستعيد توازنها من تلك الرحلة الطويلة والمرهقة، ثم أكدت عليهما ضرورة الحفاظ على سرية وجودها في القاهرة.. كان راغب وزوجته يستمعان لابنتهما في صمت مرددين في داخلهما نفس الكلمات: «دي أكيد مش بيري بنتنا».. وقبل أن تصعد بيري إلى غرفتها أمسكت هاتفي والدها سائلة:

- هو أنهي فيهم اللي مبيظهرش الرقم؟ أصلي عايزه أكلم شريف وأكني لسه في نيويورك.

قالت والدتها بدهشة:

- عايزه تطلقي وهاتكلميه؟ أنا مش فاهمة حاجة، انتي لازم تفهمينا إيه اللي بيحصل بالظبط.

- والله حاضر، بكره هافهمكم كل حاجة.

استمع راغب إلى الحديث في صمت.. تمنى أن يسأل ابنته عشرات الأسئلة إلا أنه احترم رغبتها وقرر الانتظار إلى اليوم التالي، أما بيري فحاولت إقناع صديقتها بقضاء الليلة معها في منزل عائلتها، ولكن رنا أصرت على الرحيل، فعقبت بيري قائلة:

- خلاص، يبقى بكرة نتغدا كلنا سوا.. أنا عايزاكي تبقي موجودة وأنا باحكيلهم على كل حاجة.

حضنت رنا صديقتها حضنًا دافئًا، قبل أن تنطلق بسيارتها عائدة إلى المعادي، وبالرغم من أنها تركت بيري منذ دقائق إلا أنها كانت على وشك الاتصال بها للاطمئنان عليها.

عادت بيري إلى غرفتها في الطابق العلوي، لم تنم أو تسترح كما ادعت.. جلست على الفراش وفي يدها ملف أعطته لها رنا.. وضعت «سي دي» داخل الكمبيوتر وبدأت في مشاهدة ما تم تسجيله لشريف ومعتز.. بعد دقائق من رؤية بعض اللقطات تقزت بيري إلى الحمام بعد أن أصابها غثيان شديد. بدأت بالقيء حتى أفرغت كل ما في بطنها.. تماسكت وعادت مرة أخرى إلى فراشها وبدأت في مشاهدة «سي دي» آخر من لقطات أخرى لزوجها مع بنات أخريات، ثم فتحت الملف وقرأت تقريرًا

كاملًا عن تحركات شريف، مواعيد دخوله وخروجه من شقة المعظم.. بالرغم من توقع بيري لكل ذلك، إلا أن وجود الحقيقة أمامها بهذه الصورة الفجة أصابها في مقتل، وفي لحظة أخفت وجهها بين يديها واستمرت في البكاء حزنا على نفسها ومستقبل ابنتيها.

وفي اليوم التالي استيقظت بيري الساعة الثالثة ظهرا، وجدت رنا جالسة مع راغب الذي ذهب إلى مقر شركته باكرا ثم عاد بعد ساعات قليلة.. لم يستطع الأب الالتزام بمواعيد عمله بعد حديث ابنته أمس.. أعطت رنا لوالد ووالدة بيري نبذة سريعة عما بدر من شريف خلال الفترة الماضية، وعندما انضمت إليهم بيري قاطعت صديقتها قائلة:

- استني يا رنا أنا عايزة احكيلهم على كل حاجة من الأول.

حكت بيري عن تفاصيل حياتها هي وشريف: أسلوبه، عاداته السيئة لغته القبيحة، اختفاؤه المستمر، وبالرغم من صعوبة تقبلها لكل ذلك إلا أنها قررت التضحية من أجل البنتين، إلى أن استقبلت مؤخرا اتصالًا من فتاة أخبرتها بخيانة زوجها لها.. لم يقاطعها أحد طوال مدة حديثها.. الأب يستمع باشمئزاز وحزن والأم تبكي بداخلها على آلام ابنتها ومستقبلها، إلى أن سألتها أميرة:

- إنتي ازاي ما تحكيلناش كل ده؟

لم ينتظر الوالد إجابة ابنته وعقب قائلا:

- ممكن تسيبوني أنهي الموضوع ده.

رفضت الابنة بشدة، وأجابت بتحدٍّ كأسد جريح:

- لأ يا بابي، ده اختياري أنا، وغلطتي أنا، وأنا اللي هاخد حقي منه..

سألت الأم بقلق:

- إنتي ناوية على إيه؟ ما احنا كمان لازم نعرف.. والبنات؟!

- أصلاً البنات ما يفرقوش معاه في حاجة، ده كلب يا مامي.

قاطعهما راغب قائلا:

- اسمعي يا بيري، أنا وافقتك على اختيارك ووافقتك على قرارك، بس أكيد مش هاينفع اسيبك تتصرفي لوحدك.

استمرت المناقشات لساعة أخرى إلى أن اتفق الجميع على الانتظار قليلا حتى الوصول إلى قرار يريح الابنة ويعطي الطمأنينة إلى الأم والأب اللذين أصرا على معرفة كل خطوة أو فعل قبل اتخاذه أو تنفيذه.

***

عاد وليد إلى القاهرة في راحته الشهرية، وقد مر أسبوع منذ آخر مكالمة لعبد الحميد رؤوف.. في اليوم الأول لوصوله حاول الاتصال به ولكنه لم يجب على هاتفه.. انتظر لليوم التالي واتصل به مرة أخرى دون فائدة فقرر الذهاب إليه، في ذلك اليوم كان الحميد رؤوف في مأمورية خارج الإدارة. وفي اليوم التالي قرر رؤوف الذهاب لمقابلة مديره الذي كان يبدو أن لديه جدول مليء بالمواعيد والالتزامات.. وبعد أن انتظر رؤوف حوالي أربعين دقيقة سمح له اللواء زكي بالدخول..

عبد الحميد مديره الذي لم يأذن له بالجلوس ثم قال سائلا:

- مذكرة النقيب وليد سامي بتاع خناقة المحطة، ممكن..

قاطعه اللواء زكي قائلا بحدة:

- الموضـوع مش وافي، ومفهـوش أدلة كفاية تثبـت ان الظابط اعتدى على الست..

- هو ممكن يا فندم..

قاطعه اللواء زكي مرة أخرى قائلا بثقة:

- أنا راجعـت الملـف كويـس، وعملت كذا اتصـال كمـان.. هو فعلا الظابط ده مشـاكله كتير، بس انا اتأكدت انه ماعتداش عليها.. ده غير إن فيه تصالح وهي ووالدها موقعين عليه.

أصر العميد رؤوف على موقفه وأجاب سائلا:

- طيب ممكن تديني فرصة سعادتك أحاول..

قاطعه اللواء زكي غاضبا وقال بلغة حاسمة:

- أنا قلت التحقيق يتحفظ، وبعدين ما تنساش انك على وش ترقية يا سيادة العميد.

انتهى لقاء اللواء زكي والعميد رؤوف بعد هذا التهديد الصريح.. رحل رؤوف من مكتب مديره وهو في قمة الغضب واليأس.. مر على مساعده وقص عليه تفاصيل لقائه مع المدير الذي رفض بإصرار فكرة فتح باب التحقيق في هذه الواقعة. توقع مساعده ما حدث، ثم شرح وجهة نظره باستفاضة:

- يعني انت عايز المدير يبوظ علاقته باللواء هاشم علشان مرات واسر ظابط وقعت في خناقة، وكمان ماضية على تصالح هي وأبوها؟! أكيد مش هايحصل.

ثم أضاف معلومة أخيرة أنهت الجدال:

- أنا فاكر كمان ان الوزير حضر فرح بنت المحفوظ على الظابط ده.

ثم نصحه بعدم التطرق إلى هذه القضية مرة أخرى تجنبًا للمشاكل التي هو بالطبع في غنى عنها.

في مساء هذه الليلة حاول وليد الاتصال به مرة أخرى ولليوم الثالث على التوالي لم يجب العميد على هاتفه.. في هذه الليلة أيضا اتصل هاشم بصديقه راغب، شرح له تفاصيل إصرار عميد التفتيش على فتح باب التحريات والتحقيقات في هذه الواقعة، و بفخر حكى له كيف تصدى له، حتى أنهى الموضوع تماما. بالرغم من أن المحفوظ كان على وشك أن يحكي لصديقه ما حدث بين بيري وشريف، لكنه أخذ القرار بالحفاظ على سمعة ابنته والاكتفاء بمحاولة إنهاء هذا الزواج في هدوء.. في نهاية حديثهما شكره راغب كثيرا، ثم وعده بزيارة قريبا في مكتبه.

***

خلال تلك الإجازة أمضى وليد معظم أوقاته بالمنزل مع زوجته.. اهتم بها ودللها كثيرا، وبالرغم من ذلك كان هناك إحساس بوجود مساحة خالية في التعامل بينهما.. اقترح وليد على زوجته الخروج أكثر من مرة إلا أنها كانت تفتعل أسباب الاعتذار. وفي نفس الوقت وضع أحمد زوج أخته

تحت ضغط نفسي شديد إذ واظب على الحضور للاطمئنان على مزا يوميا دون أن يتحدث مع وليد إلا بكلمات قليلة. هذا الأسلوب الجاف أعطى وليد انطباعًا بالمسئولية عما حدث لميا، حتى جاءت الليلة التي واجهه فيها أحمد معترضًا:

- تفتيش إيه وقانون إيه اللي هيرجع حق أختي وأخوك؟!

قاطعته مها بحسم:

- الموضوع انتهى خلاص يا أحمد، ومش عايزاك تتكلم فيه تاني.

- لأ ماانتهاش، ولو وليد ماجبش حقنا أنا هاجيبه.

استمع وليد لكلمات أحمد في صمت ثم أجاب معتبًا:

- أكيد يا أحمد انت مش زعلان أكتر مني.

أجاب أحمد بصوت مرتفع:

- أنا ميهمنيش انت زعلان أد إيه، أنا يهمني الظلم اللي أختي خدته في وسط الشارع.

هز وليد رأسه معاتبًا:

- يلا علّي صوتك أكتر، وعلمني المفروض أعمل إيه.

قاطعتهما مها قائلة لأخيها بغضب:

- اسكت يا أحمد، عيب كده.

- أنا ماغلطش في حاجة.

رحل أحمد غاضبًا، بينما دخل وليد إلى غرفته حزينًا، ارتدى ملابسه وذهب للقاء صديقه إسماعيل الذي اتصل به أكثر من مرة. على ضفاف النيل وأمام قصر المانسترلي كان إسماعيل جالسًا في انتظار وليد لأخذ رأيه في أمور عديدة قبل إتمام قراءة الفاتحة التي تم تحديد ميعادها يوم الخميس.. تقابل الصديقان وقد وضحت على وليد علامات الحزن والضيق إلى أن قال له إسماعيل:

- مالك يا وليد في إيه؟ هو انت اللي في مصيبة ولا انا؟

ابتسم وليد قائلا:

- يا عم انت مش في مصيبة ولا حاجة.. انت هاتخطب وكله هيبقى تمام إن شاء الله.. يلا احكيلي اتفقتوا على إيه؟

ناقش إسماعيل صديقه في آراء والديه، وإصرارهما على رفض هذه الزوجة، ثم تحدثا معًا في رؤية إسماعيل للمستقبل، وأثناء حديثهما رآهما هاني صدفة فوقف بسيارته، نزل منها، ثم حضن وليد بقوة قائلا:

- شهر ماشوفتكش، وكمان بقالك كام يوم هنا وماتكلمتش..

اعتذر وليد لصديقه الذي انضم إليهما في الحديث عن خطوبة إسماعيل وحنان، وبعد مناقشة سريعة عقب هاني قائلا:

- انت لازم يا إسماعيل تحاول تاني مع أهلك، ولا إيه رأيك يا وليد؟

- لو ينفع، بس اللي أنا فاهمه ان الموضوع اتعقد جدا.

اقترح هاني على إسماعيل التحدث مع والده مرة أخيرة بصبر في

محاولة للوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف. اعترض إسماعيل مقلدًا والده:

- أنا الموضوع بالنسبالي مرفوض تماما.. دول ناس مش من مستوانا.. فاهم يعني إيه مش من مستوانا؟

إبتسم وليد وهاني على أسلوب إسماعيل في تقليد والده باحتراف، ثم أضاف:

- أنا يا جماعة ما عنديش أي أمل ولا حتى 1٪ إنه يغير رأيه.. ده أبويا وانا حافظه.

***

في صباح اليوم التالي، ذهب وليد إلى الوزارة.. سأل عن العميد رؤوف فوجده في اجتماع مع أحد ضباط الإدارة بمكتبه.. قرر وليد الانتظار حتى انتهى العميد من لقائه.. ساعة كاملة أو ربما أكثر قليلا.. اعتذر له رؤوف بشدة، فأجاب وليد بأدب:

- مافيش مشكلة يا فندم..

- تشرب إيه يا وليد بيه؟

- ولا حاجه شكرا.. أنا مش عايز اعطل حضرتك، بس عايز اعرف احنا وصلنا لإيه؟

- في الحقيقة الأخبار مش كويسة.

تحدث العميد بصدق، شرح توجهات المدير في التعامل مع تلك الواقعة، ثم اعتذر رؤوف بشدة إلى أن قال وليد معاتبا:

- بس مش ده اللي سعادتك قلته لما اتقابلنا أول مرة..

حاول العميد تبرير موقفه بعد أن أعلن بمنتهى الشفافية تفاصيل لقائه مع مدير قطاع التفتيش الذي قال له بالحرف الواحد:

- دي تعليمات معالي الوزير، وماحدش يقدر يعمل فيها حاجة.

بعد هذه الجملة وقف وليد فجأة قائلا بعصبية:

- أنا متشكر يا سيادة العميد، تعبتك معايا.

مد وليد يده وسلم على العميد رؤوف الذي نظر إليه وهو في قمة الأسى والأسف، بل والخجل أيضا من هذا الموقف المحرج الذي اعتبره خارجا عن إرادته..

رحل من مكتب العميد واستقل سيارته عائدا إلى الروضة. كلمة «غاضب» غير كافية لوصف إحساس وليد، حتى أنه وقف بسيارته على مشارف كوبري الجيزة ومشى الكوبري إيابا وذهابا ثلاث مرات وهو يفكر فيما حدث.. ما قاله العميد كان آخر ما يمكن أن يتوقعه: «هل هذا هو الحق والقانون الذي درسه وآمن به سنوات؟! هل بالفعل صدقت توقعات عماد وأحمد؟ هل مات الحق مثل موت الجنين؟ الوزير، المحفوظ، المأمور، الضابط، الأمين؟! و أخيرا، ما زلت أرى علامات إصبع الضابط على وجه زوجتي بالرغم من اختفاء الآثار فعليا».

دخل وليد إلى منزل عائلته في الروضة.. لم يكن هناك أحد بالمنزل، والدته في المدرسة، وأخوه في سفارة أستراليا.. فتح باب غرفته الخالية التي لم يدخلها منذ زمن.. فتح دولابه الخاص وأخرج منه أشياء عديدة؛ شهادات التقدير المختلفة، كتابات الشكر منذ أن كان طالبا متفوقا بإمضاء أكثر من وزير داخلية، صور كثيرة منذ أن ارتدى زي طالب الشرطة إلى أن تدرج حتى وصل إلى رتبة نقيب.. قضى أكثر من ساعتين كاملتين وهو يقرأ، ويشاهد، ويتصفح ما أمامه من ذكريات جميلة.. وسط هذا الهدوء، وجد أمامه أخاه عماد الذي ارتفع صوته سائلا:

- إنت بتعمل إيه؟

ارتبك لحظة ثم نظر إليه قائلا:

- ولا حاجه.. بقلب في حاجتي.

لم يعقب عماد على كلمات أخيه، لكنه سأله متحفزا:

- التفتيش ردوا عليك؟

- آه.. الموضوع اتحفظ.. تعليمات الوزير.

ابتسم عماد ساخرا:

- ما انا قولتلك، وأحمد كمان قالك ان مافيش حاجة هاتحصل.

أجاب وليد دون أن ينظر إليه:

- وانا قولتلكم إن حقنا مش هاسيبه.

لم يرد عماد، بل نظر إليه بعتاب ولوم، ثم رحل من أمام أخيه الذي أعاد كل شيء إلى مكانه..

في نهاية الأسبوع، وقبل عودة وليد إلى المنيا، استعد هو وزوجته لحضور حفل خطوبة إسماعيل في منزل حنان التي انتظرت هذه الليلة لسنوات.. أفراد قليلة من عائلة خطيبته، ولا أحد من عائلة إسماعيل.. وقبل أن يتحرك وليد من منزله بالروضة استقبل مكالمة من نورهان أخت إسماعيل التي طلبت منه الذهاب معهم لحضور حفل خطوبة أخيها. طلبت نورهان أيضا من وليد عدم إبلاغ إسماعيل قائلة:

- من فضلك عايزه اعملهاله مفاجأة.

اعتراض إسماعيل من قبل على حضور أخته لهذه المناسبة خوفا من تفاقم الخلاف بينها وبين والديهما.. جعل وليد يحاول إقناعها بعدم الحضور ولكنه استسلم أمام إصرارها.. تحركت سيارتان من جزيرة الروضة إلى روض الفرج، إحداهما بها وليد وزوجته وأخت إسماعيل، والأخرى بها هاني وعمرو وخطيبته نور.. وفي منزل حنان كانت أجواء هذه المناسبة مشحونة بمشاعر مختلفة، سعادة وفرح أمام حزن وتوتر إلى أن حضر جميع أصدقاء إسماعيل.. أضاف أيضا وجود نورهان فارقًا وإحساسًا جميلًا ودافئًا احتاج إليه إسماعيل وخطيبته حنان التي لم تفقد ابتسامتها ولو للحظة واحدة. أما والدها ففقد السيطرة على مشاعره وأحاسيسه، إذ دمعت عيناه حتى أنه اضطر إلى ترك المدعوين لغسل وجهه أكثر من مرة..

في هذه السهرة ارتفعت الموسيقى وانتشر «الشربات» في أيدي الضيوف بعد قراءة الفاتحة وتلبيس الدبل.. وفي منزل حنان اجتهد أصدقاء إسماعيل

في إضافة لحظات من المرح والسعادة إلى أن مرت الليلة بسلام.. انتظر الأصدقاء بجانب صديقهم إسماعيل حتى رحل آخر ضيف من المنزل، ثم عادوا جميعا إلى جزيرة الروضة. وعلى ضفاف النيل ووسط حكايات وضحكات الأصدقاء قال وليد سائلا:

- هاتعملوا إيه بكره بعد الصلاة؟

تكررت كلمة «ولا حاجة» من إسماعيل وعمرو، لكن هاني أجاب قائلا:

- أنا بكره عندي غَدَا عند عمتي في مصر الجديدة.

عقب وليد بلغة جادة:

- ممكن تقولهم انك هتتأخر شوية؟ أنا بكره عايزكم في موضوع مهم، ومش هاينفع يتأجل، علشان انا راجع المنيا بعد بكره..

اللغة والأسلوب جعلا الكل يتساءل، ولكن وليد أجاب بحزم:

- مش هاتكلم في حاجة النهارده، وبكره هاقولكوا على كل حاجة.

عقب عمرو ساخرا:

- إيه يا عم الـ «Suspense» الجامد ده؟!

***

الفصل السادس عشر 16

صلى الأصدقاء الثلاثة صلاة الجمعة خلف الشيخ رجب في جزيرة الروضة، بينما وقف هاني في شرفة غرفته في الدور الخامس انتظارا لرؤية أصدقائه للانضمام إليهم. كان عمرو أول من خرج من الجامع تلاه إسماعيل. أما وليد فذهب إلى الشيخ رجب، ألقى عليه التحية ثم وقف معه لدقائق قبل الخروج والذهاب للقاء أصدقائه. وكالعادة استقبل عمرو صديقهم هاني بتعليقه الساخر قائلا:

- حرما.

أجاب هاني مبتسما:

- تقبل الله.

قرر وليد أن يذهبوا إلى شقة عمرو التي يشرف هاني على تشطيبها، ثم عقب عمرو على قرار وليد سائلا:

- تحب سعادتك ناخد عربية مين؟

أجاب وليد بمنتهى الثقة:

- عربيتك..

عبر الأصدقاء الأربعة الطريق وذهبوا إلى سيارة عمرو الذي أضاف ساخرا:

- تعرف يا وليد لو كل الدوشة اللي انت عاملها دي طلعت أزنقة هاعمل فيك إيه؟!

أضاف هاني مؤكدا:

- مش انت اللي هاتعمل فيه، أنا اللي هاتخانق معاه.. أنا اعتذرت لعمتي مع إنها بتعمل أحلى أكل في الدنيا..

وفي الطريق إلى زهراء المعادي، حاول الأصدقاء وبالأخص إسماعيل معرفة ما يدور في ذهن وليد الذي طلب من الجميع الانتظار حتى الوصول إلى منزل عمرو. دخل الأصدقاء إلى المكان الخالي، تحرك هاني في الغرف وكأنه يتابع ما تم تنفيذه من أعمال، وخلفه عمرو الذي لم يتوقف عن إبداء الملاحظات لصديقه الذي التزم الصمت إلى أن قال إسماعيل معاتبا:

- يا ابني اسكت بقى. هو خلص شغل في الشقة علشان تفضل ترغ كده؟!

- أنا قلت فرصة بما إننا هنا.

قاطعه هاني مؤكدا:

- صدقني يا عمرو، كل اللي انت قلت عليه هايتعمل.

أجاب عمرو ضاحكا:

- طالما قلت صدقني، يبقى كده أنا اتأكدت إن مفيش حاجة هاتتعمل.

ثم انتبه عمرو لاختفاء وليد فأضاف سائلا:

- هو وليد فين؟

كان وليد يجلس وحيدا في الغرفة التي اعتاد الأصدقاء الجلوس فيها، ذهبوا إليه مسرعين سائلين:

- ما، فيه إيه يا وليد؟!

- قول بقى قلقتنا.

- عايز إيه تاني علشان تنطق؟

أجاب وليد بصوت هادئ ولكن بلغة جادة:

- اقعدوا.

جلس الأصدقاء، هاني بجانبه وإسماعيل وعمرو أمامه فأضاف قائلا:

- أنا عندي ليكم خبر وحش.

في بداية حديثه طمأن وليد أصدقاءه على زوجته وأخيه، ثم قص عليهم تفاصيل ما حدث في ذلك اليوم المشئوم أو ما أسماه وليد «حادثة المحطة»، ثم شرح بغضب شديد موقف التفتيش المتخاذل في التعامل مع هذه الواقعة. استمع الأصدقاء لكل ما قاله وليد وهم في قمة الاستياء.

كان إسماعيل أول من تحدث بعد أن أصابهم صمت طويل:

- علشان كده ماكنتش عايز تقول امبارح. مارضتش تعكنن علينا.

ثم أضاف هاني:

- إحنا مش عارفين نقولك إيه.

وقال عمرو بتجهم:

- شكلك ناوي على حاجة يا وليد.

- أكيد يا عمرو.. أنا ناوي آخد حقي.

قال عمرو منغما كلمته:

- Revenge .

قاطعه وليد معنفا:

- أنا مش هاقبل أي هزار في الموضوع ده يا عمرو.. لو نور اللي وقعت وابنك ضاع منك أكيد مش هاتهزر..

شعر عمرو بخطئه فقال معتذرًا:

- أنا آسف يا وليد.. مش قصدي والله.

- خلاص يا عمرو.

شرح وليد كل ما أراده من أصدقائه بإمعان شديد، وهم يستمعون بمنتهى الاهتمام والتركيز إلى أن قاطعه إسماعيل سائلا :

- طيب انت عايز كل ده ليه؟ إنت ناوي على إيه يا وليد؟

- أنا مش عايز حد يسألني أي حاجة.

قاطعه عمرو معترضًا:

- إزاي يا وليد؟ ما احنا لازم نبقى فاهمين ولازم كمان نفكر سوا.

- مايحصل، بس مش دلوقتي.. خلينا نمشي في الموضوع خطوة خطوة.

سأله هاني عن التوقيت قائلا:

- إنت عايز الكلام ده إمتى؟

- أسبوعين.. كفاية؟

- لأ طبعا.. ده وقت قليل أوي لكل اللي انت عايزه ده.

- طيب ينفع 3 أسابيع؟

ثم تذكر وليد نقطة مهمة، فنبه أصدقاءه قائلا:

- مفيش كلمة تتقال في مكالمة، ولا حتى بينكم وبين بعض.. واضح؟

أصاب هاني قلق شديد من أسلوب وليد فقال خائفا وراجيا:

- أوعى يا وليد تكون ناوي تقتله؟!

- لا يا هاني.. لو قتلته أبقى ريحته.

ثم أكمل وليد حديثه شارحا:

- ولو حد فيكم عايزني ضروري، مش محتاج غير انه يقولّي: «وحشتنا يا وليد وعايزين نشوفك»، وأنا هكون عندكم في خلال 4 ساعات.. اتفقنا؟

ثم أشار بإصبعه تجاه كل واحد فيهم وأضاف قائلا:

- مفيش ولا كلمة تتقال لحد بره.. أظن واضح!

كرر الأصدقاء الثلاثة كلمة «واضح» بدون إضافة أي كلمة أخرى.

أكمل وليد حديثه:

- أنا مش هاقدر أفضل في المنيا 3 أسابيع على بعض، أكيد أسبوع ولا 10 أيام وهاجي أشوف وصلتوا لإيه وارجع تاني.

ثم وجه حديثه إلى إسماعيل قائلا:

- أنا عايز 7 موبايلات بـ 7 نمر.. تنزل شارع عبد العزيز وتجيبهم النهارده.. واحد هيفضل معاكم وواحد معايا و5 للرجالة بتوعي.

قاطعه عمرو معقبا:

- بقر من غير صاحب يا سمعة.

نظر إسماعيل إلى عمرو ساخرًا:

- لا والله!

- معاك فلوس؟

- آه معايا.

- موبايلات مستعملة ورخيصة.

- أكيد طبعا.

- وأنا هديلك الفلوس بكره الصبح.

استغرقت هذه الجلسة ما يقرب من ثلاث ساعات، شرب خلالها الأصدقاء «طقم شاي» واحد كما أسماه إسماعيل الذي اعترف فجأة بأنه فقد السيطرة على تفكيره من شدة الجوع. وافقه الجميع على ذلك وخاصة عمرو الذي أصر على دعوة الجميع على الغداء في نادي اليخت بكورنيش المعادي.

ارتاح وليد نفسيا بعد أن أسند إلى أصدقائه هذا الكم الهائل من الأعمال، واطمأن كثيرا بعد أن وعدوه أيضا بتنفيذ كل ما يريده بالحرف الواحد وفي الوقت الذي تم تحديده.

عاد الأصدقاء الثلاثة مساءً إلى جزيرة الروضة بعد يوم طويل، كل منهم إلى عالمه ومنزله وهو يفكر فيما حدث لعائلة صديقهم، أما وليد فقاد سيارته من جزيرة الروضة متجها إلى مدينة نصر لمقابلة هشام، صديق عزيز، وزميل دفعة، قضيا سنوات الكلية معًا، واستمرت العلاقة حتى بعد التخرج وانضمام كل منهما لقطاع مختلف. النقيب هشام، تم تعيينه في أمن الدولة، وعمل بجنوب سيناء لسنوات عديدة إلى أن عاد واستقر في المركز الرئيسي للقطاع. تقابل الصديقان في مقهى بمدينة نصر.. جلسا معًا وتحدثا عن ذكريات أيام الكلية الجميلة ثم تطرق هشام إلى أخبار حياته العائلية والعملية إلى أن قال سائلا:

- ها يا وليد، قلتلي انك عايزني في موضوع مهم.. خير؟

حكى وليد لصديقه ملخصًا مفيدًا لما حدث لزوجته وأخيه، ثم أضاف قائلا:

- أنا عايز منك حاجتين.

تأثر هشام كثيرا بما سمعه فأجاب مؤكدا:

- اللي انت تؤمر بيه يا وليد.

- عايز ملف خدمة شريف اللي عندكم، وعايز كمان أسماء وبيانات كل ظباط، وأمناء، وعساكر قسم محطة الجيزة.

تنهد هشام ثم أجاب معقبا:

- مفيش مشكلة في بيانات المحطة، يبقوا عندك بكرة، بس ملف شريف ده هيحتاج مني شوية وقت.

- خد وقتك.

- أنا فهمت، إنت ناوي تنخرب وراه.

- بالظبط كده.

- بسيطة جدا.

ثم سأله هشام السؤال المعتاد والمتكرر:

- وبعد ما تنخرب وراه، عرفت هاتعمل إيه؟

- لسه مش متأكد، لما اشوف الملف بتاعه هاقرر واقولك على طول.

ثم أضاف وليد شاكرا:

- أنا مش عارف أشكرك ازاي يا هشام.

- ولا أي حاجة.. إنت طبعًا فاهم ان لو أخويا طلب مني الكلام ده...

قاطعه وليد قائلا:

- من غير ما تقول، أنا عارف والله.

- لولا إني واثق فيك زي ما انا واثق في نفسي ماكنتش وافقت ولا حتى فكرت..

اتفق الصديقان في نهاية اللقاء على تسليم وليد في صباح الغد أسماء وبيانات كل ضباط وأمناء قسم محطة الجيزة، ثم وعد هشام صديقه بالوصول إلى ملف شريف في خلال أسبوع على الأكثر.. شكر وليد صديقه بامتنان شديد ثم أقسم له بأن ما دار بينهما سيظل فيما بينهما، وأن ذلك الجميل سيبقى في عنقه إلى الأبد، فقاطعه هشام معاتبا:

- عيب يا وليد ما تقولش كده.. احنا اخوات.. إخوات بجد.

كانت مها تجلس في المنزل انتظارًا لعودة وليد، لم تكن سعيدة بسفره.. وجوده بجانبها طمأنها وحنانه احتوى بعضًا من آلامها، حتى أنها قالت له ولأول مرة:

- ممكن يا وليد تاخد أجازة وما تسافرش.

ابتسم وليد ثم حضنها وقبل يدها وأجاب قائلا:

- أنا ناوي ارجع كل أسبوع.. ولو عايزاني أرجع يوم في النص كمان هارجعلك..

ثم أضاف بحنانٍ ودفءٍ:

- على قد اللي حصل ده ما كان وحش أوي، على قد ماعرفني أنا أد إيه بحبك..

وفي صباح اليوم التالي، وبعد أن ساعدت مها زوجها في تحضير حقيبة سفره، قال لها:

- أنا عايز الـ 10 آلاف جنيه اللي انتي شايلاهم.

اعتاد وليد وزوجته منذ زمن ترك مبلغ عشرة آلاف جنيه في مكان آمن تحسبا لأي ظرف طارئ. كانت هذه أول مرة يطلب فيها وليد هذا المبلغ، زاد ذلك من فضول زوجته فقالت سائلة:

- عايزهم في إيه؟

- مراتي التانية مزنوقة في قرشين.

استمرت مها في ضرب زوجها على كتفه ثم عقبت غاضبة:

- قولتلك أنا مبحبش الهزار ده..

- خلاص، خلاص، مش هاهزر تاني.

- ها.. عايزهم ليه؟

- فيه شغلانه كده في المنيا.. ادعيلي بس ربنا يسهل وتمشي.

- ربنا معاك.

وقبل السفر إلى المنيا ذهب وليد للقاء صديقه هشام أمام هيئة النقل والكباري التي تقع على بُعد خطوات من مقر أمن الدولة.. اقترح وليد وحدد المكان بعد أن رفض تسلُّم ما طلبه من صديقه في المقر قائلا:

- خلينا بعيد.. الاحتياط واجب برضه.

أعطى هشام لصديقه بيانات المحطة في ظرف كبير، ثم فاجأه بخبر سعيد قائلا:

- ملف شريف بالكامل هيبقى عندك كمان كام يوم.

ابتسم وليد من قلبه ثم حضن صديقه شاكرا:

- أنا مش عارف اقولك ايه يا هشام، طول عمرك راجل.

***

استمرت بيري في الاتصال بشريف على مدار الأسبوع من هاتف والدها الذي يتمتع بخاصية عدم إظهار رقم الطالب.. في خلال هذه المدة رسمت بيري ورنا الخطوط العريضة لنهاية الخطة التي وضعتاها، أما شريف فكان يعيش في أحلام القطامية مستعدا ومنتظرا عودة زوجته من أمريكا بفارغ الصبر للانتهاء من لمسات الديكور النهائية والانتقال إلى سكن ومتجمع المجتمع الراقي.

وفي صباح يوم الثلاثاء، ومنذ لحظة وصول شريف إلى عمله بالجيزة، ذهبت بيري ومعها رنا وأربعة من رجال أمن شركات المحفوظ إلى منزلها بالمعادي.. انتظر رجال الأمن أمام البناية، بينما تحركت بيري ورنا بسرعة إلى داخل غرفتها، وبعد دقائق معدودة كانت أمامهما جميع أغراض شريف، ملابس ومقتنيات ملأت فراش الغرفة.. أمسكت كل منهما مقصًا كبيرًا في يدها، وبدأتا الاستمتاع بتمزيق كل قطعة وقعت في أيديهما، إلى أن قالت بيري فجأة لصديقتها:

- لأ احنا غلطانين، إحنا نقطع شوية وناخد شوية نفرقهم على جرع الأمن اللي تحت..

- صح، عندك حق..

- بس هو عنده كام حاجة كده بيحبها، لازم يشوفهم متقطعين..

وبعد فاصل من الاختيار أخرجت يسري أيضا ثلاث بدل شرطة من دولاب آخر ثم قالت بعصبية:

- دول مش هاقطعهم، دول هاحرقهم.

ضحكت رنا وأجابت قائلة:

- ده انتي طلعتي جبارة.

جرت يسري إلى خارج الغرفة وعادت بعد ثوانٍ وفي يدها مكواة ثم قالت بحماس:

- تخيلي ان دي أول مرة أكوي في حياتي.

- اسمها أول مرة أحرق في حياتي.

دقائق وارتفع دخان كثيف في أرجاء الغرفة من بِدَل شريف الميري التي اشتراها منذ أقل من ستة شهور، حتى صاحت رنا معاتبة:

- خلاص يا يري، الدخان ملا الأوضة، هتتخنق كده.

اعتذرت يسري لصديقتها، ثم فتحت الشباك قبل أن تذهب للرد على الانتركوم الذي ارتفع صوته داخل الشقة..

أجابت بيري فقال عم عرفان الحارس:

ـ الأستاذ صابر من شركة تراست المصرية بيسأل على حضرتك.

ـ خليه يتفضل..

سألت رنا صديقتها:

- مين يا بيري؟

- الراجل بتاع الخزنة، جه قبل ميعاده بـ10 دقايق، أصل قولتله لو جيت في ميعادك هديك 100 جنيه مكافأة.

أعطت بيري مندوب شركة تراست مفتاح الخزنة الإضافي، والتي كانت تعلم جيدا أين يضعه شريف ثم قالت له:

- مش عارفه ازاي النمرة طارت من مخي.

- مفيش مشكلة حضرتك، بس هو فيه ريحة حاجة بتحرق.

ابتسمت رنا وأجابت بثقة:

- أصل احنا سيبنا المكوة على بدل الشرطة.

ضحكت بيري، فقال صابر مندهشا:

- مش فاهم.

قاطعته بيري، وأجابت بنبرة جادة:

- هي بتهزر.. بتاخد وقت أد إيه علشان تفتح الخزنة؟

- مش أكتر من 5 دقايق.. هي فين الخزنة حضرتك ؟

وقفت بيري ورنا تتابعان صابر وهو يحاول فتح الخزنة باستخدام جهاز تقني عالي الجودة، وبعد أقل من خمس دقائق كان الثلاثة أمام خزنة مليئة بالأموال والأوراق الخاصة.. أدار صابر وجهه عن الخزنة وكأنه لم يرما بها من أموال ثم قال لبيري:

- ممكن حضرتك دلوقتي تختاري 4 أرقام جديدة، بس ياريت يبقوا تاريخ ميلاد، رقمين مكررين علشان ما تنسيهومش تاني..

تحركت بيري إلى الخزنة، أدخلت أربعة أرقام تستخدمهما دائما، تأكدت مرتين من غلق وفتح الخزنة، ثم مدت يدها إلى داخل الخزنة وأخرجت «رزمة» مغلفة من أحد البنوك بمبلغ عشرين ألف جنيه ثم سألت صابر:

- إنت عندك أولاد؟

ابتسم صابر في سعادة وأجاب قائلا:

- أيوه يا فندم، إحنا لسه جايبين (فرح) من أسبوعين..

مدت بيري يدها وأعطت صابر عشرين ألف جنيه وعلى وجهها ابتسامة جميلة:

- ألف مبروك.. دول بقى بتوع فرح.

مد صابر يده وأخذ المبلغ وهو في حالة ذهول من كرم بيري التي سألته باهتمام:

- حساب الشركة كام؟

- حساب إيه بس؟! خلاص يا فندم.

- لأ مش خلاص، دول بتوع فرح، والشركة حسابها لوحدها..

بالفعل أعطت بيري حساب الشركة بالإضافة إلى المئة جنيه التي تم الاتفاق عليها سابقا. أخذ صابر الأموال ثم استمر في سرد الدعوات من أعماق قلبه:

- ربنا يبارك فيكي يا أستاذه، ربنا يكرمك.. مش عارف ادعيلك بإيه؟

بعد أن رحل صابر اتصلت بيري برجال الأمن الأربعة والذين وقفوا أمامها في انتظار التعليمات، ثم فاجأتهم بعشرين ألف جنيه لكل واحد منهم قائلة:

- أنا مش عايزة أي حد يعرف بالفلوس دي، اتفقنا؟

توالت التأكيدات على بيري من رجال أمن المحفوظ، الذين دعوا لها ولوالدها بالبركة والستر والصحة، ثم سألتهم بيري التي أمسكت في يدها علبة مفاتيح جديدة:

- مين فيكم اللي هيركب الكالون ده؟

قال أحد رجال الأمن بحماس:

- أنا يا أستاذة.

أضافت رنا:

- ودول أكياس لبس، قسموها بينكم وبين بعض.

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر ارتفع رنين هاتف يسري التي أجابت وطمأنت والدها قائلة:

- خلاص يا بابي، ربع ساعة بالكتير وهانمشي.

- طيب انتي كويسة؟

- آه، أنا كويسة جدا.. حضرتك متقلقش عليا خالص..

وقبل أن ترحل وضعت يسري كل الأموال التي وجدتها بالخزنة في حقيبتها الرياضية، ثم أغلقت باب الشقة بالمفتاح الجديد ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت خمس رزم بإجمالي مبلغ مائة ألف جنيه وأعطتهما لحارس البناية الذي كان يقف بجانبها ثم قالت له:

- فيه 2 أمن الصبح، و 2 أمن بالليل.. كل واحد فيهم تديله 20 ألف جنيه، و20 ليك انت كمان يا عم عرفان.

أجاب الحارس في ذهول وسعادة بالغة:

- حاضر يا ست هانم، ربنا يباركلنا فيكي..

وقبل الساعة الثانية ظهرًا انطلقت الصديقتان من جراج البناية، عقّبت رنا ضاحكة:

- عمالة تفرقي الفلوس و لا الـ«Monopoly»، ويعدين هو أنا مليش نفس آخد انا كمان ولا إيه؟

- عندك الشنطة مليانة على آخرها، خدي اللي انتي عايزاه..

- لا، أنا بهزر يا عبيطة.. فلوس إيه اللي أنا هاخدها؟! وبعدين فيه حاجة، هو ازاي يسيب كل الفلوس دي في الخزنة؟!

- أكيد الفلوس دي غلط، الفلوس السليمة بتتحط في البنك.

ثم تذكرت بيري حساب العملية فسألت باهتمام:

- آه صحيح، هو انتي مش ليكي عندي فلوس؟

- لا.. أنا أصلا مادفعتش غير 30 ألف وفاضل معايا 20، هاشوف فاضل علينا كام وارجعلك الباقي.

ثم تنبهت رنا للطريق التي سلكته بيري فسألت:

- هو مش احنا راجعين القطامية؟ إيه اللي موديها من هنا؟

- هانروح مكان الأول..

- فين؟

أثناء حديثهما استقبلت رنا اتصالا من صديقهما مازن يعلن فيه عن وصول خمس كاميرات، وأُصص زرع ولوحات، أي كل ما تم استخدامه في مراقبة شريف إلى ڤيلا المحفوظ بالقطامية. سألته رنا عن إجمالي تكلفة ما قام به من أعمال فأجاب مازن بأمانة:

- إنتي ليكي عندي 3 آلاف و400 جنيه.

- فعلا؟! ده أنا كنت فاكره ان إنت اللي ليك عندي فلوس.

عرض مازن أيضا على صديقته استعداد شركته لتركيب هذه الكاميرات في أي مكان.. شكرت رنا صديقها دون أن تذكر اسمه، ثم اتفقت معه على زيارته قريبًا لتسلُّم باقي المبلغ.. أنهت رنا المكالمة وقالت لصديقتها:

- هيرجعلك 3 آلاف و400 جنيه، وكمان بقى عندك 5 كاميرات مراقبة جداد لانج.

- هايل، هاركبهم بقى في البيت الجديد.

- هو مين يا رنا اللي عملْنا القصة دي؟

- واحد صاحبي من زمان، بس جدع أوي.

- اسمه إيه؟

- محمد.. محمد يونس.

- ماعرفوش.. طيب إيه رأيك نجيبله هدية حلوة.

- تصدقي ان أنا كنت لسه بفكر في الموضوع ده!

***

في الساعة الرابعة وعشرين دقيقة عصرًا، اتجه شريف من محطة الجيزة عائدا إلى المعادي مرتديًا البدلة الميري.. دخل كعادته بسيارته إلى الجراج دون أن يلقي التحية على الحارس الذي كان يقف في انتظاره.. أوقف شريف سيارته في مكانه المعتاد ثم خرج من الجراج متجهًا إلى داخل البناية.. لفت انتباهه وجود رجال أمن كثيرين أمام مدخل العمارة، وعندما اقترب منهم قال له الحارس:

- يا شريف بيه.. المدام بتبلغ سعادتك ان حاجاتك على العربية الربع نقل دي..

لم يستوعب شريف ما قاله الحارس، إنما نظر إلى السيارة التي أشار إليها عم عرفان، ثم سأله مندهشا:

- مدام مين؟

- المدام كانت هنا من شوية، وقالتلي ابلغ سعادتك الموضوع ده..

كل المعلومات لدى شريف أن زوجته مازالت في أمريكا، وأن موعد وصولها لم يتحدد بعد.. أعاد شريف السؤال مرة أخرى باستغراب:

- إنت متأكد يا عرفان؟

- أه متأكد، وغيرت كالون باب الشقة كمان.

- كالون باب الشقة؟!

أخذ شريف المعلومة الأخيرة ثم نظر إلى مدخل البناية فرأى رجال الأمن مصطفين كتفا إلى كتف في مظهر يوحي بعدم السماح لأحد بدخول البناية اقترب سائق السيارة الربع نقل من شريف الذي وقف حائرا ومرتبكا، وقال سائلا:

- هو يا باشا الحاجات اللي على العربية رايحة فين؟

نظر شريف إلى السائق وأجاب صارخا:

- حاجات إيه يا زفت انت؟!

- ليه بس يا باشا الغلط، ده انا مستني سعادتك بقالي أكثر من ساعتين..

وعلى كابينة سيارة ربع نقل وجد شريف أكثر من عشرين كيس قمامة أسود.. فتح أحدها فوجد بعضًا من ملابسه ممزقة. كاد شريف يجن وهو يفتح كيسًا تلو الآخر، بينما وقف الحارس والسائق ورجال الأمن يتابعونه في سكون وكأنهم يشاهدون مشهدًا من فيلم سينمائي مثير.. مشى شريف ذهابا وإيابا على الرصيف في خطوات بلا هدف وهو ينظر في هاتفه، اتصل بزوجته التي رفضت استقبال المكالمة.. حاول شريف محاولة أخرى فوجد نفس رد الفعل، أما بيري فقالت لرنا:

- دلوقتي هايبعت «Please call me».. عبيط.

وبعد أقل من دقيقة واحدة، ضحكت رنا بعد أن سمعت رنين استقبال الرسالة، فعقبت قائلة:

- يعني انتي تعملي كل ده وبعدين بتوقع انك لسه هتردي عليه؟! ده بجد عبيط.

وقف شريف لمدة دقيقة في حيرة وغضب إلى أن أخذ قرار الاتصال براغب المحفوظ الذي أجابه بمنتهى الهدوء قائلا:

- أيوه يا شريف.

- هي بيري في مصر؟

- يعني تفتكر مين اللي رمالك حاجتك في الشارع.

- حضرتك عارف اللي هي عملته؟

- طبعا عارف.

- أنا مش فاهم هو فيه إيه؟!

- بكرة تجيلي المكتب الساعة 3 علشان تفهم.

- هو أنا مش ممكن اقابل حضرتك دلوقتي؟

- لأ، أنا مش فاضي النهارده، وبكره ماتجيش قبل 3 ولا بعد 3..

انهى راغب المكالمة بعد هذه الجملة ودون أن ينطق كلمة «مع السلامة».. عاد شريف إلى الجراج وقاد سيارته مشيرا بيده إلى قائد الربع نقل بتتبعه إلى شارع اللاسلكي ومنه إلى المقطم.. بضع كيلو مترات ووقف شريف بسيارته، طلب من السائق وضع الأكياس في حقيبة السيارة وفي داخل الكابينة ثم انطلق تاركا السائق وهو يصرخ قائلا:

- يا باشا الحساب يا باشا؟! 3 ساعات في الشارع هايحاسبني عليهم صاحب العربية..

لم يسمع أو يهتم بما قاله السائق الذي وقف يسب ويلعن مكررا لمختلف الدعوات البلائية إلى أن اختفت سيارة الرائد من أمامه.

وفي الطريق إلى المقطم اتصل شريف بصديقه معتز، حكى له ما حدث من بيري ورد فعل والدها واللغة الحادة الذي تحدث بها معتبرا هذه المكالمة هي الأغرب بل الأسوأ والأعنف منذ أن تعرف عليه.. حاول الصديقان تفسير ما حدث حتى اتفقا على جملة واحدة: «أكيد في حد قالها حاجة، لكن مين، وقالها إيه، هو ده السؤال؟».

وصل شريف إلى المقطم وهو مازال يتحدث مع صديقه عن تلك المأساة إلى أن قاطع صديقه قائلا:

- فيه حاجة غريبة في القنبلة يا معتز، كل الحاجات الجديدة اللي في مدخل العمارة اختفت..

- يعني إيه؟ مش فاهم..

- الصور، الزرع، لا لأ، فيه حاجة غريبة بتحصل!

أنهى معتز المكالمة على وعد بالحضور سريعا، أما شريف فوقف في مدخل العمارة بائسا، تائها، وفاشلا في تفسير كل ما يحدث حوله، عمارة بلا أمن أو حارس.. دخل شريف إلى «القنبلة»، وجد كل شيء في مكانه فاطمأن للحظة بعد أن أصبح يتوقع أي شيء وكل شيء.. وقبل أن يجلس اتخذ قرار الاتصال بصاحب البناية الذي أجاب عن أسئلته قائلا:

- دي شركة إنتاج سينمائي، كانوا بيصوروا مشهد من فيلم في مدخل العمارة.. خلصوا النهارده الصبح وخدوا حاجتهم ومشيوا.

- اسمها إيه الشركة دي؟

- ستار فيلم.. دول ناس محترمين جدا.. هو فيه حاجة؟

- لا مفيش.. أنا قلت بس اطمن مش أكتر..

أنهى شريف المكالمة، وضع هاتفه أمامه قائلًا لنفسه: «ستار فيلم، طبعا مافيش الكلام ده».

أمضى شريف ليلة هي الأسوأ في حياته.. كاد يجن وهو يرى أمامه أفخر وأغلى ثيابه ممزقة في أكياس القمامة.. حاول معتز تهدئة صديقه الذي توعد زوجته قائلا:

- هي فاكره علشان هي بنت المحفوظ تقدر تقف قصادي.. أنا هافرجها، وهاخليها تندم على اليوم اللي لمست فيه هدومي.

- إهدا بس يا شريف لما نفهم فيه إيه..

- أنا هاخد منها البنات وهاخليها تحفا عليهم.. ماشي يا بيري، وحياة أمك لوريكي..

استمر شريف في سرد تهديداته أمام صديقه إلى أن قال له:

- يلا ننزل نشتريلك شوية لبس.

- أنا تحرق بدل الشغل بتاعتي.. لولا إنها أم بناتي لكنت ولعت فيها.. مش هي بس، هي وأمها وأبوها كمان..

لم ينم شريف في تلك الليلة، وفي اليوم التالي اعتذر عن عدم الذهاب إلى العمل. جلس في شقة المقطم يفكر ويضع سيناريوهات عديدة للقائه مع راغب المحفوظ.. لم يستطع شريف الانتظار حتى الثالثة عصرا، تحرك من المقطم الساعة الواحدة والنصف ووصل التجمع الساعة الثانية. انتظر في سيارته ما يقرب من ساعة حتى دخل إلى صرح المحفوظ الاستثماري.. عرّف شريف نفسه لمسئول الاستقبال الذي أرسل معه أحد رجال الأمن إلى مايسة مديرة مكتب راغب المحفوظ التي رحبت به كعادتها، ثم قادته إلى غرفة اجتماعات عملاقة قائلة:

- راغب بيه هايكون مع حضرتك حالا.

وقبل أن ترحل مايسة من الغرفة ضغطت على زر من ريموت أمسكي في يدها، فنزلت شاشة عملاقة يستخدمها الموظفون والعملاء لتقديم العروض في الاجتماعات.

خرجت مايسة، وبعد لحظات دخل راغب وهو يدخن السيجار وفي يده ملف به أوراق، وقبل أن ينطق شريف بالتحية قال المحفوظ بصوت أجش:

- أنا عمري ما كنت اتخيل انك واطي كده.

ارتبك شريف من هذا الهجوم الذي لم يتوقعه فقال مرتبكا:

- أنا؟! ليه بس حضرتك كده؟!

لم يرد راغب، إنما أمسك ريموت في يده وضغط على زر أخضر فظهر على الشاشة مدخل بناية شقة المقطم من الداخل إلى أن ظهر شريف ومعه إحدى البنات، فعقب راغب قائلا:

- 7 نسوان في الشهر اللي كانت بيري مسافره فيه.

ثم قذف في اتجاهه ملفًا كان يمسكه في يده، وأضاف غاضبا وبصوت مرتفع:

- مواعيد دخولك وخروجك وأيام بياتك في المقطم، ونمر كل النسوان اللي على موبايلك التاني.

لـم تمتد يد شـريف إلـى الملف، مرت لحظـات صمت إلـى أن اعتذر شريف بصوت واهن:

- أنا غلطان.. أنا آسف.

ارتفعت ضحكات راغب الذي نظر إليه باشمئزاز:

- آسـف.. حلوة بجد آسـف دي، هتسـمع اللي هاقوله وتتفذ بالحرف الواحد، أبوك هايشهد على الطلاق، المؤخر نص مليون جنيه يدّفعوا كاش، وماشـوفكش تقـرب مـن المكان اللـي بيري فيه، ولـو كلمتها أو قربتلهـا هاسجنك.. إنـت طبعـا عارف انـي ممكن اخلّي هاشـم يمسـحك مـن علـى وش الأرض، بس انـا هارحمك علشـان خاطر البنات الصغيرين.

تحـدث المحفوظ بلغة وأسـلوب لـم يكن شـريف يتخيلهمـا، وآخر ما توقعه هو هذا الكم الهائل من التهديد والإهانة.

التزم شريف الصمت أمام طلقات وكلمات راغب الذي أضاف قائلا:

- وتخلـي الحـاج بيومي يكلمني علشـان نخلص كل حاجـة.. واعمل حسـابك اني مش هارجع في ولا كلمة قولتها.

تماسك شريف وأجاب بلغة مرتبكة وصوت مرتعش:

- طيب أنا.. أنا حضرتك، ليه حاجات في البيت، أنا عايز...

قاطعه راغب الذي أخرج إيصالًا من جيبه وأعطاه له قائلا:

- آه صح.. ده بتاعك.

- راغب بيه هايكون مع حضرتك حالا.

وقبل أن ترحل مايسة من الغرفة ضغطت على زر من ريموت أمسكته في يدها، فنزلت شاشة عملاقة يستخدمها الموظفون والعملاء لتقديم العروض في الاجتماعات.

خرجت مايسة، وبعد لحظات دخل راغب وهو يدخن السيجار وفي يده ملف به أوراق، وقبل أن ينطق شريف بالتحية قال المحفوظ بصوت أجش:

- أنا عمري ما كنت اتخيل انك واطي كده.

ارتبك شريف من هذا الهجوم الذي لم يتوقعه فقال مرتبكا:

- أنا؟! ليه بس حضرتك كده؟!

لم يرد راغب، إنما أمسك ريموت في يده وضغط على زر أخضر فظهر على الشاشة مدخل بناية شقة المقطم من الداخل إلى أن ظهر شريف ومعه إحدى البنات، فعقب راغب قائلا:

- 7 نسوان في الشهر اللي كانت بيري مسافره فيه.

ثم قذف في اتجاهه ملفًا كان يمسكه في يده، وأضاف غاضبا وبصوت مرتفع:

- مواعيد دخولك وخروجك وأيام بياتك في المقطم، ونمر كل النسوان اللي على موبايلك التاني.

لـم تمتد يد شـريف إلـى الملفـ، مرت لحظـات صـمت إلـى أن اعتذر شريف بصوت واهن:

- أنا غلطان.. أنا آسف.

ارتفعت ضحكات راغب الذي نظر إليه باشمئزاز:

- آسـف.. حلوة بجد آسـف دي، هتسـمع اللي هاقوله وتتفذ بالحرف الواحد، أبوك هايشهد على الطلاق، المؤخر نص مليون جنيه يدّفعوا كاش، وماشـوفكش تقـرب مـن المكان اللـي بيري فيه، ولـو كلمتها أو قربتلهـا هاسـجنك.. إنـت طبعـا عارف انـي ممكن اخلّي هاشـم يمسـحك مـن علـى وش الأرض، بس انـا هارحمك علشـان خاطر البنات الصغيرين.

تحدث المحفوظ بلغة وأسلوب لم يكن شـريف يتخيلهمـا، وآخر ما توقعه هو هذا الكم الهائل من التهديد والإهانة.

التزم شريف الصمت أمام طلقات وكلمات راغب الذي أضاف قائلا:

- وتخلـي الحـاج بيومي يكلمني علشـان نخلص كل حاجـة.. واعمل حسـابك اني مش هارجع في ولا كلمة قولتها.

تماسك شريف وأجاب بلغة مرتبكة وصوت مرتعش:

- طيب أنا.. أنا حضرتك، ليه حاجات في البيت، أنا عايز...

قاطعه راغب الذي أخرج إيصالاً من جيبه وأعطاه له قائلا:

- آه صح.. ده بتاعك.

أمسك شريف إيصالاً بمبلغ ثلاثمئة واثنين وسبعين ألف جنيه تم التبرع به لصالح مستشفى 57357، قرأه ثم قال مذعورا:

- إيه ده؟!

أجاب راغب بمنتهى الهدوء:

- إن شاء الله هاتحط الفلوس دي كلها في ميزان حسناتك، وفيه شرية كمان فرقتهم بيري على ناس غلابة.

تقدم راغب نحو باب غرفة الاجتماعات وفتحه ثم قال بحزم:

- ما شوفش اسمك تاني على شاشة موبايلي، واضح؟!

ثم أشار إليه بيده إلى خارج الغرفة قائلا:

- اتفضل..

كاد شريف يسقط وهو يخطو مطرودا.. لم ينظر إلى راغب أو يرد بعد أن تجمدت كل حواسه، ثم انتبه للمحفوظ الذي قال بأعلى صوته:

- يا مايسة، حد من الأمن يفضل معاه لغاية لما يطلع بره.

أغلق راغب باب غرفة الاجتماعات بعنف شديد، أما شريف فهرول مسرعا إلى سيارته، وهو يشعر أنه يعيش في كابوس مدمر، موقف قاسي واليم، ولكنه استحقه عن جدارة.

***

الفصل السابع عشر 17

قاد وليد سيارته إلى المنيا، وصل إلى القطاع الساعة الواحدة وأربعين دقيقة.. أعطى حقيبة يده ومفتاح غرفته إلى العسكري خلف الذي أسعده كثيرًا عودة قائده من القاهرة. اتجه وليد مباشرة للقاء اللواء عبد الحميد الذي كان يجلس مع ضابطين من القطاع. انتظر وليد إلى أن انتهوا من حديثهم ثم ألقى كلمات التحية على رئيسه الذي قال له بدون أي مقدمات:

- رؤوف كلمني وحكالي اللي حصل، واضح ان الظابط بتاع المحطة ظبط ورقه كويس.

لم يرد وليد فأكمل عبد الحميد حديثه:

- أنا فاهم أد إيه الموقف وحش، وعارف كويس يعني إيه يبقى ليك حق ومش عارف تاخده.

- أنا اللي مزعلني يا فندم ان رؤوف بيه كان واثق من إنه هايجبلي حقي.

أجاب اللواء بصدق قائلا:

- اقولك بصراحة، رؤوف قالي ان الموضوع أكبر منه ومنك.

قاطعهما أحد ضباط القطاع، فأشار له عبد الحميد بيده بالانتظار قليلا فانصرف الضابط، فأضاف قائلا:

- على العموم أنا ناوي أعمل محاولة تانية بس لما انزل القاهرة، وربنا يسهل.

كان وليد يعي جيدًا أن مديره في القطاع متعاطف معه لأقصى درجة، وفي نفس الوقت كان على يقين تام أنه لا توجد محاولات ثانية، أو كما يقال: «مات الموضوع»..

تخلى وليد عن صمته وأجاب بمنتهى الدبلوماسية:

- أنا مش عايز اتعبك معايا يا فندم.

- مافيش تعب ولا حاجة، بس المشكلة..

قاطع رنين هاتف اللواء حديثه، نظر إلى الشاشة وعقب قائلا:

- ده يحيى.

أجاب عبد الحميد على اتصال ابنه، أبلغه بجلوس وليد معه.. أرسل يحيى تحياته لوليد، ثم طلب منه والده الاتصال به مرة أخرى بعد ساعة ثم أكمل حديثه قائلا:

- دي تالت مكالمة النهارده.

حكى عبد الحميد عن سعادة واقتناع مدير يحيى بأدائه، واعدا بتعيينه مدير منطقة في حالة حفاظه واستمراره على نفس أداء الشهر الماضي، وبالطبع براتب أفضل وحوافز أعلى، وبطريقة غير مباشرة اعترف عبد الحميد بصواب الاقتراح الذي أعطاه وليد لابنه منذ شهور، ثم أعلن اللواء عن سر هذه المكالمات المتتالية قائلا:

ـ القصة الجديدة انه عايز يخطب واحدة زميلته في البنك.

ـ ده خبر جميل يا فندم.

ـ بس هو ما يعرفهاش كويس، هو كده بقاله أد إيه في البنك؟

ـ ده تالت شهر يا فندم.

ثم فاجأه عبد الحميد قائلا:

ـ أنا عايزك تفهم إيه الموضوع، والبنت دي حكايتها إيه، أنا بصراحة مش هاطمن غير لو انت طمنتني.

انصرف وليد سعيدًا بثقة عبد الحميد وفي نفس الوقت مقتنعا بأن الحل القانوني لمشكلته أصبح منتهيًا.. في حقيقة الأمر توقع وليد ما حدث ومع ذلك بات حزينًا مع هذا الإحساس المؤسف وغير المنصف.

عاد وليد إلى غرفته فوجد مغازي في انتظاره فسأله:

- انت مش في التدريب ليه؟

أشار مغازي إلى قدمه اليسرى وأجاب قائلا:

- أنا رِجعت امبارح سعادتك، والدكتور جلّي جزع في الأربطة، ومحتاج راحة كام يوم.

- إزاي حصلك كده؟

- في القفز يا باشا، لامؤاخذة رجلي اتلوت.

- طب مارؤحتش ليه؟

- أروّح اصمل إيه يا باشا، على الأجل هنا فيه ونس.

ابتسم وليد لإجابة مغازي، ثم سأله عن أحوال القطاع بصفة عامة والسرية بصفة خاصة، ثم طلب منه إبلاغ الضابطين خالد وإسلام والشاويش شاكر والأمين نبيل بانتظاره لهم في غرفته فور الانتهاء من التدريب. رحل مغازي إلى أرض التدريبات، أما وليد فجلس على فراشه وفي يده أسماء وبيانات ضباط وأمناء محطة الجيزة، بداية من مأمور المحطة ونهاية بآخر مجند تم توزيعه هناك.. بعد قليل كان خالد وإسلام وشاكر ونبيل ومغازي أمام وليد في غرفته، وبعد فاصل من السلام والترحاب بعودته، قال وليد لمغازي:

- سيبنا شوية، وروح ريح انت.

- طب ممكن سعادتك أجهز دور شاي وامشي؟

- ماشي يا مغازي.

بعد أن رحل مغازي، دخل وليد في الحديث مباشرة قائلا:

- أنا في مشكلة وعايز اخد رأيكم فيها.

سأله شاكر منزعجًا:

- مشكلة إيه يا باشا كفالله الشر؟

حكى وليد تفاصيل ما حدث لعائلته بداية من حادث المحطة، ونهاية برد فعل التفتيش وموقف وزير الداخلية. انفعل نبيل قائلا بحماس:

- إحنا نخلصك منه يا باشا، العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم.

اعترض خالد بشدة:

-ماينفعش اللي انت بتقوله ده يا نبيل.

استمر نبيل في الدفاع عن وجهة نظره أمام خالد وإسلام وشاكر الذين رفضوا بإصرار، إلى أن قاطعهم وليد قائلا:

- عندهم حق يا نبيل.. اصبر وأنا هافهمكو بفكر في إيه وليه.

تحدث وليد بنبذة سريعة عما يدور في ذهنه، ثم طلب منهم إعطاءه بعض الوقت لتحديد موقفه النهائي، ثم تحدث وليد باستفاضة عن فكرة تغيير أفراد السرية، الاستغناء عن البعض لسرايا أخرى، وضم عناصر جديدة من مجموعات آخرى.. أفراد أصحاب كفاءة وأرادوا الانضمام للسرية من قبل، أو لهم صلة بهم وارتباط شخصي، أي علاقات تتسم بالولاء والانتماء والثقة، إضافة إلى تميزهم بالقوة. في نهاية الحديث أعلن وليد عن ذهابه لأخذ موافقة رئيس القطاع قبل البدء في اتخاذ تلك الإجراءات.

عاد وليد إلى اللواء عبد الحميد مرة أخرى سائلا:

- بعد إذنك يا فندم عايز اجدد دم المجاميع، أستغنى عن عساكر وأضم عساكر جديدة.

وافق عبد الحميد وبارك الفكرة قائلا:

- أنا عندي ثقة فيك يا وليد واللي انت شايفه اعمله، وده تفويض مباشر مني، المهم عندي انك تحافظ على مستوى السرية بتاعتك.

- أكيد يا فندم.

وفي غرفة وليد بدأ الشاويش شاكر الذي أمضى أكثر من ثماني سنوات بالقطاع، بترشيح كفاءات عالية.. أضاف إسلام عسكريين اثنين أحدهما كان معه في قطاع الأمن المركزي بالمكس، ورآه صدفة في القطاع منذ أيام، والثاني صاحب بنيان قوي، وأشاد بأدائه في إحدى المأموريات قائلا:

- الواد محسب ده تور، وقلبه ميت.

وبعد عودة وليد إلى غرفته وإعلان موافقة اللواء عبد الحميد، بدأوا في كتابة أسماء العساكر الجديدة، وفي نفس الوقت اتفقوا أيضا على الاستغناء عن عساكر بالرغم من كفاءتهم، لكل منهم سابقة تعطي جرس إنذار بالحذر.. وبعد تحديد الأسماء بإمعان شديد، حاول نبيل معرفة ما يدور في ذهن وليد الذي رفض قائلا:

- اصبر يا نبيل، إحنا لسه هانتكلم كتير في الموضوع ده.

انصرف شاكر لكتابة المذكرة لاعتمادها من اللواء عبد الحميد، أما خالد ونبيل فجلسا في غرفة إسلام وهما يحاولان التنبؤ بما يدور في فكر وليد الذي أمسك هاتف غرفته الداخلي واتصل بحمزة، أحد أمناء المخازن في القطاع قائلا:

- عايزك تجهزلي 20 صاعق و7 لاسلكي.

- موتورولا ولا توشيبا سعادتك؟

- لا هاتهم من الأجهزة الجديدة الصغيرة.

- هسلّمهم لمين يا باشا؟

- مش لحد دول مش طالعين مأمورية، دول للتدريب، ومتقيدش حاجة في الدفاتر، أنا هتصرف.

- تحت أمرك يا باشا.

ثم انتبه وليد لصوت مغازي بجانبه فأضاف سائلا:

- ده مغازي اللي جنبك ده؟

- أيوه يا باشا.

- طيب خليه يجيلي بالحاجة بسرعة.

- أوامرك يا باشا.

مغازي، عسكري مميز ومحبوب من زملائه، انضم إلى القطاع منذ عامين، يحب وليد ويحترمه، شاركا معًا في أكثر من حملة ومهمة، وفي مواقف عديدة أثبت ذكاءه، وشجاعته، وولاءه.

دخل مغازي إلى غرفة قائده وهو يحمل كرتونة:

- أحط الحاجة دي فين يا باشا؟

أشار وليد إلى جانب الفراش وهو ممسك بالشاي قائلا:

- عندك هنا.

ثم سأله وليد:

- بتاخد سكر أد إيه؟

- العفو يا باشا.

- يابني قول وخلصني؟

- 5 معاليج يا باشا.

أجاب وليد ضاحكا:

- طيب ما تاكل عـملية أحسن.

في بداية الحديث اعترف وليد لمغازي بمدى ثقته فيه، فأجاب العسكري بصدق:

- ربنا يعلم يا باشا معزتك عندي أد إيه.. إنت سعادتك تؤمرني بأي حاجة ومالكش دعوة.

حكى وليد ملخصًا مفيدًا عن حادثة المحطة، فعقب مغازي قائلا:

- إحنا يا باشا نعيهولك في شوال، ونجيهولك لامؤاخذة لحد رجل سعادتك.

- لأ يا مغازي، مش هو ده اللي انا عايزه.

- أمال سعادتك عايز إيه؟! أؤمرني يا باشا.

شرح وليد كل تفاصيل مهمة مغازي الذي استمع بمنتهى الاهتمام والتركيز، ثم أعطاه مبلغ ألفي جنيه وهاتفًا محمولًا قائلا:

- اعمل حسابك تتحرك بكره أو بعد بكره بالكتير.

- خلاص يا باشا.. بكّره بإذن الله هاكون في مصر..

وللمرة الثانية طلب وليد من مغازي إعادة كل الخطوات والأهداف التي حددها له ثم أضاف قائلا:

- ولو فيه أي حاجة هتكلمني على الرقم اللي سجلتهولك على المحمول الجديد ومش على رقمي.. واضح؟

- واضح يا باشا.

ثم أكد وليد على مغازي عدم إعطاء هذا الرقم لأحد غير أصدقائه، ثم أضاف قائلا:

- روح هاتلي تصريح أجازة مرضية بسرعة.

- حاضر يا باشا.

في مساء هذه الليلة اعتمد وليد ضم عساكر جدد إلى سريته من اللواء عبد الحميد واعدا قائده ببذل أقصى جهد للارتقاء بمستواهم والحفاظ على التفوق والنجاح الذي حققه على مدار الأعوام السابقة..

في نفس الليلة أيضا اجتمع وليد مرة أخرى مع الرجال، أعطى لشاكر تعليماته بتنظيم إقامة المجموعة الجديدة في عنبر واحد مهتما بضرورة التعايش، بداية من النوم وساعات الراحة، حتى تناول الطعام من صحن واحد.. كان وليد يعي أيضا أهمية الاندماج والتوافق بينهم، واحتواء مشاكلهم، وتهيئتهم نفسيا والوصول بهم إلى أعلى نقطة وئام.. وأخيرا، والأصعب، هو غرس لغة الحرص والحماية لبعضهم البعض، وخلق إحساس الفداء والتضحية في سبيل الحفاظ على أمن وسلامة كل زميل في المجموعة..

رحل شاكر لإبلاغ الأفراد بالتعديلات الجديدة، والبدء في تنفيذ التعليمات التي أملاها عليه قائده.. تحدث وليد بعد ذلك مع خالد وإسلام

عن خطة تدريبات الفترة القادمة.. مهتما بوضع برنامج تدريبي خاص لرفع اللياقة البدنية، والتركيز على كفاءة التعامل بالأيدي، حتى أنه أعطى في الجدول ساعات كثيرة لطوابير الاشتباك، والكاراتيه والملاكمة.. اشتمل البرنامج أيضا على تدريبات موانع كالزحف والتسلق والقفز ثم أنهى حديثه قائلا بحسم ووضوح:

- مش عايز أي تدريبات سلاح.. اتفقنا؟

***

وفي جزيرة الروضة استيقظ إسماعيل مبكرا كعادته استعدادًا للذهاب إلى عمله، تناول الإفطار سريعا ثم نزل من البناية ليستقل سيارته.. فتح باب السيارة فاقترب منه رجل قائلا:

- إزيك يا أستاذ إسماعيل، مغازي سعادتك.

كان مغازي ينتظر إسماعيل منذ الساعة السادسة والنصف صباحا، وقف قريبا من منزله وتعرف على السيارة بعد أن أعطاه وليد رقم لوحتيها.. حياه إسماعيل بحرارة قائلا:

- اركب يا مغازي.. ماكنتش اعرف انك هاتيجي بدري كده.

انطلقت سيارة إسماعيل إلى شارع خوفو المتفرع من شارع ربيع الجيزي بالجيزة، منطقة حيوية ومزدحمة ومليئة بالأبنية، والمحلات، وبها أيضا مدرسة خوفو الإعدادية بنات ومدرسة أبو الهول الإعدادية بنين. استأجر إسماعيل في هذا الشارع شقة مفروشة، ثلاث غرف نوم في بناية

قديمة ذات أسقف عالية، تقع على مسافة دقائق سيرا من محطة الجيزة..

محمد إسماعيل مع مغازي إلى الشقة، ثم أعطاه المفتاح قائلا:

- هاعدي عليك أنا وعمرو كل يوم على الساعة 10 بالليل..

- تنوروني يا باشوات.

وفي صباح نفس اليوم، ولليوم الثاني على التوالي ذهب هاني إلى محطة الجيزة.. دخل مكتسبا مزيدا من الثقة بعد أن أصابه شعور بالقلق والتوتر في أول زيارة للمكان.. مشى على الرصيف بهدوء، وبحرص شديد أخرج الكاميرا من جيبه، التقط أول صورة لمدخل المحطة من الداخل، ثم تجول على مدار ساعة كاملة أو أكثر داخل المحطة.. استخدم خطواته في تحديد المساحات وخبرته في رصد الارتفاعات..

وعلى الرصيف الآخر من المحطة ومن مواقع مختلفة استمرت الكاميرا في التقاط عشرات الصور إلى أن اكتفى هاني ورحل ذاهبا إلى عمله بالمتجمع السكني في الطريق الصحراوي.. بالرغم من انشغال هاني والتزاماته كمدير للمشروع إلا أنه وضع كل تفكيره وتركيزه في محطة الجيزة.. دخل إلى مكتبه، أوصل الكاميرا إلى اللاب توب لتحميل الصور، ثم بدأ في تفريغ الأرقام التي كتبها على أوراق صغيرة وهو يصول ويجول في المكان.. وباحتراف وخبرة تطابقت الصور والأرقام مع الرؤية واللوحة التي رسمها وحفرها هاني في خياله، حتى أنه تمنى العودة سريعا إلى منزله لوضع أول خط هندسي كروكي في رسم تلك المحطة..

وفي منتصف هذا اليوم وأمام المحطة تجول عم دسوقي «بصينية» الشاي كعادته، وعندما عاد إلى كشكه الصغير وجد مغازي واقفا في انتظاره، فحياه سائلا:

- سكرك إيه يا بني؟

- زيادة يا عم دسوجي.

لفت انتباه دسوقي أن الشاب يعرف اسمه، نظر إليه محاولاً التعرف عليه، فأضاف مغازي قائلا:

- إنت ما تعرفنيش يا عم دسوجي، بس أنا اعرفك كويس..

ابتسم الرجل الطيب وقال سائلا وهو يعطيه كوب الشاي:

- إنت مين يا بني؟ وتعرفني منين؟

- أنا حسنين، وجايلك من طرف الأستاذ طارج اللي خد منك المحمول اللي وجع في الخناجه.. فاكره يا عم دسوجي؟

- طبعا فاكره، بس ماكانش اسمه طارق.

أصر مغازي على الاسم وقال مؤكدا:

- لأ اسمه طارج، وبالأمارة كمان بيجولك الشاي اللي أنا بشربه حسابه عليك يا عم دسوجي.

ضحك عم دسوقي وقال داعيا:

- ده راجل كريم، ربنا يكرمه.

ثم أخرج مغازي ظرفين من جيبه وأعطاهما لدسوقي قائلا:

- هو باعتلك الظرفين دول، بس بيجولك ماتفتحهمش غير لما أمشي.

اندهش دسوقي من الطلب الغريب، لكنه أخذ الظرفين ووضعهما في جيبه قائلا:

- خلاص، نسمع كلامه.

بعد ذلك تحدث مغازي أو حسنين - كما أطلق على نفسه - عن سبب حضوره إلى المحطة. اخترع قصة وصوله من سوهاج وإقامته بيشتيل عند أقارب له، ثم طلب من دسوقي مساعدته ومساندته في السماح له بالتجول في داخل وخارج محطة الجيزة لبيع البسكويت، والشيكولاتة، والمناديل من على درج صغير يحمله على كتفه، ثم أنهى حديثه بأن معه في محفظته مبلغ ستمئة جنيه كبداية للمشروع. بمنتهى الشهامة طمأن دسوقي المغترب بعد أن وعد باحتضانه في المنطقة قائلا:

- أنا هاقول لكل الناس انك بلدياتي، وما تقلقش من أيتوها حاجة.. وشوف عايز تبتدي إمتى ونتوكل على الله..

- كان عنده حق الأستاذ طارق لما جال إنك أصيل يا عم دسوجي.

ابتسم دسوقي وعقب سائلا:

- ربنا يكرمه، بس انت متأكد ان الأستاذ اسمه طارق؟!

رحل مغازي من أمام المحطة بعد أن اتفق مع عم دسوقي على عودته مرة أخرى في صباح الغد ومعه بضاعته لبدء العمل. بعد لحظات من اختفائه وضع دسوقي يده في جيبه، أخرج الظرفين وفتحهما في شغف فوجد بداخل الأول مبلغ مئة جنيه، وفي الثاني ورقة صغيرة بها جملة

قصيرة لم يستطع قراءتها.. أمسك الرجل الورقة مهتما بها أكثر من المبلغ، تحرك بها خطوات إلى أن أعطاها لرجل كان يقف قريبا منه قائلا له:

- ممكن والنبي يا بني تقرالي الورقة دي مكتوب فيها إيه؟!

- حاضر يا حاج.

قال الرجل بعد لحظة:

- شكرا يا عم دسوقي.

- بس كده؟!

- بس كده.

أمسك دسوقي الورقة الصغيرة مبتسما، وضعها في جيبه وهو يفكر في ذلك الشاب السخي، الذي أعطاه هذا المبلغ وهو على ثقة تامة من موافقته على مساعدة من أرسله إليه. أعاد عم دسوقي الورقة إلى الظرف داعيا من قلبه: «الله يبارك فيك يابني».

***

ما حدث لشريف كان بمثابة انهيار لقلعة كبريائه.. لم يستطع حكي ما حدث بالتفصيل مع راغب لصديقه معتز إلا أنه شرح له تعرضهم للمتابعة والمراقبة خلال الفترة السابقة وبالأخص الأيام التي كانت بها يبري خارج مصر.. أكد شريف لصديقه أيضا أن ما حدث من تغييرات في مدخل البناية كان بالطبع ستارا لخطة تم وضعها بإحكام. وعندما سأل معتز عن هؤلاء الأشخاص الذين قاموا بتلك الترتيبات، أجابه شريف غاضبا:

- صاحب العمارة طلع حمار، إدوله رقم موبايل فشنك، ولا شاف سجل ولا بطاقة ضريبية ولا أي حاجة، ما اهتمش بحاجة غير الفلوس وشوية الدهان اللي عملوه.

استمع معتز لصديقه وكأنه يسمع تفاصيل مشهد من فيلم إلى أن قال سائلا:

- طيب وهاتعمل إيه؟

- ماعنديش اختيار، هاطلقها، بس لازم ارجعها تاني.

- إزاي؟

- شوية وقت.. تهدا الدنيا وبعد كده هاتصرف..

ثم تنهد شريف وأضاف قائلا:

- بس المشكلة دلوقتي في أبويا، مش عارف هاقوله إيه.

- بصراحة موقف زي الزفت.

وبعد مناقشة طويلة اتخذ الصديقان قرارا بتسليم «القنبلة»، وإرجاء فكرة تأجير شقة جديدة حتى تتضح الحقيقة وتهدأ الأمور.

تذكر معتز سؤالًا مهمًا:

- إنت قررت هتقعد فين؟

- عند ابويا، بس أنا عارف اني مش هاستحمل.. شهر شهرين كده وامشّي الناس من شقة مصر الجديدة واروح اقعد فيها.

في حقيقة الأمر لم يكن شريف حزينا على فراق زوجته أو ابنتيه، ما أثر فيه وأحزنه بل أغضبه كثيرا هو ضياع ما جمعه من مال على مدار السنين الماضية، وثانيا فقدانه لحياة الترف والعز التي اعتادها منذ زواجه من ابنة المحفوظ، وثالثا شعوره بعدم الأمان بعد وعيد وتهديد راغب له في لقائهما الأخير، أما يبري فاستعادت كثيرا من حيويتها ونضارتها وهدوئها بعد إن شفت جزءًا كبيرًا من غليلها. وضعت اهتمامها بالبنتين كأولوية أولى، استمتعوا جميعا بالحياة في القطامية مع والدتها ووالدها الذي فاجأها بسيارة مرسيدس أحدث موديل في محاولة منه لرفع معنوياتها بعد مرورها بمواقف وأيام مؤلمة ومريرة..

وقبل مرور أسبوع، اتصل الحاج بيومي بالمحفوظ لتحديد موعد لمناقشة تفاصيل ما حدث من شريف. طلب راغب منه تأجيل اللقاء لحين عودته من رحلة عمل سريعة. كانت المكالمة قصيرة، لم يتطرق فيها أحد للموضوع، اقتناعا بأنه أهم وأكبر من مناقشته في اتصال هاتفي. انتهت المكالمة بعد أقل من دقيقة واحدة، اتفقا خلالها على اتصال راغب به فور عودته من السفر. بعد أن انتهى الحديث نظر بيومي لابنه شريف حزينا ومعاتبا:

- ناس محترمه، مش عارف اودي وشي منهم فين؟

***

وفي قطاع المنيا مر الأسبوع الأول بنجاح فائق.. أثبت الرجال فيه أعلى درجات الكفاءة، طلب وليد من إسلام الاستمرار في تكثيف التدريبات والاشتباكات، ثم أعطى لشاكر مبلغ ألفي جنيه قائلا:

- عايزك تزود الأكل كل يوم.

- بس كله كتير يا باشا.

- اعمل اللي بقولك عليه.

وفي القاهرة كان أصدقاء وليد على علم بعودته يوم الجمعة ولمدة يوم واحد، وكالمعتاد صلى الأصدقاء الثلاثة خلف الشيخ رجب، ثم انطلقوا ومعهم هاني إلى الجوكي.. أكل الأربعة آيس كريم ثم اتجهوا إلى منزل عمرو. في الطريق إلى هناك رفض هاني بل ومنع إسماعيل من التحدث في أي تفاصيل عمّا قاموا به من أعمال خلال هذا الأسبوع.. لم يفهم وليد سببا لهذا الرفض ولكنه استوعب وجهة النظر في اللحظة التي دخل فيها إلى الغرفة. على الحائط ارتفعت ثلاث لوحات هندسية موضحة بالتفصيل مداخل ومخارج المحطة، وعدد الغرف من مكاتب الأمن وموظفي المحطة، ومكتب شرطة السياحة، والجامع، والكافيتريا، والمكتبة، والأكشاك المنتشرة، والممرات، وشباك التذاكر، والسلالم، والحمامات، ولوحة خارجية رابعة لهيكل مبنى المحطة من الخارج. وقف وليد أمامهم معجبا وممتنا، ثم سأل هاني:

- إنت ازاي لحقت تعمل الكلام ده كله؟

- أخدت أجازة يومين من الشغل.

أضاف إسماعيل بحماس:

- هاني كان بيروح المحطة كل يوم على الأقل ساعتين تلاتة..

وعلى الحائط المقابل وجد ثلاث لوحات أخرى، على اللوحة الأو
جدول مواعيد القطارات، موضحا أيضا أوقات الذروة، وعلى اللو
الثانية أسماء كل ضباط، وأمناء، وعساكر، وموظفي وعمال المح
موضحًا عليها مواعيد الحضور والانصراف يوميا، أما اللوحة الثالثة، ف
نقاط الأمن والتفتيش، وخدمة الحراسات، وأنواع التسليح.. أخذ ولي
يقرأ كل ما كتب على هذه اللوحات إلى أن قال عمرو مادحا:

- مغازي ده طلع يفهم، كل يوم كنا بنعدي عليه بالليل نلاقيه كاتب ك
حاجه، وبالتفصيل..

أجاب وليد معقبا:

- بصراحة، ده شغل محترفين.

على حائط آخر انتبه وليد لوجود لوحة وحيدة كتب عليها خط سي
الرائد شريف. توضيح كامل لتحركاته اليومية من لحظة وصوله إل
المحطة حتى مغادرته لها. وعندما لاحظ وليد عدم وجود أي تحركات ف
يومين كاملين خلال هذا الأسبوع عقب قائلا:

- أجازة يومين في أسبوع واحد؟ كتير، بس كويس، يبقى كده فر
أجازاته اللي جاية أقل.

حاول وليد أن يشكر أصدقاءه على كم المجهود المبذول، إلا أنه
جميعًا سخروا منه، وقال إسماعيل:

- سيبك من الكلام ده، الغدا عليك النهارده.

- طبعا عليا.. أحلى كشري من عند أبو طارق.

- كشري إيه يا أبو كشري!

عاد وليد ووقف أمام لوحة هاني الأولى وقبل أن يبدأ في مناقشته قال عمرو معترضا:

- بص يا وليد، إحنا عملنا كل اللي انت عايزه، بس مش هاينفع نعمل اي حاجة تانية قبل ما نفهم إنت ناوي على إيه..

وبعد لحظة صمت في المكان، أجاب وليد موافقا:

- عندك حق.. أنا هاقولكم أنا بفكر في إيه.

حكى وليد لأصدقائه ملخصًا سريعًا لما يدور في ذهنه وقبل أن يوافق او يعترض أحد أضاف وليد قائلا:

- هتكلم في كل حاجة بالتفصيل بس قدام شوية، ممكن ترجع للشغل بقى؟

حاول هاني الاعتراض ولكن وليد لم يعطه أي فرصة قائلا:

- من فضلك يا هاني نتفاهم في الموضوع بعدين.

ناقش وليد أصدقاءه في لوحات هاني، ثم بدأ في إعطاء بعض الملاحظات، طلب مزيدًا من التفاصيل، وتحديدًا أكثر دقة للمساحات.. ثم نظر إلى لوحات عمرو وإسماعيل قائلا:

- أنا عايز الكلام ده كله على ورق علشان آخده معايا.

أجاب عمرو مؤكدا:

- هاديك نسخة كاملة بالليل.. كل ده عندي على اللاب توب.

ارتاح وليد كثيرا بعد ما رأى أمامه أكثر مما توقعه وتمناه.. وبعد ساعتين غادر الأصدقاء منزل عمرو لتناول الغداء.. رفض إسماعيل الذهاب إلى أسماك دوران شبرا وأصرّ على الذهاب إلى عنتر الكبابجي. نظر عمرو في مرآة السيارة إلى هاني قائلا بلغة جادة:

- يا إسماعيل افهم، هاني صايم ومكسوف يقول.

اندهش إسماعيل، ثم نظر إلى هاني وسأل مستفسرًا:

- صيام إيه ده؟

ارتبك هاني للحظة ثم أجاب قائلا:

- الفصح التاني، بس مافيش مشكلة، ممكن انتو تاكلو في عنتر وأنا آكُل سلطة وخلاص.

أمسك الأصدقاء ضحكاتهم بصعوبة أمام كلمات هاني، فعقب إسماعيل قائلا:

- لأ خلاص، نروح دوران شبرا، جمبري وسبيط وشغل كبير برضه.

- وانا آكُل سمك مشوي.

وفي المطعم وأثناء تناول السلطات، مد هاني يده وأمسك برغيف العيش ووضعه في سلطة الزبادي التي أمامه، فقال إسماعيل سائلا:

- هو الزبادي مش صيامي برضه؟

ابتسم هاني في تحفظ وأجاب قائلا:

- الزبادي مافيش فيه مشكلة.

في هذه اللحظة انفجر عمرو ضاحكا، ثم نظر إلى إسماعيل قائلا:

- إنت غبي أوي يا إسماعيل.. أكلنا آيس كريم ومفهمتش، قالك النصح التاني، أي كلام ومافهمتش، أكل زبادي ويرضه مافهمتش.. يعني نعمل معاك إيه؟

استمرت الضحكات والقفشات حتى جاء الحساب في يد وليد الذي عقب وهو ينظر إلى الفاتورة:

- أنا قلت آخرتها عكننة..

رحل الأصدقاء من شبرا عائدين إلى جزيرتهم، بعد أن اتفقوا جميعا على اللقاء مرة أخرى لزيارة مغازي في شارع ربيع الجيزي. عاد كل صديق إلى منزله، أما وليد فذهب إلى نادي الزمالك..

على مدار الأيام الماضية ومن المنيا قام وليد بالاتصال بعشرات من أصدقائه، زملائه وتلاميذه من فرق الملاكمة بأعمارهم المختلفة مكررًا نفس الكلمات:

- أنا في مشكلة وعايزك ضروري.

نظرا لأخلاق وليد الدمثة وعلاقاته الطيبة تحمس الجميع للقائه.. حاول الكثيرون معرفة السبب ولكن وليد طلب من الجميع الانتظار حتى الميعاد الذي تم تحديده..

وصل وليد النادي قبل الساعة السادسة وقد وجد بالفعل أكثر من عشرة أصدقاء في انتظاره وعلى رأسهم مدربه الخلوق الكابتن حمدي.. وفي

دقائق قليلة توافد عشرات آخرون إلى أن وصل العدد إلى أكثر من خمسة وعشرين ملاكمًا..

كان اللقاء بمثابة احتفال، بدأ بالسلام بين الجميع إلى أن تحدث وليد شاكرا وممتنا للاهتمام والحضور.. في هذا اللقاء لم يمتنع أحد عن الانضمام إلى المهمة بعد أن شرح وليد ما حدث لعائلته أمام وداخل محطة الجيزة، بل واقترح الكثيرون ضم أصدقاء آخرين لضمان تنفيذ المهمة على أكمل وجه..

اقترح أحدهم قائلا:

- كل واحد فينا يجيب 2 بيثق فيهم 100 في الـ 100.

عقب وليد معترضا:

- كل واحد موجود هنا أنا عارفه وبثق فيه بس..

قاطعه الكابتن حمدي الذي رفع يده إلى أعلى طالبا من الجميع الهدوء، ثم أضاف قائلا:

- الموضوع ده معايا.. ممكن تسيبلي القصة دي يا وليد؟!

نظر وليد إلى مدربه في ثقة قائلا:

- حاضر يا كابتن.

ارتاح وليد كثيرا بعد هذا اللقاء، شكر الجميع، ثم انصرف عائدًا إلى الروضة لزيارة والدته وأخيه.. استقبلت الأم ابنها بحفاوة، ثم سأل وليد

عن أخيه الـذي كان يجلس أمـام جهـاز الكمبيوتر في غرفتـه.. ألقى ولـيد التحية فلم يرد عماد، فعقب وليد مستاءً:

- هو أنا مش سلمت عليك؟

أجاب عماد وهو ينظر إلى الشاشة التي أمامه:

- أنا مش عايز اكلمك، أنا حر يا أخي.

- يعني إيه مش عايز تكلمني؟!

التزم عماد الصمت، فأضاف وليد غاضبا:

- إيه تصرفات العيال دي؟!

تـرك ولـيـد أخاه وذهب إلى والدته التي سـألت عن سبب حضـوره إلى القاهرة بعد أسبوع واحد من سفره فأجاب وليد شارحًا:

- مأمورية سريعة وهارجع بكره على طول.

جلـس وليد مع والدتـه ثم رحل من منزل العائلة إلـى منزله وهو حزين من تصرفـات أخيه الصغير.. كان لـدى وليد النية في أخـذ رأي عماد فيما قام به من ترتيبات، إلا أن رد فعل وأسـلوب أخيه جعلاه يصرف النظر عن ذلك.. وفي منزلـه لاحظت مها الوجوم على وجهـه، لكنه تعلل بالإرهاق بعد أسبوع طويل وشـاق من التدريبات العنيفة.. وأمـام التلفزيون أغمض وليد عينيه فنام لأكثر من نصف ساعة ثم استيقظ سائلا:

- إيه ده.. هو أنا نمت أد إيه؟!

استعد وليد للخروج مرة أخرى فاعترضت مها بشدة سائلة:

- إنت خارج تاني؟! مش معقولة، ده انت مقعدتش معايا 10 دقايق من ساعة لما جيت.

- معلش مش هتأخر.

- هو انت رايح فين؟

- مشوار مع إسماعيل وراجع على طول.

ذهب وليد مع أصدقائه الثلاثة إلى الجيزة للقاء مغازي الذي فوجئ بحضوره.. وبعد السلام والتحية قال له وليد سائلا:

- أخبار مصر إيه يا مغازي؟

- دوشة أوي يا باشا، والمحطة دي دنيا تانية.

أعطى مغازي التقرير اليومي لعمرو، ثم سأل مديره:

- إيه رأيك يا باشا في الشغل؟ مش ده اللي سعادتك عايزه؟

- زي الفل، تسلم يا مغازي.

التزم الأصدقاء الثلاثة الصمت، وهم يستمعون للحوار والمناقشة التي دارت بين صديقهم والعسكري مغازي.. سأل وليد كثيرا وأجاب مغازي بحرفية واضحة، بل واقترح وأضاف نقاطًا عديدة.. استخدم الاثنان ألفاظًا شرطية، عجز الأصدقاء عن استيعاب معناها إلى أن قال إسماعيل بأسلوبه العفوي:

- انا فيه حاجات كتير مش فاهمها.

ضحك الجميع، ثم أيده هاني سائلا:

- وانا كمان.. هي إيه الأكواد اللي انتوا بتتكلموا بيها دي؟

- هافهمكم، بس خليني اخلص مع مغازي الأول..

استمر وليد في طلب المزيد من المعلومات والتفاصيل، ثم قال سائلا:

- هو عم دسوقي عامل معاك إيه؟

- 100، 100 يا باشا، الراجل ده بيعزك أوي، بس هو مصمم انك مش الأستاذ طارق.

ابتسم وليد، فقال عمرو سائلا:

- مين دسوقي ده؟ اسمه مش عندي ليه؟

أجاب مغازي:

- ده بتاع الشاي، وشيخ حارة المحطة، وجام معايا بأحلى واجب..

في هذه اللحظة ارتفع رنين الهاتف الذي أعطاه وليد لمغازي الذي أقسم قائلا:

- والله يا باشا ما اديت الرقم لحد غير البهوات.

نظر وليد إليه بشك قائلا:

- رد..

ضغط مغازي على الزر الأخضر، وأجاب مرتبكا:

- أبوه مين؟!

ثم قال بارتياح:

- لا مش رجم الحاج مؤنس.

ثم بغضب:

- أنا إيش دراني رجمه كام.

أنهى مغازي الاتصال وسط ضحكات الأصدقاء، حتى قال له عمرو بلغة جادة:

- ما كنت تديله الرقم.

ثم أضاف هاني:

- والله يا مغازي، انت رجولة الرجولة..

ابتسم مغازي وقال شاكرًا:

- الله يكرمك يا باشمهندس.. كلك ذوق.

***

الفصل الثامن عشر 18

ارتدى الحاج بيومي بدلة للقاء راغب المحفوظ.. حاولت والدة شريف التحدث معه ومناقشته قبل الذهاب، فقالت دفاعًا عن ابنها:

- جرا إيه يا حاج، هو فيه راجل مابيبصش بره؟

انفجر بيومي فيها معاتبا:

- هي دي آخرة دلعك فيه، لأ وكمان لسه بتدافعي عنه..

خرج بيومي من المنزل غاضبا من زوجته وساخطًا على ابنه. جلس بجانب السائق الذي قاد السيارة المرسيدس إلى فيلا المحفوظ بالقطامية.. استقبل راغب الضيف بكلمات ترحاب قصيرة وقليلة، ثم قال سائلا:

- تشرب إيه يا حاج؟

- ولا حاجة..

- لا ماينفعش..

طلب راغب الشاي من السفرجي، وبعد انصرافه بلحظة دخل بيومي في الحديث مباشرة قائلا:

- بص يا راغب بيه، أنا راجل كبير وبصراحة مش جاي علشان اتهزأ.. زي ما شريف ابني هو ابنك وزي ما يسري بنتك هي بنتي.. الولد غلطان.. غلطان.. غلطان.

قاطعه راغب قائلا:

- إنت راجل محترم يا حاج، وبصراحة احنا ماشوفناش منك إلا كل خير.

في هذه الجلسة اقترح بيومي أن يكون راغب هو القاضي في هذه القضية ثم أضاف قائلا:

- طلاق، مؤخر، نفقة.. كل اللي تقول عليه متوافق عليه، حتى لو قلت مايشوفش البنات تاني، خلاص مايشوفهمش.

قاطعه راغب قائلا:

- لا.. ده أبوهم، ومفيش حد يرضى يحرمهم منه.

لم يجد راغب فرصة للاعتراض، حتى أنه اضطر إلى شكر بيومي على أسلوبه وتفهمه للموقف، ثم تحدث عن مدى حزنه واستيائه من شريف لما بدر منه بعد أن كان يعتبره ابنا له.

اعترض الحاج على الجملة الأخيرة قائلا:

- يا راغب بيه، لو شريف ده ابنك وعمل كده مش هاتقدر تدبحه، أنا مش عايز منك حاجه غير انك تساعدني اصلحه.. على العموم اللي حصل ده درس عمره!

لم يستمر الحوار طويلًا، وفي نهاية اللقاء اتفق الرجلان على توكيل شريف لوالده لإنهاء جميع الإجراءات ودفع جميع الالتزامات.. فضّل بيومي إخفاء ابنه تماما عن الصورة وبالأخص بعد مروره بحالة نفسية سيئة.

استأذن الحاج بيومي في الرحيل بعد أن تم تحديد يوم الجمعة لإبرام الطلاق والانتهاء من جميع التفاصيل.. بعد أن انصرف بيومي، وقف راغب أمام زوجته وابنته قائلا:

- الراجل جاي رافع إيده.. مستسلم تماما. في لحظة صعِب عليا.

اعترضت أميرة بشدة:

- ويصعب عليك ليه؟

- الراجل ما عملش حاجة يا أميرة، ابنه اللي طلع واطي..

- ما هو اللي ماعرفش يربيه كويس، دي غلطته برضه..

ولأول مرة انفجرت يسري أمامهما باكية.. جرت إلى غرفتها، وأغلقت الباب. لامت الأم زوجها قائلة:

- مش معقولة يا راغب، بعد كل اللي حصل ده، تقول قدام البنت ان الراجل صعبان عليك..

هز راغب رأسه معترضا، وأجاب معقبا:

- البنت مش بتعيط علشان أنا قلت ان الراجل صعبان عليا.. يا أميرة، الزفت شريف ده كسرها.

ثم صمت لحظة وأضاف:

- والمشكلة إن بيري مش هاتعدي منها بسهولة.

***

عاد وليد إلى قطاع المنيا في اليوم التالي ومعه ملف كامل من أمن الدولة عن شريف بيومي، وجميع جداول وبيانات المحطة. أعطاه عمرو نسخة كاملة من رصد وتحريات مخازي لأمن وعمال محطة الجيزة. بالرغم من سعادة وليد بكمّ المعلومات اللذي أصبح بين يديه إلا أنه كان في قمة القلق، عقله لا يتوقف عن التفكير، بل ومستمر في التخطيط والتنظيم.. وفي القطاع استمرت التدريبات بتركيز، وفي وقت قصير ارتفع أداء السرية بشكل ملحوظ.. وفي أحد الأيام وردت لوليد معلومات بترشيح سرية أخرى للقبض على تشكيل عصابي في ملّوي من مسجلين خطر فئة (أ)، أحدهم هارب من حكم قضائي بخمس عشرة سنة سجنًا، واثنان متهمان في قضايا اتجار مخدرات، وآخرون عاطلون تخصصوا في فرض الإتاوات وابتزاز وسرقة المواطنين بالإكراه تحت تهديد الأسلحة البيضاء.. انطلق وليد إلى مكتب اللواء عبد الحميد الذي كان يتحدث في الهاتف مع أحد قيادات الوزارة، أشار له بالجلوس ثم قال سائلا:

- أيوة يا وليد؟

- أنا عايز اطلع المأمورية بتاعه ملوي يا فندم.

كان عبد الحميد مقتنعا أن وليد غير مؤهل؛ نظرًا للظروف التي مر بها فأجابه بدبلوماسية:

- إنت مجموعتك فيها عساكر كتير جديدة، اصبر عليهم شوية.

- اللي سعادتك شايفه، بس انا مجموعتي جاهزة يا فندم، وبصراحة محتاجة تطلع مأمورية.. تسخين يا فندم.

وبعد صمت ثوانٍ أجاب عبد الحميد سائلا:

- متأكد يا وليد؟

- بإذن الله يا فندم..

تقدم مزارع صاحب قطعة أرض بقرية تونة الجبل، التابعة لمركز ملوي ببلاغ يتهم فيه حوالي اثني عشر شخصًا بالتعدي عليه مساء أمس، فرضوا السيطرة على أرضه وقاموا بسرقة مواشيه. وفي الصباح احتجزوا اثنين من أبنائه.. جلس وليد والمزارع الذي حكى في حضور إسلام تفاصيل ما حدث منذ لحظة هجوم هذا التشكيل العصابي عليهم وصولا إلى احتجاز ابنه ذي الخمسة عشر ربيعًا، والصغير ذي الثمانية أعوام لخدمتهم.. سأل وليد عن مداخل ومخارج المزرعة، موقع «زريبة» المواشي والمخازن، وأخيرًا موقع تواجد أفراد العصابة والأسلحة التي بحوزتهم..

أجاب المزارع عن كل الأسئلة شارحا أبعاد أرضه بدقة، ثم قال مقترحا:

- فيه حته من السور واجعة، ممكن تدخلوا منها عليهم على طول..

تنهد وليد ثم قال معقبا:

- إحنا هنطلع معاك نعاين، وبعدين نشوف هنخش ازاي وإمتى؟!

- أنا بس خايف يا باشا على العيال.

وضع وليد يده على كتف المزارع في محاولة لطمأنته قائلا:

- ما تخافش يا حاج، ربنا هايسترها بإذن الله.

ذهب وليد، وخالد، وإسلام، ونبيل مع المزارع إلى أرضه، ومن مسافة قريبة، وبحرص وحذر شديدين تم استطلاع الموقف على الطبيعة. استمرت المعاينة ثلاث ساعات تقريبا إلى أن قال وليد للمزارع:

- اعمل كل اللي هما عايزينه علشان تعدي الليلة دي، واحنا هنتحرك الفجر بإذن الله، بس مافيش بني آدم يعرف ولا حتى مراتك.

عاد الرجال إلى أفراد السرية الثالثة، وضع وليد خطة التحرك والتنفيذ ثم طلب إسلام من الجميع عدم استخدام السلاح إلا في أضيق وأصعب المراحل، شارحا خطورة وجود أولاد المزارع وسط أفراد هذا التشكيل العصابي.. أعطى وليد تعليماته للجميع بالراحة وحدد الساعة الثالثة للاستعداد والتحرك.. وفي الساعة الرابعة والنصف فجرًا وصلت المجموعة إلى قرية تونة الجبل التي سادها السكون.. تحرك رجال المجموعة على ضوء الشروق، وحسب الخطة الموضوعة تم إحكام السيطرة على جميع مداخل ومخارج المزرعة، إلى أن أشار وليد لجميع الأفراد بالتقدم والاقتحام.. ساعد هول المفاجأة في إسقاط ثلاثة من المتهمين بدون أي مقاومة تذكر.. انحصرت المعركة بين رجال الشرطة وثمانية أفراد من التشكيل العصابي، تمكن خالد ورجاله من السيطرة على الأسلحة الآلية

وفرد الخرطوش، وينتهي الاحتراف نجح إسلام ومجموعته في إبعاد أولاد المزارع دون أدنى إصابة..

استمرت الاشتباكات العنيفة بالأيدي لدقائق قليلة، استسلم بعدها البلطجية واحدًا تلو الآخر.. وأثناء عملية القبض على التشكيل وحصر المضبوطات من أسلحة ومخدرات اكتشف وليد اختفاء محسب الذي عاد بعد دقائق وهو مصاب في يده اليمنى بإصابة سطحية من سلاح أبيض، وفي يده اليسرى المجرم الأخير الذي فشل في محاولة الهرب خارج المزرعة.. بعد انتهاء المهمة بنجاح احتفى المزارع وأهالي القرية برجال الشرطة وسط تصفيق الرجال وتهليل الشباب، وزغاريد السيدات اللاتي التففن حول زوجة المزارع وهي تحتضن أبناءها الصغار.. وفي طريق العودة إلى القطاع أعلن وليد مكافأة الجميع بعشاء فاخر في مسمط معروف بالمنيا والذي اشتهر بجودة الكوارع والفشة والممبار.. ارتفعت الصيحات في سعادة بالغة، وقد كان أسعدهم هو وليد بعد نجاح المهمة بسلام واطمئنانه على مستوى وتناغم أداء سريته الجديدة.

وفي الثامنة صباحًا كان اللواء [illegible] في انتظار المجموعة حياهم بشدة ثم قال لوليد مكافئًا:

- 72 ساعة أجازة، هدية مني ليك ولرجالتك.

ابتسم وليد وقال ممتنًا:

- شكرًا يا فندم.

اعتاد عبد الحميد مكافأة رجاله؛ شهادات تقدير، مكافآت مالية، وفي أوقات أخرى أجازات إضافية ذات عائد معنوي كبير.. وضع عبد الحميد آمالا كثيرة على تلك السرية فقرر في داخله التركيز والاعتناء بهم، وقد اعتبر هذه المكافأة هي بداية لهذا الاهتمام والتقدير.. أما بالنسبة لوليد، فكانت هذه الرحلة هي الحلم، كم كان سعيدًا بروعة التوقيت.. حمل خبر الإجازة ثم ذهب إلى خالد في غرفته قائلا:

- كان نفسنا في 24 ساعة، دلوقتي معانا 72 ساعة.

- مش فاهم قصدك إيه؟

حكى وليد لزميله ما أعلنه اللواء عبد الحميد فعقب خالد قائلا:

- كده اتظبطت يا باشا.

الضابط خالد من عائلة كبيرة، والده عمدة قرية تتبع مركز طامية التي تقع على حدود الفيوم.

تحمس خالد وقال مقترحا:

- إحنا عندنا مندرة زي الفل، تاخد أكتر من 100 واحد، وأكلهم وشربهم علينا، هرجعهملك تيران، وعندنا كمان 30 فدان موالح ندربهم فيهم زي ما احنا عايزين، وتدريب نار كمان لو عايز.

- لأ، مش عايزين نار خالص.

جلس وليد وهو يفكر، ثم عقب قائلا:

- كده مافضلش غير حاجة واحدة.

- عارف، إننا نبلغ الرجالة.. انسى الموضوع ده.. أنا وإسلام هانظبطه.

لم يعقب وليد أو يسأل ماذا سيفعلون بعد أن قرر في هذه اللحظة إعطاءهم مساحة من التصرف، واضعًا ثقته فيهم وفي تفكيرهم وتقديرهم للأمور..

***

وفي جزيرة الروضة، انتهى هاني تمامًا من تحديث ومراجعة رسوماته ومساحاته.. نفذ كل ما طلبه منه وليد بمنتهى الحرفية حتى أصبحت في يده خمس لوحات هندسية بها أدق تفاصيل محطة الجيزة من الداخل ولوحة لمدخل المحطة من الخارج وأخرى كبيرة لأماكن اصطفاف السيارات والميكروباصات، وأخيرًا لوحة لشارع المحطة شارحًا فيها خط سير السيارات ذهابًا وإيابًا، أما مغازي فالتزم بالمتابعة وإعطاء كل المعلومات إلى إسماعيل وعمرو الذي استمر في دراسة وإضافة هذه البيانات على جهاز الكمبيوتر.

وفي الخامسة مساءً جلس وليد وإسلام بجانب نبيل الذي قاد سيارة الأمن المركزي إلى مسمط العمارنة بمنطقة تل العمارنة.. سيطرت نشوة الانتصار على الرجال وارتفعت الضحكات والتعليقات من الكابينة الخلفية إلى أن قال أحدهم متمنيًا:

- ياريت كل يوم يبقى فيه مأمورية.. أكله وسفرية، دي إيه الحلاوة دي؟!

أدار إسلام وجهه إلى داخل الكابينة معقبًا:

- هي دي كانت مأمورية. ده فتح كلام..

أجاب محسب بثقة:

- يا باشا احنا جاهزين، بس نمشوها مسامط على طول.

امتلأت ست طاولات كبيرة بعشرات الأطباق، كل أنواع السلطات، فتة، كوارع، فشة، ممبار، كبدة، مخ.. بشهية مفتوحة التهم الرجال المأكولات وهم يتحاكون عن مأمورية الفجر ويتساءلون عن رحلة الفيوم:

- هو احنا هنتحرك بكره إمتى يا باشا؟

- على 7 –8 الصبح بإذن الله.

وسط هذا الضجيج، خرج وليد من المكان للاتصال بصديقه هاني قال له معاتبًا:

- يعني مافيش حد بيسأل، هو فيه إيه؟

- صدقني، أنا كنت لسه هاكلمك، ده انت واحشنا جدا..

فهم وليد معنى الجملة فأجاب سائلًا:

- أخبار شغلك إيه؟

- أنا شغلي تمام، كان عندي ڤيلا برسمها، ساعة وابقى خلصت، المهم انت ناوي تيجي إمتى؟

- مش عارف، احتمال النهارده بالليل، لسه مش متأكد.. هاعرف وأقولك..

بعد مكالمة هاني انتهز وليد فرصة وقوفه في هدوء فاتصل بزوجته للاطمئنان عليها.. في هذه المكالمة حكت مها لزوجها أخبارًا سارة عن ترشيحها بقوة لإدارة معمل جديد في الشركة.. شرحت مها مزيدًا من التفاصيل الإيجابية بخلاف الامتيازات الجديدة إلى أن قاطعها وليد مداعبًا:

- صدقيني انتي يا دكتوره، وماحدش هيعرف يكلمك بعد كده.

هنأ وليد زوجته التي سألته السؤال المعتاد:

- إنت راجع إمتى؟

- عايزاني ارجع إمتى؟

- النهارده.

- بس كده؟!.. كام ساعة وهاتلقيني عندك.

- لأ بجد..

لم تحصل مها على إجابة واضحة من وليد الذي قاطعها، وبدون أي مقدمات قال لزوجته بصوت دافئ:

- إنتي عارفة انك وحشتيني أوي.

فوجئت مها بكلمات وليد، فأجابت بعد لحظة صمت:

- وانا بحبك أوي، أوي يا وليد، كفاية الدنيا دي بقى، بجد كفاية..

عاد وليد إلى داخل المطعم بعد حوالي خمس عشرة دقيقة، شتان الفارق، قبل ذهابه وبعد عودته.. الرجال في حالة سكون وهدوء يكاد يصل إلى الصمت التام، بعد أن كانوا في منتهى الصخب والضجيج.. اتجهت كل الأنظار إلى وليد الذي ارتفع صوته سائلا:

- مالكم؟ فيه إيه؟

أجاب شاكر بثقة وبصوت يملؤه الحماس:

- الرجالة كلها جاهزة يا باشا.

استوعب وليد ما دار بينهم أثناء غيابه:

- خلينا نتكلم بعدين.

قال خلف رافضًا:

- يا باشا نتكلم في إيه بس؟ شوف يا باشا إنت عايز إيه واعتبره بإذن الله حصل.

- يا خلف، الموضوع كبير.

- كبير إيه لامؤاخذه.. يا باشا احنا فوتنا في النار قبل كده سوا.

تذكر خلف إحدى المأموريات فأضاف قائلا:

- إنت نسيت يا باشا بني مزار ولا إيه؟

ثم وجه حديثه إلى زملائه قائلا:

- من ييجي ستين وشوية كنا في مأمورية في بني مزار، كان لسه الباشا وليد جاي القطاع.

حكى خلف تفاصيل المأمورية ثم أضاف قائلا:

- خدت شظية في رجلي الشمال.. ووجعت من السطح جوه البيت، وضرب النار ياما من كل حتة.. جوم العقيد الواطي، أديه غار في داهيه وراح جنا.

ثم نظر إلى وليد قائلا:

- لا مؤاخذة يا باشا.. جوم العقيد جال في الجهاز لوليد بيه يرجع هو واللي معاه..

أضاف رمضان مؤكدًا:

- كانت أول مرة اسمع فيها الباشا وليد بيشتم.. مسح بالعقيد الأرض، وجالُه أنا مش هارجع من غير خلف..

نظر محسب إلى وليد وقال معقبًا:

- ليه يا باشا عملت فينا كده؟ ما كنت ترجع وتريحنا.

ضحك الجميع، ثم أضاف محسب:

- خلاص.. ربنا يكرم ونتخلص منه في المأمورية الجايه.

ضحك الجميع فأشار إليهم وليد بالهدوء:

- المشوار ده مش سهل يا رجالة.

أضاف إسلام:

- لو حد فينا اتمسك هاتسجن كلنا.. يعني مش تهريج يا اخوانا.

عقب رمضان:

- مش هنبقى مع بعض، يبقى خلاص يا باشا.

قاطعه وليد قائلا:

- إستني يا رمضان، اللي قلقان ومش عايز مشاكل ينزل تحت، ومافيش حد هايقوله تلت التلاتة كام.

وقف محسب فاتجهت كل الأنظار إليه.. خطا بثبات إلى سلم النزول ثم أدار وجهه للجميع قائلا بصوت أجش:

- أشوف بس حد يجوم من مكانه، وعليّا الطلاج بالتلاتة أكسر رجبته..

لم يتحرك أحد من مكانه فأضاف محسب:

- أنا جُلت كلمه برضه.

نادى شاكر:

- تعالَ اقعد يا محسب.. هنا مافيش غير رجالة.

عاد محسب وجلس، فقال وليد وهو ينظر للجميع:

- احنا مش هنتكلم في حاجة النهارده.. هنخلي كل كلامنا بكره في الفيوم.. ماشي يا رجالة؟!

ارتفعت التأكيدات:

- ماشي يا باشا.

اقتسم وليد وخالد وإسلام حساب العشاء معًا بعد أن أصر إسلام على ذلك، ثم استقل الجميع السيارة وهم يتحاكون عن هذه الوجبة الشهية والدسمة إلى أن عادوا إلى القطاع.. حيًا العساكر الضباط وانصرفوا إلى العنبر وهم في أمس الحاجة إلى النوم بعد هذا اليوم الطويل والشاق والممتلئ بالأحداث التي بدأت منذ الفجر. وفي لقاء سريع ناقش وليد زملاءه الضباط في تفاصيل السفر، ثم أضاف أسماءً جديدة لعساكر من السرية لضمهم إلى رحلة الغد. وفي نفس الوقت حرص على الحفاظ على قوة السرية داخل القطاع، عاد كل ضابط إلى استراحته، أما وليد فكان له رأي آخر، كانت الساعة تقترب من الثامنة عندما اتخذ القرار بالسفر إلى القاهرة.. خرج من القطاع في هدوء واستقل سيارته دون أن يعلن لأحد عن ذلك.. حديثه مع هاني شجّعه كثيرًا وأعطاه الضوء الأخضر للعودة خاصة بعد أن أعلن هاني عن قرب انتهائه من جميع الرسومات..

وفي طريق العودة إلى القاهرة اتصل وليد بزوجته مها، زف إليها خبر عودته في منتصف الليل، وعندما سألت عن السبب أجاب وليد قائلا:

- مش أنا لسه قايلك انك وحشتيني، قلت آجي أقعد معاكي كام ساعة.

حكى وليد لزوجته عن مأمورية الفجر، ومكافأة اللواء عبد الحميد للمجموعة، واحتياجه لبعض الملابس لهذه الرحلة.. أسعد هذا الخبر مها التي أعلنت انتظارها له بالمنزل. وقبل وصول وليد إلى القاهرة بساعة أجرى اتصالًا آخر بهاني قائلا:

- أنا بكره الصبح مسافر الفيوم، وقلت اعدي أشوفكم بالليل شوية.

استعد هاني بكل رسومات المحطة، أما عمرو فقام بطباعة نسخة كاملة لكل ما قدمه مغازي من معلومات بداية من أول يوم حضر فيه إلى القاهرة ونهاية بهذه الليلة التي قدم فيها بيانات جديدة مهمة..

وصل وليد إلى منزل إسماعيل قبل وصول هاني وعمرو، وقد وضع الذهول على وجه إسماعيل، فقال له وليد سائلًا:

- هو انت ماحدش قالك ان انا جاي ولا إيه؟

- يا عم انت عقدتنا، مابقناش بنعرف نتكلم مع بعض في التليفون.

أجاب وليد ضاحكًا:

- أنا كل اللي قلته ما حدش يجيب سيرة الموضوع ده في التليفون.. بس غير كده ممكن نتكلم عادي.

دقائق وحضر هاني، ومعه جميع اللوحات، أما عمرو فكانت في يده جميع البيانات ومئات المعلومات. كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة بعد منتصف الليل. لم يكن هناك أي مجال للدعابة أو الرغي. فتح وليد اللوحات واحدة تلو الأخرى، ثم نظر إلى هاني مبتسمًا وشاكرا:

- بجد، تسلم إيدك.

ثم نظر إلى عمرو الذي مد يده وأعطاه أربعة ملفات بلاستيك قائلا:

- دي كل المعلومات اللي خدتها من مغازي من أول يوم لغاية النهارده.

ثم مد يده وأعطاه «سي دي»:

- ده عليه صور كل ظباط، وأمناء، وعساكر المحطة، وكل واحد أكتر من صورة كمان.. إسماعيل صورهم على 4 أيام، صبح وليل، والغريبة انه ماتمسكش..

ابتسم وليد وقال معقبًا:

- يا ابني إسماعيل ده أستاذ، انت بس اللي مفتري..

- مغازي اللي جابلكم الأسماء، صح؟

أجاب عمرو سعيدًا:

- مغازي ده اختراع.. لعلمك انا هاخده أشغله معايا لما يخلص تجنيده.. هو قالي انه فاضله 6 شهور بس.

ثم تذكر وليد إحدى مسئوليات إسماعيل فنظر إليه سائلا:

- جبت الحاجه؟

- آه.. في الأوضة جوه.

وفي طريقه إلى الغرفة أضاف إسماعيل قائلا:

- يارب يكون اللي انت قصدك عليهم.

استمرت مها في الاتصال بزوجها على هاتفه المحمول حتى أجاب قائلًا:

- دقيقة وهتلاقيني قدامك.

أنهى وليد المكالمة ثم نظر لأصدقائه قائلًا:

- يوم الجمعة عايزكم معايا في الفيوم.

أجاب إسماعيل الذي عاد من غرفته وفي يده «شوال» كبير:

- الفيوم؟! هاتعمل إيه في الفيوم؟

أجاب عمرو مبتسمًا:

- هانحدفك في بحيرة قارون ونرجع.

أخرج إسماعيل من الشوال أكثر من عصا خشبية طويلة وسميكة.. أعطى إحداها لوليد الذي عقب قائلًا:

- 10 على 10.. هي دي اللي كان قصدي عليها، تسلم يا سمعه.

عاد وليد إلى منزله في الواحدة صباحًا.. كانت مها في شدة الغضب لتأخره.. اعتذر لها ثم قبّلها قبل دخوله للاستحمام.. خرج بعد عشر دقائق من الحمام إلى غرفتهما فوجد ملابس السفر في انتظاره داخل حقيبة بجانب الفراش.. شكر زوجته وهو يرتدي ملابس النوم ثم قفز إلى السرير وقال مداعبًا:

- يا سلام على كوباية شاي من إيدك الحلوة دي.

- مش عايز تاكل حاجة.

- لا مش قادر.. أصل اتعشيت فتة وممبار في المنيا..

- كان حلو؟!

- جدًا..

ذهبت مها إلى المطبخ، ثم عادت في يدها كوب الشاي، وطبق فاخر من الفاكهة. وعلى باب الغرفة وقفت مها مذهولة؛ إذ فوجئت بوليد مستغرقًا في النوم وكأنه نائم منذ ساعات.. ابتسمت بحنان شديد وهي تنظر إلى زوجها.. أخذت رشفة من الشاي، أطفأت إضاءة الغرفة وخرجت عائدة إلى المطبخ لتعيد طبق الفاكهة إلى الثلاجة.

استيقظ وليد في السادسة صباحًا منزعجًا.. استغراقه في النوم أمس فجأة جعله يفقد إحساسه بالمكان.. نظر بجانبه فوجد مها نائمة، أمسك هاتفه، نظر في الساعة ثم قفز من الفراش إلى خارج الغرفة.. مشى إلى المطبخ لعمل كوب شاي، ثم أجرى أول اتصال له بإسلام الذي استيقظ منذ لحظات قليلة.. فوجئ إسلام في هذه المكالمة بوجود وليد في القاهرة فقال سائلا:

- طيب انت جاي إمتى؟

- أنا هاجيلكم على هناك.

وفجأة سمع وليد صوتًا قادمًا من الخلف يقول:

- كده برضه أروح اعملك الشاي أرجع الاقيك في سابع نومة؟

أدار وجهه إلى زوجته، وقال مبتسمًا:

- يعني دي أول مرة تحصل؟

- أنا نفسي أعرف انت بتنام بسرعة كده ازاي؟!

ذهبت مها إلى العمل، بينما مر وليد على البنك الأهلي، فرع الروضة.. سحب تسعة آلاف جنيه من حسابه الشخصي. عاد إلى منزله، أخذ سيارته وجميع أغراضه قبل أن يتوجه إلى الجيزة لمقابلة مغازي الذي كان يقف في ميدان الجيزة وفي يده حقيبة يد صغيرة..

ومن المنيا وفي الطريق إلى الفيوم استمر الرجال في سرد الحكايات والذكريات إلى أن فاجأهم العسكري رمضان بموهبة لم يتوقعها أحد، غنى ولأول مرة مواويل شعبية من تأليفه وتلحينه. تعالى التهليل وانهالت كلمات المدح من أول الأتوبيس إلى آخره:

- إيه يا وله الحلاوة دي؟!

- ده ولا حسن الاسمر، عليّ الطلاق بالتلاتة ما يجيي جنبك حاجة يا واد يا رمضان.

- هو ينفع يا باشا تشوف حد يعمي للواد رمضان شريط؟

- آه طبعا ينفع.

انحنى إسلام على خالد سائلاً:

- أنا هاموت وأفهم موضوع الشريط اللي بيتعمى ده إيه.

وصل الأتوبيس إلى طامية بالفيوم ومنها إلى قرية عائلة الضابط خالد.. كان العمدة وكبار رجال العائلة في انتظار الابن وضيوفه. دقائق ووصل وليد ومغازي الذي انهالت عليه التحيات. كان حضوره مفاجأة سارة لم يتوقعها أحد. وفي دار العمدة احتفى بهم والد خالد بوليمة فاخرة، ذبح عجلاً،

على شرف استقبال ابنه، ومديره، وزميله، ورفاقه. التهم الرجال الغداء، ثم أعطى وليد الجميع ساعة ونصفًا للراحة قبل اجتماعهم المغلق.. لم يرتح وليد لحظة، جلس في غرفة وأمامه كل الرسومات والبيانات والمعلومات. رسم خطة أولى وأخرى بديلة، بل وخطة طوارئ أخيرة، واضعا خبرة السنين أمامه على ثلاث ورقات. في الميعاد المتفق عليه خرج وليد لمقابلة الرجال في مندرة كبيرة خصصت لإقامة الاحتفالات والأفراح. دخل وليد إلى المكان فوجد الجميع في انتظاره. كان واضحًا الإحساس بالمسئولية فقال مغازي معقبًا:

- جاهزين يا باشا، مفيش حد فينا عينه غفلت.

أجاب وليد مبتسمًا، وهو يضع اللوحات والملفات والصور على الحصائر الطويلة قائلًا:

- ده عشمي فيكم برضه يا رجالة..

بدأ الاجتماع الأول بجلوس وليد وسط العساكر، طلب من مغازي أن يسرد لهم تفاصيل أيامه ولياليه في محطة السكة الحديد بالجيزة. كان مغازي يقضي على مدار أسبوعين كاملين أكثر من خمس عشرة ساعة يوميًا بالمحطة.. تحدث بإمعان عن تفاصيل حياة الضباط والأمناء والعساكر بالمحطة. لم يكن هناك سؤال واحد بدون إجابة، حتى أذهل مغازي الجميع بترتيب أفكاره، ومعلوماته الدقيقة، وأرقامه الواضحة.

- 3 ورديات، الوردية الأولى على قوتها...

- الوردية التانية من الساعة...

- والوردية التالتة...

شرح مغازي تفاصيل عمل كل وردية، بداية من تأمين المحطة، خارجيًا وداخليًا، ونهاية بتأمين القطار ورحلاته، ثم تطرق إلى خدمة الحراسات وأنواع التسليح في كل وردية، وهو ما توقف عنده وليد قائلًا:

- أهم حاجه ان مافيش يومها سلاح يطلع.

أجاب نبيل مؤكدًا وسائلًا:

- معلوم.. بس هو سعادتك احنا هانعاين المحطة إمتى؟

- واحنا راجعين من الفيوم.

سأل شاكر:

- هو احنا هانتعامل مع أنهي وردية.

تنهد وليد وأضاف قائلًا:

- خلينا نتكلم في الموضوع ده بكره.

بدأ وليد بعد ذلك في قراءة جدول حضور وانصراف مأمور المحطة والرائد شريف، ورئيس ومعاون المباحث، من ملف أمسكه في يده، ثم طلب من خلف ومحسب وضع أربعة أحجار كبيرة على أطراف كل لوحة حتى أصبحت المحطة على مرمى بصر المجموعة بالكامل. كم كان مغازي سعيدًا وهو ينظر في هذه اللوحات، وقال مادحًا:

- تسلم إيد الباشمهندس هاني.. ده مش ناسي ولا أيتوها حاجة.

تحدث منازي بثقة عن تفاصيل كل مكان وموقع رآه أمامه على اللوحة؛ بداية من مدخل المحطة، وغرفة مدير المحطة ومساعديه، ومن بعدها غرف الأمن التي تقع على الرصيف مباشرة. مدخل قسم المحطة من شارع ربيع الجيزي نهاية بمزلقان المحطة أو ما يسمى بمزلقان العمرانية. وفي الناحية اليمنى من مدخل المحطة مكاتب البريد، غرف التشغيل ثم كافتيريا المحطة التي تقع خلفها حمامات الرجال والنساء.. ممر واسع ثم مكتب شرطة السياحة وجامع صغير يطل على سور المحطة.. وفي نهاية الممر مكتبة، وكشك للمشروبات والمأكولات الخفيفة اعتاد الركاب الجلوس أمامه.. في الجهة المقابلة لمدخل المحطة يمينًا ويسارًا رصيف طويل لاستقبال القطارات العائدة من الجهة القبلية.. وفي الجهة اليمنى وفي أعلى المحطة، انطلق مترو الأنفاق، والذي يستطيع المسافرون من خلال أبوابه الدخول إلى المحطة بعد المرور من نقط التفتيش، والتي تم وضعها منذ شهور قليلة.

بعد شرح واف ودقيق لرسومات هاني، بدأ وليد في قراءة جدول تحركات الضباط بصفة عامة، ثم تحدث عن شريف قائلا:

– على مدار الأسبوعين اللي فاتوا نسر 1 بيوصل ما بين 8:30 و 9 بيدخل مكتبه وعسكري المراسلة بيجيبله الفطار.. بيفطر ويقرا الجرايد، ما بيخرجش من أوضته قبل 10.. يا إما بيتمشى شوية برا ويرجع، يا بيستنى البوسطة تدخله الأول..

ثم تطرق وليد إلى مواعيد زيارته لمكتب المأمور، مدير المحطة، وتوقيت مروره على الخدمات.. كان واضحًا من سرد وليد عدم خروج

- الوردية الثانية من الساعة...

- والوردية الثالثة...

شرح مغازي تفاصيل عمل كل وردية، بداية من تأمين المحطة، خارجيًا وداخليًا، ونهاية بتأمين القطار ورحلاته، ثم تطرق إلى خدمة الحر وأنواع التسليح في كل وردية، وهو ما توقف عنده وليد قائلًا:

- أهم حاجه ان مافيش يومها سلاح يطلع.

أجاب نبيل مؤكدًا وسائلًا:

- معلوم.. بس هو سعادتك احنا هانعاين المحطة إمتى؟

- واحنا راجعين من الفيوم.

سأل شاكر:

- هو احنا هانتعامل مع أنهي وردية.

تنهد وليد وأضاف قائلًا:

- خلينا نتكلم في الموضوع ده بكره.

بدأ وليد بعد ذلك في قراءة جدول حضور وانصراف مأمور المحطة والرائد شريف، ورئيس ومعاون المباحث، من ملف أمسكه في يده، ثم طلب من خلف ومحسب وضع أربعة أحجار كبيرة على أطراف كل لوحة حتى أصبحت المحطة على مرمى بصر المجموعة بالكامل. كما كان مغازي سعيدا وهو ينظر في هذه اللوحات، وقال مادحًا:

- تسلم إيد الباشمهندس هاني.. ده مش ناسي ولا أيتوها حاجة.

تحدث مغازي بثقة عن تفاصيل كل مكان وموقع رآه أمامه على اللوحة؛ بداية من مدخل المحطة، وغرفة مدير المحطة ومساعديه، ومن بعدها غرف الأمن التي تقع على الرصيف مباشرة. مدخل قسم المحطة من شارع ربيع الجيزي نهاية بمزلقان المحطة أو ما يسمى بمزلقان العمرانية. وفي الناحية اليمنى من مدخل المحطة مكاتب البريد، غرف التشغيل ثم كافتيريا المحطة التي تقع خلفها حمامات الرجال والنساء.. ممر واسع ثم مكتب شرطة السياحة وجامع صغير يطل على سور المحطة.. وفي نهاية الممر مكتبة، وكشك للمشروبات والمأكولات الخفيفة اعتاد الركاب الجلوس أمامه.. في الجهة المقابلة لمدخل المحطة يمينًا ويسارًا رصيف طويل لاستقبال القطارات العائدة من الجهة القبلية.. وفي الجهة اليمنى وفي أعلى المحطة، انطلق مترو الأنفاق، والذي يستطيع المسافرون من خلال أبوابه الدخول إلى المحطة بعد المرور من نقط التفتيش، والتي تم وضعها منذ شهور قليلة.

بعد شرح وافٍ ودقيق لرسومات هاني، بدأ وليد في قراءة جدول تحركات الضباط بصفة عامة، ثم تحدث عن شريف قائلا:

- على مدار الأسبوعين اللي فاتوا نسر 1 بيوصل ما بين 8:30 و 9 بيدخل مكتبه وعسكري المراسلة بيجيبله الفطار.. بيفطر وبيقرا الجرايد، ما بيخرجش من أوضته قبل 10.. يا إما بيتمشى شوية برا وبيرجع، يا بيستنى البوسطة تدخله الأول..

ثم تطرق وليد إلى مواعيد زيارته لمكتب المأمور، مدير المحطة، وتوقيت مروره على الخدمات.. كان واضحًا من سرد وليد عدم خروج

شريف من إطار محدد، ثم استفاض وليد في التحدث عن تحركاته داخل المحطة في الفترة المسائية..

أمسك وليد جهاز اللاب توب عندما عاد للتحدث مرة أخرى عن عدد أفراد الأمن بالمحطة ثم فتح ملف الصور قائلًا:

- هانشوف دلوقتي بسرعة صورة كل ظباط وأمناء ومخبرين وعساكر المحطة، وكمان شوية مغازي هايحكيلنا عنهم واحد واحد بالتفصيل.

استمر وليد في عرض الصور إلى أن سأله محسب:

- هما عددهم أد إيه يا باشا؟

قاطعه وليد قائلًا:

- هما عددهم كتير، بس متقلقش، كل ده معمول حسابه..

أجاب محسب بحماس وثقة:

- أجلج من إيه يا باشا؟ إحنا بعون الله ناكلهم لو هما ألف.

عقب وليد بوضوح قائلًا:

- أهم حاجة يا رجالة كل واحد فينا يعمل الدور اللي عليه بالظبط.. واضح؟

تعددت التأكيدات:

- واضح يا باشا.

بدأ وليد بعد ذلك في شرح المخطط العام. كان الكل ينصت بتركيز شديد. أعطى وليد في هذه الخطة مسئولية واضحة لكل مجموعة بصفة عامة وكل فرد بصفة خاصة، مهتمًا بعامل الوقت الذي اعتبره العنصر

الأساسي لنجاح هذه المهمة.. بعد أن أنهى وليد حديثه استمرت الأسئلة والمناقشات لفترة طويلة إلى أن قال مغازي:

- أنا يا باشا، عايز اضيف كام حاجة للي سعادتك قُلته..

قدم مغازي أكثر من اقتراح ثم أضاف فكرة عبقرية، حيّاه عليها إسلام قائلا:

- يا ابن اللعيبة.. الله عليك يا مغازي.

أعطى وليد بانضباط مساحة من الحرية لرجاله للمناقشة وإبداء الرأي.. بنى هذا الأسلوب جسرًا من الثقة وأضاف العديد من النقاط المهمة لكل مأمورية. وفجأة انتبه وليد للساعة التي دقت التاسعة مساءً فعقب مندهشا:

- احنا بقالنا أكثر من ٥ ساعات.

أجاب محسب:

- وماشربناش فيهم غير كوبايتين شاي.

أضاف رمضان:

- ومكلناش غير كام كوز درة..

ثم وجه حديثه إلى خالد:

- إحنا جوعنا أوي يا باشا.

ضحك الجميع على تعليق رمضان الذي اشتهر بتناول كل وجبة مرتين يوميًا.

انتهى التدريب النظري للخطة الرئيسية في الليلة الأولى، وأصبح الجميع على أتم استعداد للتدريب العملي في الصباح.. لم تتوقف المناقشات أثناء تناول العشاء في أرض واسعة أمام دوار العمدة إلى أن قال إسلام:

- يلا، انجزوا، علشان مغازي يحكيلنا شوية عن كل الناس اللي في المحطة.

وفي اليوم الأخير للرحلة أصيب عبده في قدمه إصابة بالغة، أحزنته كثيرا، وعندما حاول التمسك باشتراكه في المهمة مدعيا بأن الإصابة طفيفة وتحتاج لراحة يومين فقط قاطعه الشاويش شاكر قائلا:

- ياد يا عبده، إحنا محتاجين ناس في القطاع تغطي علينا، وانت محتك نضيف.

قاطعه خالد مؤكدا:

- إحنا لو متغطيناش في القطاع صح، يبقى كل اللي احنا بنعمله ده مالوش لازمة..

نظر عبده إلى وليد قائلا:

- ما انت برضك لسه يا باشا ما قررتش هاتتحرك إمتى، جايز على وجتها تكون رجلي لامؤاخذه صحت، ولا إيه؟

- خلاص، لما نشوف يا عبده.

انصرف عبده وهو يتعكز على يد رمضان، فقال وليد لشاكر:

- عايزين نقعد نظبط الأجازات، والمأموريات، ومين هايفضل في القطاع، مهم جدا ان ما حدش يوملها يحس اننا مش موجودين.

الفصل
19 التاسع عشر

حاول شريف إقناع والده بتأجيل موعد الطلاق ولو لمدة أسبوع واحد. رفض الحاج بيومي فكرة الاعتذار مقتنعا بأنه ليس هناك أي مبرر لذلك. كان بيومي واثقًا أن المحفوظ وزوجته ومن قبلهما ابنتهما بيري لن يتراجعوا عن هذا القرار تحت أي ظرف. في نفس الوقت كان الرجل مقتنعا بأن ولده يحتاج إلى استيعاب الدرس حتى آخره، آملا في أن يكون سببا في عودة الابن الضال إلى صوابه. وعلى صعيد آخر، كان بيومي مهتما بالحفاظ على العلاقة الطيبة مع عائلة المحفوظ أملا أيضا في عودة «المياه إلى مجاريها» بين شريف وبيري، من وجهة نظره، والتي لم يفصح بها لأحد، أن الابنتين يارا وسارة قد تلعبان دورا مؤثرا في المستقبل بعد التئام الجرح العميق الذي بالطبع أضر بإحساس الابنة البريئة وأهلها.

كان راغب في انتظار بيومي الذي حضر في ميعاده ومعه المأذون الذي قام بعقد القران منذ سنوات.. وكعادته أحسن راغب وزوجته أميرة استقبال ضيفهما.. كان اللقاء صعبًا على الجميع، وبعد أن جلسوا دقائق استأذن بيومي المأذون قائلا:

- أنا عايز اتكلم مع راغب بيه 5 دقايق بس..

ثم وجه حديثه إلى المحفوظ قائلا:

- ممكن نقعد في مكتب سعادتك؟

- آه طبعا، اتفضل يا حاج.

جلس راغب أمام بيومي الذي بدأ حديثه بالاعتذار مرة أخرى، فقاطعه راغب قائلا:

- الحمد لله يا حاج انها جت على أد كده.

ثم أخرج بيومي شيكا من جيب «الجاكت»، أعطاه لراغب قائلا:

- ده المؤخر اللي كنا متفقين عليه.

أخذ راغب الشيك معقبا:

- إنت طبعا فاهم يا حاج ان الموضوع مش فلوس..

قاطعه بيومي وهو يهز رأسه آسفا:

- ولا مال الدنيا يساوي اللي حصل..

ثم أضاف بأسلوب ونبرة سخية:

- والنفقة ومصاريف البنات، اللي سعادتك تؤمر بيه..

قاطعه راغب قائلا:

- مصاريف البنات إيه بس يا حاج؟!

وقبل أن يعقب بيومي ارتفع صوت حذاء بيري وهي تدخل إلى الغرفة بمعنويات مرتفعة وابتسامة صافية.. وقف الحاج بيومي بهمة ومد يده قائلا:

- ضُغرك برقبته.

لـم يذكـر بيومي اسـم ابنه احتراما لمشـاعر يبـري التي أجابـت بمنتهى الأدب:

- إزيك يا أنكل.

اقترب منها الحاج بيومي، أمسـك رأسها وقبله وهي مستسلمة تماما ثم نظر إليها قائلا بخجل شديد:

- إحنا آسفين يا بتي، ووالدته من كسوفها مقدرتش تيجي معايا.

تابعت أميرة الموقف باكية، أما يبري فأجابت مرتبكة:

- مفيش حاجة يا أنكل.

كان الموقف صعبًا على الجميع. رفض راغب إعطاء المأذون أي فرصة للحديث بل طلب منه سـرعة إنهاء إجراءات الطلاق، وبنبرة أليمة انخفض صوت الحاج بيومي قائلا:

- إنتي طالق يا بتي.

في مسـاء تلـك الليلة، اتصل راغب بصديقه مسـاعد أول الوزير الذي أبـدى عميق حزنـه واستيائه لما حدث من شـريف. اسـتقبل هاشـم خبر الطـلاق منزعجـا بالرغم من أنـه كان على علم به، بل وهـو على علم أيضـا بأدق تفاصيـل المشـكلة منذ بدايتهـا؛ حيـث إن شـريف كان دائما تحت المراقبة.

أنهى المحفوظ كلماته فأجاب صديقه قائلا:

- يعمل كده بعد كل اللي انت عملتهوله؟!

ثم قال سائلا بنبرة غاضبة:

- قولي تحب إيه يا راغب بيه؟

- لا ولا حاجة خالص.

- ولا حاجة ازاي؟ بجد أؤمرني.

تنهد راغب قائلا بثقة:

- عايزك ترفع إيدك عن ضهره بس، وانا متأكد انه هيقع لوحده.

* * *

عاد الرجال إلى القطاع بالمنيا، بعد رحلة ممتعة وشاقة استمرت ثلاثة أيام وانتهت بزيارة ميدانية إلى محطة السكة الحديد بالجيزة، وقد اكتملت الصورة للجميع بعد رؤية الموقع على الطبيعة.. ساعات من الاستطلاع قضاها كل فرد داخل وخارج المحطة، وفي ذهن كل منهم مهمته بعد أن تم تحديد الأدوار في السيناريو النظري والتدريب العملي بالفيوم.. كانت هناك بعض ملاحظات بعد هذه الزيارة العملية وتمت مناقشتها في طريق العودة إلى المنيا.. اعتاد وليد تدوين تلك النقاط في «بلوك نوت» كبير، لم يتركه من يده لحظة واحدة، حتى أنه وضعه داخل ملابسه في أوقات عديدة..

خلال الأسبوع التزم وليد ومجموعته بتدريبات المعسكر الرسمية، وساعات إضافية من القتال المتلاحم، وطوابير ضاحية وتواجد مستمر من

الجميع وتصرفات طبيعية لا تعطي أي مجال للشك، وفي نفس الوقت استمرت اجتماعات وليد الثنائية مع كل فرد من المجموعة، إلى أن أعطى تعليماته لشاكر قائلا:

- بكره نبيل وخلف ومحسب يتزلوا أجازة، وتبتدي تنظم نفسك، مين ينزل أجازات، ومين مرضي، وكام واحد مأمورية.

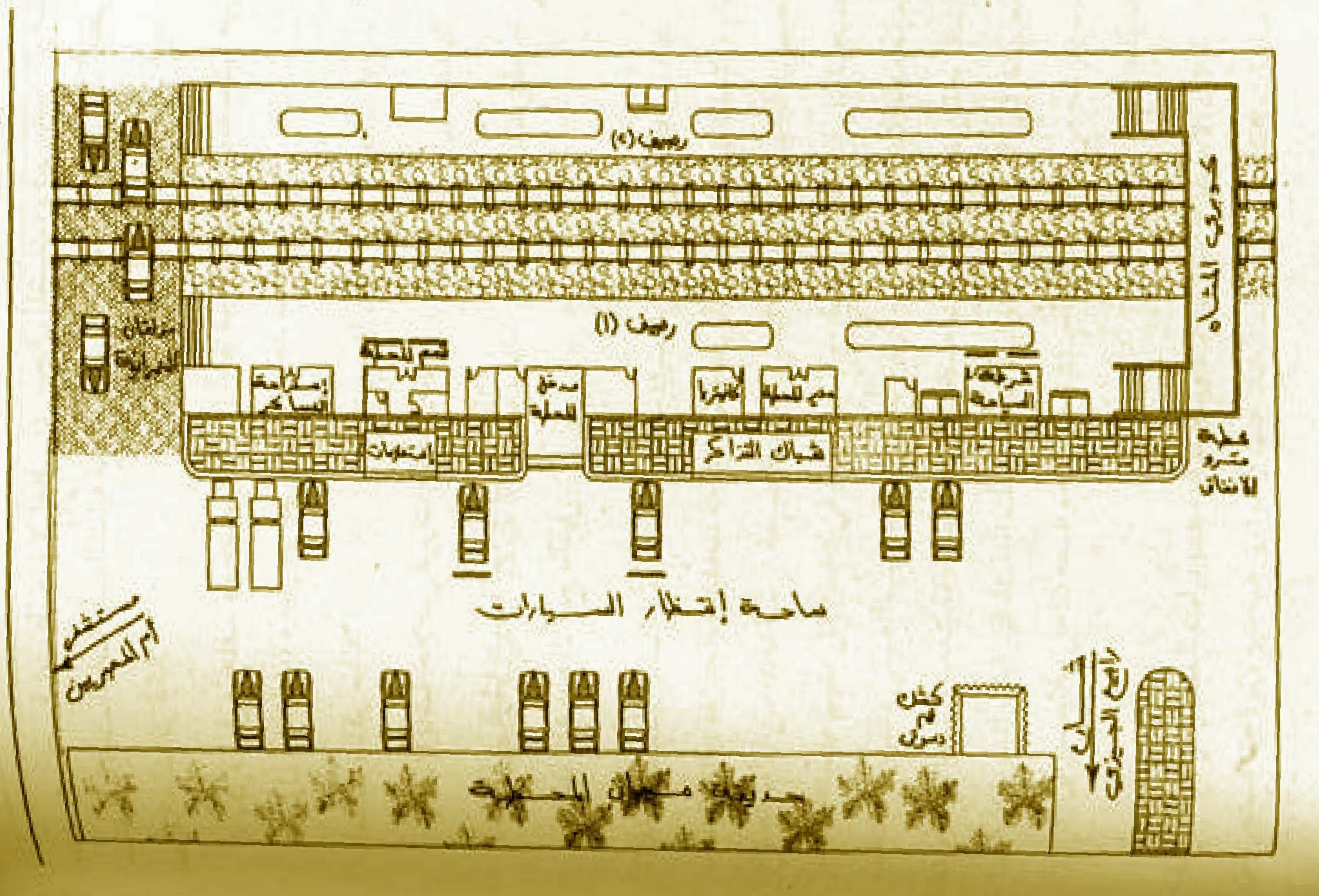
أجاب شاكر سائلا:

- إنت يا باشا خلاص قررت هاتنفذ إمتى؟

أخذ وليد نفسًا عميقًا ثم أجاب مؤكدًا:

- بإذن الله يوم الأربع بالليل.

***



رصيف (٢)
رصيف (١)
كوبري المشاه
شباك التذاكر
الاستعلامات
مدخل المحطة
كافيتريا
ساحة إنتظار السيارات
مستشفى أم المصريين
شارع الجيزة



الاثنين 26 نوفمبر..

في الساعة الواحدة ظهرًا استقل نبيل وخلف ومحسب القطار من المنيا إلى الجيزة.. في المحطة تحرك كل منهم منفردًا على الرصيف.. كان مغازي على علم بوصولهم، وعندما رآهم خارج القطار عاد مسرعًا إلى شقة شارع خوفو.. كم كان مغازي سعيدًا بوجود زملائه بعد أن سئم الحياة منفردًا داخل هذه الشقة الواسعة.. لم يُعطِ نبيل فرصة لمغازي للاحتفاء بهم، فقال بأعلى صوته لحظة دخوله إلى الشقة:

- 5 يا رجالة وكل واحد ينزل يشوف شغله.. الباشا نازل بكره وعايزين نطمنه..

كان نزول الثلاثة قبل تنفيذ المهمة بثمانٍ وأربعين ساعة بمثابة الاستطلاع الأخير لكل ما يدور في محطة الجيزة.. اختار وليد هؤلاء الثلاثة لقدرتهم العالية على الرصد والمراقبة، وقد أمضى الأمين والعساكر ساعات المساء داخل وخارج وبمحيط المحطة. طوال هذا اليوم أجرى وليد عدة اتصالات لمتابعة ترتيبات المهمة، تحدث مع مغازي وأصدقائه لأكثر من مرة، ثم اطمأن من مديره الكابتن حمدي على ترتيبات الخطة التي أعدوها معًا. وفي القطاع، وبالرغم من الحذر الشديد الذي انتاب الجميع لم تتوقف المناقشات بين وليد وزملائه الضباط والعساكر. وبعد أن انتهى شاكر من مراجعة وتنظيم إداريات السرية، اعتمد له وليد في المساء مأمورية للذهاب في الغد إلى القاهرة لتسلُّم مهمات من مخازن الإمداد.

وفي الجيزة عاد الرجال من المحطة إلى مقر إقامتهم قبل منتصف الليل. كان هاني وإسماعيل وعمرو في انتظارهم لتدوين أي بيانات أو معلومات جديدة، إلى أن سأل عمرو:

- هو انتوا بتعملوا كده في كل مأمورية يا نبيل؟

- آه طبعا، بس المره دي الباشا مركز أكتر شوية.

كان ذلك يعكس مدى إحساس وليد بالمسئولية.. خوفه على رجاله جعله يعطي المزيد والمزيد من الاحتياط والحرص لكل خطوة قبل ساعة الصفر..

الثلاثاء 27 نوفمبر..

في الساعة الثامنة صباحا استقل الشاويش شاكر سيارة الشرطة البيك أب، ومعه أربعة عساكر من القطاع متجها في مأمورية إلى القاهرة. وصل إلى كوبري فيصل الساعة الثانية عشرة ظهرا، اصطف السيارة في جراج عمومي أسفل الكوبري. رفع اللوحتين المعدنيتين من على السيارة قبل أن يتجه هو والعساكر إلى شقة مغازي. وبعد أن رحب بهم نبيل تسلَّم من شاكر عشرين صاعقًا وسبعة أجهزة اتصالات حديثة. قام بتشغيل الأجهزة ثم اتصل بوليد قائلا:

- الحاجة زي الفل، بس الباشمهندس عمرو عايز 2 كمان من الريسيفر اللي عندك يا باشا، وانا شايف انه عنده حق.

لم يسأل وليد لماذا، فأجاب مؤكدا:

- ماشي، وهاتكونوا عندكم النهارده بإذن الله.

كان من وجهة نظر عمرو أنه لابد من إضافة جهاز اتصال مع أمن العساكر عند بوابة مزلقان العمرانية، وآخر عند أعلى كوبري مشاة مترو الأنفاق. كان من الممكن إرجاء إرسال هذه الأجهزة إلى الغد ولكن وليد أراد الاطمئنان على وجود كل ما تحتاجه المهمة داخل شقة المحطة.

في الثانية عشرة والنصف ظهرا حضر وليد اجتماعًا دوريًّا لضباط القطاع بقيادة اللواء عبد الحميد.. في هذا اللقاء تمت مراجعة ومناقشة أحوال القطاع وقد بدا التركيز واضحًا على مشاكل المجندين.. أثبت وليد حضوره بإضافة نقطة واحدة فقط وسط النقاط العديدة التي تمت مناقشتها.. تمنى وليد في كل لحظة أن ينتهي هذا الاجتماع، حتى أنه فكر أكثر من مرة في الاستئذان، لكنه تراجع خوفًا من أن يلفت الانتباه إليه؛ حيث إنه لم يفعل ذلك من قبل.. وفي الساعة الثانية، انصرف وليد عائدًا إلى مجموعته. كانوا يجلسون في «الميز» لتناول الغداء.. حياهم مبتسما ثم اقترب من رمضان وانحنى عليه قائلا:

- هاتخرج سلكاوي من برج 6، تاكسي وتقابلني في المحطة.. عايزك تلحق قطر 3..

- تؤمر يا باشا..

خرج وليد من «الميز» ثم ذهب إلى الأمين حمزة الذي كان نائما على كرسي في غرفة المخازن، فقال له وليد مبتسما:

- في أي مكان وفي أي وقت وتحت أي ظرف.. أستاذ نوم.

انتفض الأمين معتذرا:

- لا مؤاخذه يا باشا..

أجاب وليد آمرا:

- عايز 3 أجهزة اتصال زي اللي خدتهم امبارح.

- تؤمر يا باشا..

وقبل أن يسأل الأمين عن موقف الأجهزة مستنديا أضاف وليد قائلا:

- متأبدهمش دول كمان، والخميس بعد التدريب هابعتلك كل حاجة.

- أوامرك يا باشا..

وفي محطة المنيا وبعد أقل من ساعة كان رمضان ينتظر وليد الذي حضر قبل وصول وتحرك القطار بعشر دقائق.. كان وليد يحمل حقيبة في يده أعطاها لرمضان قائلا:

- 3 أجهزة اتصال.. هاتسلمهم لنبيل في شقة مغازي.. عارف هي فين؟

- طبعا يا باشا، اللي كنا فيها بعد ما رجعنا من الفيوم.

- تمام.. هاتفضل معاه لغاية لما يشغلهم، وبعدين تنزل المحطة وتفضل هناك، تلف في كل شبر فيها لغاية الساعة 10، وتنك راجع، ولما ترجع هتدخل من برج 4، هيبقى واقف عليه مسعود، برج كام؟

- 4 يا باشا.

- عفارم عليك.

ثم أعطاه وليد ورقة مدون عليها عنوان الشقة، ومبلغ مئة جنيه، وتذكرة ذهاب وأخرى للعودة قائلا:

- خلي بالك على الحاجة يا رمضان.

- في عنيا يا باشا.

وفي طريق العودة إلى القطاع اتصل وليد بنبيل قائلا:

- الحاجة جيالكو مع رمضان.. طلبتو 2 بعت 3، اتأكد ان كله شغال واديني التمام.

- ماشي يا باشا.

بالرغم من وجود كمٌ هائل من التفاصيل والترتيبات إلا أن وليد داوم على الاتصال والاطمئنان على زوجته ووالدته التي قالت لابنها بانزعاج:

- فيه جواب جه من سفارة أستراليا لعماد.. مش عارفه اعمل إيه؟!

- ولا حاجة يا ماما، اديهوله طبعًا، وانا لما آجي الأسبوع الجاي هاشوف الموضوع ده معاه.

في هذه اللحظة تمنى وليد أن يتصل بأخيه ليقص عليه تفاصيل خطته إلا أنه تردد خوفا من تهوره ورد فعله؛ إذ كان واثقا من أن عماد سيصر على الاشتراك، وهذا ما كان وليد سيرفضه تماما.

وفي منزل الجيزة.. تواجد أصدقاء وليد الثلاثة باستمرار، تفرغ تام، وقد شاركوا في وضع لوحات هاني أعلى الحائط الأيمن في إحدى الغرف، وعلى الحائط المقابل تم تعليق صورة واحدة واضحة لكل من المأمور،

والراشد، والضابط الذي كتب المحضر، وثلاثة أمناء شرطة، أحدهم أمين المرور الذي تعدى على عماد، والثاني من اشترك في الاعتداء على عماد أيضا، ثم أدلى بأقوال كاذبة في مستشفى أم المصريين مدعيًا وقوع مها في شارع البحر الأعظم، والصورة الأخيرة للأمين الذي وقع كشاهد على المحضر الذي تمت كتابته في قسم المحطة، وتحت كل صورة تم كتابة كود كل منهم بخط أحمر واضح.

في الساعة الخامسة وبعد رحيل شريف من المحطة، عاد الرجال إلى الشقة، جلسوا جميعا وفي يد كل منهم علبة كشرى من مطعم «الانسجام»، محل شهير يقع على ناصية شارع المحطة.. وبعد الانتهاء من الغداء والراحة، ووسط إحدى المناقشات الساخنة رن جرس المنزل فسأل إسماعيل مرتبكا:

- هو كان لسه فيه حد في المحطة؟

أجاب نبيل مبتسمًا:

- ما تخافش يا أستاذ إسماعيل، الدار أمان.. ده رمضان، وصل من المنيا.

بالفعل دخل رمضان وهو يحمل حقيبة في يده وبعد التحية قال سائلا:

- فين علبة الكشرى بتاعتي؟

عقب خلف ضاحكًا:

- ده أخو محسب، برضك بياكل الطبخة مرتين..

أخذ نبيل الحقائب ودخل إلى إحدى الغرف وخلفه هاني الذي وقف يتابع من بعيد سائلا:

- شنط داخله وشنط خارجه، هي فيها إيه الشنط دي يا نبيل؟

أخرج نبيل صاعقًا من حقيبة كبيرة، اندهش هاني سائلًا:

- إيه ده؟

- صاعق يا باشمهندس!

ثم أمسك نبيل أحد الصواعق وضغط على الزر الأخضر فإذا بشرارة كهربائية، وصوت مخيف حضر على إثره إسماعيل وعمرو الذي عقب قائلا:

- صواعق كهربا.. هاتعملوا بيها إيه؟

- احتياطي يا باشمهندس، بس ربنا يسهلها وماحدش يستخدمها..

هز هاني رأسه وأضاف سائلاً:

- طيب والشنط التانية دي فيها إيه؟

أخرج نبيل جهازًا وأجاب قائلا:

- أجهزة اتصال، علشان نعرف نتكلم مع بعض جوه المحطة.

وبمنتهى السذاجة سأله إسماعيل:

- الظباط اللي في المحطة مش هيسمعوكوا، ويخشوا معاكم على الجهاز؟

انفجر عمرو ضاحكا:

- طبعا لأ، هيبقوا على موجة داخلية بتاعتهم هما بس يا جاهل!

***

في مساء هذه الليلة استقبل ضابط الحملة بقطاع المنيا اتصالا من الشاويش شاكر يفيد بتعطل سيارة الشرطة بشارع صلاح سالم، وعندما سأل الضابط عن العطل أجابه شاكر قائلا:

- في حاجة باظت في الفتيس، جبت ميكانيكي من المنطقة وقالي انها هاتاخد شغل لحد بكره آخر النهار.

- طب بلغت وليد بيه؟

- أيوه بلغته سعادتك.

عاد الأصدقاء الثلاثة إلى منزل إسماعيل بالروضة، أما نبيل، وخلف، ومحسب، ورمضان فانتشروا في محطة الجيزة في عملية مسح شامل وأخير للموقع.. طاف كل منهم بالمحطة ذهابا وإيابا، شرقا وغربا، جنوبا وشمالا استعدادا للغد.. وفي الساعة التاسعة والنصف مساءً وصل وليد من المنيا رأسا إلى نادي الزمالك.. كان في انتظاره الكابتن حمدي وعشرات من فرق الملاكمة.. جلسوا في حلقة مستديرة في حديقة النادي. وبعد مراجعة مهمتهم بإسهاب قال حمدي سائلاً:

- الساعة معاكم كام دلوقتي؟

استمع وليد لتوقيتات مختلفة لعقب حمدي قائلاً:

- هنظبط ساعاتنا مع بعض.. الساعة دلوقتي 10:17.. الدقيقة الواحدة هاتفرق..

وفي منزل إسماعيل بالروضة، لم يتوقف الجدال بين الأصدقاء. استمر هاني في الاعتراض على فكر وقرار وليد في التعامل مع تلك المشكلة إلى أن شرح عمرو وجهة نظره قائلا:

- بص يا هاني، زي ما السادات قالها في 73 «العين بالعين والسن بالسن والعمق بالعمق»..

أضاف إسماعيل:

- والبادي أظلم.. فعلا وليد ده ينطبق عليه مثل «اتّقِ شر الحليم إذا غضب»..

- ولو اتمسك؟

أجاب عمرو مؤكدا:

- مش فارقه معاه.. هو يا هاني مش شايف غير حق مراته واخوه..

أثناء هذا الحديث وصل وليد إلى منزل صديقه، شعر بعد لحظات من دخوله بأن «الجو مشحون» فقال سائلا:

- مالكم؟ فيه إيه؟

أجاب إسماعيل:

- هاني مش عايزك تعمل حاجه بكره.. وبيتخانق معانا ان احنا ساكتين وبنساعدك.

قاطعه وليد ضاحكًا:

- على أساس ان انتو اللي رسمتوا اللّوَح دي كلها؟!

- بأمانة يا وليد، أنا عملتهم بس علشان مازعلكش.

- خلاص يا هاني.. الكلام ده فات أوانه من زمان.

- لأ لـسـه، إنت لـسـه ماعملتش حاجة.

- خلينا والنبي نتكلم في المهم.

أيد عمرو كلام وليد فقال سائلا:

- خلاص فعلا يا هاني، هااا، روحت نادي الزمالك؟

- آه.. لسه جاي من هناك، وكله تمام الحمد لله.

سأله إسماعيل:

- هيبقى فيه كام واحد بكره؟

- مش أقل من 100.

- 100؟!

- الكابتن حمدي قال ان احتمال أكتر كمان.. المهم، أخبار الرجالة إيه؟

أجاب إسماعيل بثقة:

- زي الفل، إمبارح كنا معاهم لـ 2 الصبح، والنهارده الضبعر لغاية لما نزلوا المحطة.

- فيه جديد؟

أجاب عمرو ساخرًا:

- لا يا باشا.. كله في التمام.

نظر إليه وليد مبتسمًا:

- مافيش فايدة فيك، عمرك ما هتعرف تاخد أي حاجة جد أبدًا.

أضاف هاني قائلًا:

- عمرو عمره ما هيتغير يا وليد.

ثم تذكر سؤاله عن الأكواد، فسأله عنها.. وبدأ وليد يشرح باستفاضة وتركيز:

- س 400 دي معناها اللي شايل سلاح، ولازم كل واحد ياخد رقم، وك يعني موقع، وكل موقع ليه رقم حسب ترتيبه في المكان..

عقب عمرو قائلًا:

- وطبعًا الأشخاص بتسموهم أهداف..

قاطعه وليد قائلًا:

- وكل هدف ليه اسم، زي شريف مثلا: نسر 1، والمأمور فهد، فلو قلنا مثلا: ك نسر 1، يبقى المقصود مكتب شريف، وك فهد يبقى مكتب المأمور.. فهمتوا؟!

أجاب إسماعيل بلغة جادة:

- تمام يا باشا..

***

عاد وليد إلى منزله الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. مها كعادتها أثناء سفره في منزل والديها، لم يبلغها بوجوده؛ إذ كان ينوي العودة إلى طنطا في نفس الليلة، إلا أنه لم يستطع من شدة الإرهاق.. سكون تام أدار في ذهنه ذكريات ليلة عودته إلى المنزل بعد الاعتداء على أخيه وزوجته.
حاول وليد مقاومة هذا الشعور البائس، دخل للاستحمام بعد هذا اليوم الشاق، ثم استلقى على أريكة في غرفة المعيشة، واضعًا على جسده ملاءة خفيفة..

استغرق في النوم بعد ثوان معدودة، ثم استيقظ فجأة على صوت الشيخ رجب مؤذنًا لصلاة الفجر.. فتح عينيه، أضاء الأباجورة بجانبه، مد يده، أمسك البلوك نوت وتصفحه جيدًا، عشرات الصفحات، مئات النقاط، أسماء كثيرة، رسومات مختلفة وتوقيتات دقيقة، حتى انتهى بآخر صفحة والتي كتب عليها بخط واضح: «يارب»..

قفز وليد، ارتدى ملابسه ثم دخل الجامع، وقف خلف الشيخ الذي رفع صوته قائلًا:

- الله أكبر..

بعد الصلاة، رحب به الشيخ رجب قائلًا:

- أنا شوفتلك رؤيا حلوة أوي يا وليد من يومين..

- خير يا شيخنا؟

- واضح انك زهقت من الشرطة.. إنت ناوي تسيبهم ولا إيه؟

اندهش وليد سائلاً:

- لا ليه؟!

- هاحكيلك انا شفت إيه..

وضع الشيخ رجب يده على كتف وليد.. مشى معه خطوات قصيرة داخل الجامع وأضاف قائلا:

- شوفتك بملابس الإحرام في الكعبة، إنت ومراتك.. وبعد كده كنت قاعد هناك على مكتب كبير وفخم.

الأربعاء 29 نوفمبر..

7:40 صباحًا.. قطاع الأمن المركزي، المنيا..

طرق وليد باب غرفة إسلام الذي قال سائلا:

- أيوه مين؟!

دخل وليد فوجد إسلام جالسًا على فراشه، أغلق الباب خلفه قائلا:

- صباح الفل يا إسلام.

- صباح الجمال.. أنا ماعرفتش انام كويس.

- أنا مانمتش غير ساعتين، ولسه واصل من القاهرة حالا.

- إنت المنيا القاهرة، القاهرة المنيا، ولا البيجو.

- خلاص هانت.

- بقولك إيه يا وليد، أنا مش هاينفع استنى لغاية طابور المسا..

- لعلمك أنا كنت جاي اقولك انزل بعد طابور الصبح.

- بس انا لازم أخرج سلكاوي.

- أكيد، على العموم شاكر مظبط برج 6 و7، وحط عليهم اتنين من رجالتنا.

حاول وليد إعطاءه مبلغًا من المال قبل رحيله، إلا أن إسلام رفض قائلاً:

- إيه يا وليد اللي بتعمله ده؟! مش كفاية اللي انت عمال تصرفه، انت على الأقل داخلك في 20 باكو في الليلة دي.

في أرض القطاع لم يعطِ وليد مساحة من الوقت للتدريب العملي، إنما بدا التركيز واضحًا على مراجعة السيناريوهات المختلفة، ودور كل فرد من أفراد السرية.. بالرغم من خوف وليد الشديد إلا أن حديثه اتسم بالهدوء والتركيز، مهتما بغرس الثقة في رجاله، مدركا جيدًا أنها العامل الأساسي لإتمام هذه المهمة على أكمل وجه..

10:00 صباحًا.. شقة المحطة، الجيزة..

توافد الكثيرون على شقة مغازي التي تحولت إلى غرفة عمليات.. استمرت المناقشات بين أصدقاء وليد وعساكر القطاع الذين استمروا في الذهاب والعودة من وإلى المحطة وهم مرتدون جلابيب وملابس مدنية، حاملون أكياسًا من قماش وأخرى من بلاستيك في أيديهم..

حاول عمرو إذابة جبل التوتر بسرد نكتة أولى ثم ثانية فاعترض نبيل قائلاً:

- لامؤاخذه يا أستاذ عمرو.. أنا عارف ان سعادتك بتحاول تفك الدنيا بس مش هاينفع، إحنا محتاجين نركز، مقدمناش غير 8 ساعات.

- ليك حق يا نبيل.. طيب انا هانزل أجيب أكل وارجع.

أجاب محسب فرحًا:

- هو ده الكلام يا باشمهندس.

1:50 ظهرًا.. شقة المحطة، الجيزة..

وصل إسلام إلى شقة الجيزة أو كما أطلق عليها إسماعيل «شقة المحطة».. بدا عليه التردد والتوتر منذ أول لحظة.. تحرك سريعًا وسط الغرف سائلا عشرات الأسئلة إلى أن انزوى به الشاويش شاكر في إحدى الغرف قائلاً له:

- واضح عليك يا باشا انك قلقان.. ممكن تهدى شوية علشان الرجالة اللي معانا..

هز إسلام رأسه موافقا:

- ماشي يا شاكر.

ابتسم شاكر وأضاف مؤكدا:

- ماتقلقش يا باشا، كله هيبقى زي الفل بإذن الله.

- أنا نفسي أعرف إنت جايب الثقة دي منين؟!

لم يكن إسلام يعلم مدى القلق في عقل وقلب شاكر الذي استمر بخبرة في طمأنة الجميع.

وفجأة ارتفع صوت إسلام سائلا:

- أنا نازل المحطة.. حد عايز حاجة؟!

3:20 عصرًا.. قطاع الأمن المركزي، المنيا..

انتهى طابور المساء، ثم تفرق جميع أفراد القطاع كعادتهم.. وقف وليد مع أحد زملائه الضباط الذي تحدث معه عن أهمية مباراة يوم الجمعة.. كان وليد يستمع إليه وهو يتابع أفراد المجموعات وهم يختفون واحدًا تلو الآخر.. إذ خرج الجميع من خلال برج المراقبة رقم سبعة. نفذ الجميع خطة التسلل من القطاع بكفاءة، وبجانب السور الخلفي للقطاع كان هناك ثلاث سيارات ميكروباص في انتظارهم للانطلاق إلى الجيزة. وفي القطاع أثبت وليد تواجده، على مدار خمس عشرة دقيقة أخرى، تحدث مع ضباط ولمناء كثيرين بكلمات قصيرة، ثم ذهب إلى عبده الذي أصيب في الفيوم، أعطاه هاتفه المحمول وورقة صغيرة مدون عليها أربعة أرقام وأمام كل رقم توقيت واضح ثم قال له:

- فاهم يا عبده هتعمل إيه؟

- فاهم يا باشا.. ماتجلجش.. وهاعمل نفس الموضوع في محمول إسلام بيه وخالد بيه.

ثم أضاف آسفا:

- أنا مضّايج جوي يا باشا اني مش نازل معاكم.

ربت وليد كتفه، ثم طيب خاطره قائلا:

- كلنا عارفين يا عبده، بس هو مش لازم حد يغطينا واحنا في مصر؟!

هز عبده رأسه مؤيدا:

- صح، لازم يا باشا، ربنا يوفجكم بإذن الله.

4:10 عصرًا.. أمام محطة الجيزة..

بعد رحيل شريف من المحطة بدقائق، راقب خلف في زيه الميري الأمين نافع الذي كان يتجول أمام المحطة.. عبر خلف الطريق إليه قائلا له:

- شريف بيه بيومي كان بيدور على سعادتك قبل ما يمشي، وبيجول لسعادتك تستناه الساعة 8:15 جدام مستشفى أم المصريين.

- إشمعنى؟

- جالّي يا باشا انه عايزك في مصلحة، بس مش عايزك تجيله عند المحطة.. جالي مصلحة حلوة، وجالي كمان اجول لسعادتك ماتكلموش على المحمول.

- ماشي.. أدام مصلحة يبقى نجيله.. إنت اسمك إيه ياد؟!

- كرم يا باشا.

- ماشي يا كرم، ولو المصلحة طلعت حلوة ليك عندي الحلاوة..

- تسلم يا باشا.

4:15 عصرًا.. طريق المنيا/ القاهرة..

قاد وليد سيارته بسرعة تجاوزت مئة وأربعين كيلو مترًا في الساعة. كان معه بالسيارة ثلاثة عساكر، بعد أن تحدث معهم لفترة قصيرة أجرى اتصالات عديدة، اتصل أولا بخالد على هاتف المهمة ليطمئن على موقعهم في الطريق فقال سائلاً:

- فاضلكم أد إيه؟

- نقول 95، هانت.

- وأخبار الرجالة إيه؟

- زي الفل..

ثم أجرى اتصالًا آخر بمغازي الذي أجاب من داخل المحطة قائلا:

- إحنا بخير يا باشا، ومايتجمعناش غير رؤياك.

استمر وليد في الاتصال برجاله حتى أعلن خالد عن وصولهم إلى بلدان الجيزة..

6:10 مساءً.. العمرانية، محطة الجيزة..

توافدت أعداد العساكر على مطاعم ومقاهي منطقة العمرانية وبالتحديد خلف محطة الجيزة.. دقائق وبدأوا في الانتشار داخل المحطة بهدوء وتريث وحرفية شديدة. كان التركيز على أعلى مستوى، إحساس واضح

بحجم المسئولية، من الرجال من جلس وافترش الأرض، ومنهم من نام واستلقى على الرصيف. تصرفات طبيعية اعتاد الجميع رؤيتها.

6:40 مساءً.. شقة المحطة، الجيزة..

تحول المكان إلى خلية حتى ارتفع صوت إسلام قائلاً:

- كله يخلص ويجهز.

ثم أضاف شاكر محفزا:

- ننجز يا رجالة..

وفي الغرفة المجاورة، وحسب الجدول، حدد نبيل لمغازي اسم عشرين عسكريًا لتسلُّم الصواعق، أما شاكر، فتأكد من تشغيل كل جهاز اتصال وتركيبه لقائد كل مجموعة..

وسط هذه الاستعدادات القصوى وصل وليد إلى شقة الجيزة.

ارتفع صوته عاليا وهو يتجول في المكان قائلا:

- إزيكم يا رجالة؟!

انهالت التحيات بحماس شديد من داخل الغرف، فقال عمرو معقبا:

- وليد لما بيظهر الدنيا بتتغير.

أيده هاني قائلا:

- فيه احترام مختلف لوليد.

وفي إحدى الغرف وقف وليد أمام شاكر قائلاً:

- والله لايقة عليك البدلة.

أجاب شاكر مبتسمًا:

- كلك ذوق يا باشا.

اشرف إسماعيل على ارتداء الشاويش شاكر لبدلة عميد شرطة فشكره وليد قائلا:

- تسلم إيدك يا إسماعيل.. انت فعلا كان لازم تدخل معهد السينما..

- يلا، ربنا يسامحه أبويا، طول عمره معترض.

أبدى وليد إعجابه أيضا بزي الأمناء، وقد ارتداه أربعة عساكر، ثم اطمأن لعدم ظهور سلوك سماعات الأذن لأجهزة الاتصالات من قبل مستخدميها، بعد أن استعان إسماعيل بملابس خاصة وأغطية للرأس.
وفي غرفة العمليات، كما أسماها مغازي، وقف وليد وسط رجاله وأمامهم اللوحات التي رسمها هاني في مراجعة أخيرة لخطوات تنفيذ تلك المهمة.
تمت مراجعة جميع الأكواد، والأدوار، والتوقيتات، ثم ارتفع صوت وليد سائلا:

- فيه كام واحد من رجالتنا في المحطة؟

أجاب نبيل بثقة:

- 28 في المحطة، وهنا 19 يا باشا.

دقائق وعقب خالد قائلا بأعلى صوته:

- هاتتحرك كمان 5 دقايق..

7:35 مساءً.. شقة المحطة، الجيزة..

حمل مغازي حقيبة في يده وعلى رقبته درج البسكويت والمناديل..
ذهب مغازي إلى وليد الذي كان يتحدث مع رجاله، فقال له:

- أنا هاتكل على الله يا باشا.

- إستنى يا مغازي.

خرج وليد إلى الصالة ثم نادى بأعلى صوته قائلاً:

- الكل يجيلي بره بسرعة.

في ثوانٍ اجتمع أكثر من خمسة وعشرين رجلا في صالة الشقة، نظر إليهم وليد قائلاً:

- إحنا بإذن الله هنبتدي نتحرك، 3 حاجات هاعيدهم تاني..

شرح بتركيز وهو يدور بنظره بين الموجودين:

- أول حاجة، محدش يضرب عسكري في المحطة، ونلتزم بشل حركتهم بس، واضح؟

واصل دون أن ينتظر ردًا من أحد:

- تاني حاجة، مافيش استخدام صواعق غير في الضرورة.

صمت لحظة، ثم أضاف محذرًا:

- وآخر حاجة، لو حد اتمسك، مايجبش اسم ولا بني آدم غيري، ولو على رقبته سكينة.. تمام يا رجالة؟!

ارتفعت التأكيدات إلى أن قاطع خلف الجميع قائلا:

- بإذن الله ماحدش هيتمسك يا باشا..

أضاف رمضان بإيمان شديد:

- نجرا الفاتحة يا رجالة ان ربنا ينصرنا.

ارتفعت الأيادي إلى أعلى لقراءة الفاتحة، نظر عمرو إلى هاني قائلاً:

- طيب شوف انت ونبيل أي حاجة تقروها سوا..

انفجر الجميع في الضحك، فقال وليد لصديقه:

- مش بقولك، مافيش فايدة فيك.

ثم أضاف قائلًا بلغة جادة:

- يلا اتحرك يا عمرو على الروضة، عماد في البيت.. عرفت هاتدخلوا منين؟

- والله عرفت، مدخل المترو.

- تمام.

نظر وليد إلى ساعته سائلًا:

- ساعتك كام؟

- 7:40.

- مظبوط، يبقى كده قدامك 55 دقيقة.. مش عايزك توصل متأخر ولا توصل بدري، ماشي؟!

- ماشي،

ثم نظر وليد إلى مغازي قائلاً:

- يلا.. اتوكل على الله..

استعدت المجموعات الأربع؛ قاد وليد مجموعة «الرصد»، وإسلام مجموعة «التنفيذ»، وخالد مجموعة «الإشراف والمتابعة»، أما شاكر فكان مسئولا عن مجموعة «الانسحاب».

ارتفع صوت وليد قائلا:

- مجموعة (1) هاتدخل من مدخل المترو، ومجموعة 2 من مزلقان العمرانية، ومجموعة 3 من مدخل المحطة، ومجموعة 4 هتفضل برة المحطة.

أعطى وليد مزيدًا من التعليمات النهائية، ثم نظر إلى شاكر قائلا:

- يلا اتحرك.. عربيتك جاهزة؟

- طبعا يا باشا، وركنا من ساعة قدام المحطة.

أجاب وليد مبتسما:

- والله انت اللي باشا بالبدلة الحلوة دي.

بالرغم من كمّ القلق، بل الرعب الذي كان يشعر به وليد إلا أنه ظهر بشوشا، مبتسما في محاولة إعطاء إحساس بالطمأنينة لمن حوله، إلى أن صاح وليد بأعلى صوته قائلا:

- نتوكل على الله يا رجالة.

ومن تلك اللحظة تبدلت الوجوه، واختلفت التصرفات، من الارتياح إلى الجدية والالتزام.. ساد الصمت وارتفع معدل التركيز، وكأن كلًّا منهم يفكر في المهمة التي أمليت عليه لتنفيذها.

أضاف خالد بصوت أجش:

- هانتزل واحد واحد وبهدوء.

7:55 مساءً.. مدخل محطة السكة الحديد، الجيزة..

استطاع مغازي دون أي مجهود الدخول بالحقيبة التي امتلأت بالصواعق.. حيّا رجال الأمن كعادته ومر بسلام من جانب الباب الإلكتروني وجهاز كشف الحقائب.. لحظات وخطت أقدام الرجال داخل المحطة، تلاقت الأعين بين كل من دخل إلى هناك وكل من كان هناك، وبعد أقل من خمس دقائق، وبحرص شديد، قام مغازي بتوزيع الصواعق على زملائه.

8:10 مساءً.. داخل محطة السكة الحديد، الجيزة..

على الرصيف الثاني المواجه للمدخل، وقف وليد في نقطة حاكمة، اطمأن على تمركز قائد كل مجموعة ورجاله، وسيطرته التامة على الموقع، إلى أن ضغط خالد على زر في كم القميص معلنًا عن وصول شريف:

- نسر 1 تمام..

أجاب إسلام معقبًا:

- تمام يا ريس.

ثم أضاف وليد:

- أمّن يا نبيل على الأهداف.

بدأ نبيل ومجموعته في تتبع ثلاثة من أفراد أمن المحطة وهم يحملون أسلحة بذخيرة، ومنهم الأمين الذي وقّع مع شريف كشاهد على المحضر..

دقيقة ثم أعلن خالد قائلا:

- س 400، 2و3 تمام، 1 مش موجود..

أجاب نبيل معقبا:

- س400/ 1 تمام، ك6- ك7.

أعلن نبيل أنه تم العثور على الهدف الأول، وحدد موقعه بجانب المكتبة التي تبعد خطوات من مكتب شرطة السياحة..

عقب خالد بعد ثوانٍ:

- س400، تم السيطرة.

أشار خالد بوجهه إلى رمضان لمتابعة س400/ 1، ثم نظر إلى ضياء لينضم إلى رمضان..

وعلى رصيف محطة الجيزة صال وجال رجال قطاع الأمن المركزي بالمنيا في كل الأرجاء.. في واقع الأمر بدت السيطرة واضحة على المكان مما أعطى انطباعًا بالثقة لجميع الأفراد.

8:18 مساءً.. رصيف 1/ 2، محطة الجيزة..

تجول وليد وسط المسافرين إلى أن قال إسلام الذي وقف بجانب باب غرفة المأمور:

- نسر 1 اتحرك.. نسر 1 دخل لك فهد.

انزعج وليد من دخول شريف إلى غرفة المأمور:

- ليه كده؟!

عقب مغازي مطمئنًا من رصيف 1:

- دجيجة وهتلاجيه خارج.

8:20 مساءً.. رصيف 1..

كان رصيف رقم واحد يمتلئ بالمسافرين، رجال وشيوخ، نساء وأطفال، أعداد كثيرة أيضا من السياح والأجانب الذين وقفوا انتظارا لقطار النوم المتجه إلى أسوان.

كسر وليد حاجز الصمت قائلا لإسلام في جهاز الاتصال:

- تنفيذ أم المصريين، قدامه 10 دقايق ويرجع بيه..

- تمام، وصل ومتابع.

وقد أشار إسلام بالفعل من خمس عشرة دقيقة للعسكري إيهاب بالتوجه إلى مستشفى أم المصريين.

8:23 مساءً.. أمام مستشفى أم المصريين، الجيزة..

وقف الأمين نافع في انتظار الرائد شريف إلى أن حضر إليه إيهاب الذي ألقى عليه التحية قائلا:

- شريف بيه مش هايقدر يجي ومستنيك يا باشا في المحطة..

- ما كنت هناك.. ويعدين في الغلبة دي؟!

- معلش يا باشا، أصل المأمور كان عايز شريف بيه.

- إنت اسمك إيه ياد؟!

- محسوبك منعم، عسكري المراسلة الجديد بتاع الباشا.

8:26 مساءً.. رصيف 2، محطة الجيزة..

من النقطة الحاكمة بدأ وليد في توزيع مهام أخرى، فأعلن قائلا:

- التنفيذ، ك9، دقيقة وصفوت يتحرك ويدينا التمام.

- تمام يا ريس.

أشار إسلام لصفوت الذي ارتدى زي أمين شرطة بالتحرك في اتجاه مزلقان العمرانية.

نظر وليد في ساعته قائلا:

- تنفيذ وانسحاب، ك1، خارجي 5 دقايق..

ثم أعلن خالد عن وصول قطار قائلا:

- ق، 3 دقايق.

ثم وجه حديثه إلى إسلام قائلا:

- تنفيذ، كتف بكتف.. الدنيا هتبقى زحمة.

- تمام يا ريس.

8:27 مساءً.. استراحة العساكر، محطة الجيزة..

وعلى رصيف رقم واحد اقترب صفوت من غرف استراحة العساكر، خطا بثقة قائلاً بأعلى صوته:

- فيه تفتيش قيادة من المديرية، كله يظبط نفسه بدل ما يتجازا.

وفي ممر الاستراحة أعطى صفوت لأحدهم خمس علب لتلميع الأحذية قائلا:

- كله يلمع البيادة بسرعة، وماحدش يخرج من هنا يا هايتجازا.. دي تعليمات المأمور.

رحل صفوت من أمام العساكر التي هجمت على علب تلميع الأحذية. أغلق خلفه الباب الحديد ثم وضع فيه قفلا كبيرا ليغلقه مانعا أي فرد من الخروج إلى رصيف المحطة.

8:29 مساءً.. رصيف 2..

وصل قطار قادم من الصعيد، وقف دقيقة واحدة، خرج منه عشرات المسافرين واستقله عشرات آخرون.. دقيقة واحدة وتحرك القطار في

اتجاه محطة أبو النمرس. ازدحم الرصيف بكثافة أعداد المسافرين الذين اتجهوا إلى خارج المحطة من خلال البوابة الصغيرة.

8:30 مساءً.. مدخل محطة الجيزة..

تحرك نبيل وراء الأمين الذي كان يحمل سلاحه، ثم وقف عندما دخل الأمين إلى غرفة المأمور وأعلن قائلا:

- س400/ 2، دخل ك فهد.

قاطعه وليد وهو يتجول على رصيف 2:

- نسر 1 ماطلعش، ولازم يرجع مكانه.

أجاب مغازي مطمئنًا مرة أخرى:

- اصبر يا ريس..

- لو مطلعش هانخش، والتعامل هيبقى في ك فهد.

اندهش إسلام معقبًا:

- إزاي؟!

خرج الأمين من غرفة المأمور بعد ثوانٍ، فقال خالد:

- س400/ 2 تمام، معاك يا نبيل..

8:31 مساءً.. مدخل وخارج محطة الجيزة..

في لحظة ارتفعت أصوات عالية، وفجأة وبدون أي مقدمات نشبت معركة بالأيدي بين أكثر من عشرين شخصًا في بهو مدخل المحطة..

تسحب هؤلاء الأشخاص في ثوانٍ إلى خارج المحطة. في نفس الوقت، على الجهة اليسرى خارج المحطة، وبالتحديد أمام مكتب الاستعلامات، نشبت معركة ثانية بين عشرة أشخاص، وفي الجهة اليمنى وأمام شباك التذاكر نشبت معركة أخرى.. أما ساحة انتظار السيارات فتحولت إلى ساحة عراك بين أعداد كثيرة، قد تفوق مئة فرد..

ما حدث فجأة أدى إلى خروج وتجمع معظم أفراد الأمن حول هؤلاء الأشخاص في محاولة فاشلة لمتابعة ما يحدث.. مظهر غريب، صرخات عالية، ألفاظ بذيئة وضرب مستمر بين مجهولين، مما أدى إلى فوضى عارمة والسبب غير مفهوم..

8:32 مساءً.. مدخل محطة الجيزة..

أثناء تلك الأحداث دخل أربعة عساكر إلى المحطة، وكل منهم يحمل «شوالاً» مليئا بالعصيان، وثلاثة عساكر وفي يد كل منهم «شوال» قماش وبداخله مطفأة حرائق كبيرة، وفي لحظة تحركت المجموعة الثانية بقيادة إسلام وسيطرت تمامًا على مدخل المحطة.. صرخت المجموعة في المسافرين للخروج بسرعة، وفي لمح البصر تم إغلاق باب المحطة بالقفل، إحدى أفكار مغازي المميزة. كان هناك فرد أمن واحد، ارتفع صوته سائلا:

- بتعملوا إيه.. بتعملوا إيه؟

دفعه إسلام بقوة إلى الحائط، ثم أجابه بثقة وصوت أجش:

- ما تتحركش من مكانك بدل ما تتعور.

تهديد واضح وصريح في كلمات قليلة، ثم أشار إلى أحد رجال مجموعته قائلا:

- خليك معاه.

8:32 مساءً.. رصيف1، رصيف2، محطة الجيزة..

قفز وليد من رصيف رقم اثنين إلى رصيف رقم واحد في نفس اللحظة التي رأى فيها شريف خارجا من غرفة المأمور الذي قال لنائبه:

- روح يا شريف شوف إيه الدوشة اللي بره.

خطا شريف خطوات سريعة وسط المسافرين في اتجاه مدخل المحطة فارتفع صوت وليد قائلا:

- حد يوقفه بسرعة..

فى هذه اللحظة ارتفع صوت مغازي قائلا لعسكري وقف بجانبه:

- اجري يا سليمان ناحية المزلقان بسرعة..

جرى سليمان، فارتفع صوت مغازي قائلا:

- حرامي، امسك حرامي..

وقف شريف بعد أن سمع صراخ مغازي.. رأى شخصًا يجري في اتجاه المزلقان، عاد بخطوة سريعة إلى فرد الأمن الذي وقف على باب غرفة المأمور قائلًا وآمرًا:

- هاته بسرعه.

ركض فرد الأمن خلف سليمان في محاولة فاشلة للحاق به، وفي نفس تلك اللحظة أمسك وليد بقوة وعنف يد شريف وكأنه يقبض عليه، وأحاطه

محسب وخلف من الجانبين. وقبل أن يبدي شريف أي ردة فعل أخرج وليد طبنجته وبلهجة حازمة قال له:

- اللي في ضهرك سيج زاور و2 صاعق ألماني، أي حركة أو كلمة هاتجيبك أرض..

مشى شريف في استسلام تام في اتجاه مكتبه وهو يردد:

- ماشي، ماشي، بس هو فيه إيه؟

تملك محسب الضابط وأمسكه بعصبية شديدة، أما خلف فعنفه بالصاعق في ظهره قائلا:

- اخرس وامشي وانت ساكت.

كان شريف يفكر جديًا في استخدام سلاحه الميري إلى أن قال له وليد بثقة:

- لو إيدك اترفعت هتاخد 1200 ڤولت، ورصاصة في رجلك اليمين ورصاصة في رجلك الشمال.

عقب شريف متوترا:

- اهدوا بس، وفهموني فيه إيه؟!

8:32 مساءً.. بوابة مزلقان العمرانية/ رصيف 1، محطة الجيزة..

عاد العسكري إيهاب من مستشفى أم المصريين ومعه الأمين نافع. دخلا معًا المحطة من خلال بوابة مزلقان العمرانية، وعندما اقتربا من مقر قسم المحطة اندفع أربعة عساكر في اتجاه نافع للإمساك به. كان رد فعل نافع عنيفًا وشرسًا حتى اضطر نبيل إلى استخدام الصاعق للسيطرة عليه.

وقد كان، بضربة واحدة من الصاعق أصبح الأمين نافع كجثة هامدة في أيدي العساكر.

وعلى رصيف المحطة، انتشرت عشرات العصي الخشبية في أيدي العساكر. وبعد أقل من ثوانٍ معدودة بدأ الهجوم على قسم شرطة المحطة بداية من مكتب المأمور، ونهاية بجميع النقاط التي تم تحديدها مسبقًا. أصاب الذعر كل ركاب وعاملي المحطة، انزووا جانبا تفاديا لإصابتهم وهم يتابعون ما يحدث في ذهول، أما رجال الأمن فاختفوا خارج المحطة وسط الأعداد الغفيرة التي لم تتوقف عن العراك.

8:33 مساءً.. غرفة الرائد شريف، محطة الجيزة..

وصل شريف إلى غرفته وهو لا يكاد يصدق ما يحدث له وأمامه في المحطة، وأمام باب الغرفة أمسك محسب وخلف يديه بعنف شديد حتى أنه فقد القدرة على التحرك تماما. دخلوا جميعهم إلى الغرفة، أغلقوا الباب، وعندما أشهر وليد مسدسه الميري في وجه شريف ارتفع صوته في محاولة إثبات تماسكه قائلا:

- انتوا عايزين إيه؟! ده أنا هاخرب بيت أبوكو.

حاول شريف المقاومة لكنه فشل أمام قوة وعزم الرجال. أشهر خلف الصاعق في وجهه، بينما مد وليد يده وأخذ مسدس شريف الميري من جرابه قائلا له:

- علشان محدش يتعور.

وضع وليد مسدس شريف في جراب داخلي غير ظاهر قائلا بسخرية:

- اصل انا عامل حسابي.

ثم صرخ وليد وهو يعيد سلاحه الميري إلى جراب الكتف قائلا:

- اطلعوا بره، ومحدش يدخل غير لما افتح الباب!!

وأثناء خروج محسب وخلف من الغرفة دفع وليد بمنتهى العزم شريف على مكتبه. تماسك شريف بصعوبة متوعدا وقائلا بأعلى صوته:

- ده أنا هاطلع عين أمك.

ابتسم وليد، وقال له بهدوء:

- ده لو انت خرجت من هنا واقف على رجليك يا روح امك!!

وكما هو متوقع، قفز شريف على وليد الذي تفادى الهجوم ببراعة، وقابله بضربة رأس قوية أفقدت شريف توازنه.. استجمع وليد كل طاقته واسترجع كل خبراته في القتال والملاكمة فأوسعه ضربًا مبرحا دون توقف في مختلف أنحاء جسده.. نجح شريف مرارًا في الرد على الهجمات ولكنه في النهاية فشل في الصمود أمام لكمات وليد الشرسة والمتتالية. ترنح شريف في الغرفة فصرخ فيه وليد قائلا:

- أنا اللي يقرب من مراتي أدبحه.

في لحظات استرجع شريف واقعة اعتدائه على مها وظهرت في خياله ومضات سريعة حال صفعه لها على وجهها، وأصيب بصدمة نظرا لعدم توقعه أن يكون هذا هو سبب ما يحدث له وللمحطة، وانفعل فجأة وهو يحاول الوقوف مستندا على مكتبه قائلا:

- أنا ماعملتلهاش حاجة، هي اللي وقعت..

- وحياة امك.

عاد وليد وهجم عليه وأوسعه ضربا حتى نزفت الدماء من وجه شريف على ملابسه، ثم قال له بأعلى صوته مكررًا:

- واطي.

وقع شريف منهكا في أحد أركان الغرفة التي تبعثر فيها كل شيء، اقترب وليد منه، وأمسك بيده التي صفعت مها وبمنتهى الغل قام بحركة قيادة لمفصل اليد فأخرجه من مكانه، صرخ شريف من شدة الألم.. فمد وليد يده وشد كتافات الشرطة من على أحد كتفيه قائلا:

- إنت ما تستحقش تبقى ظابط.

استطاع شريف الوقوف مرة أخرى بصعوبة شديدة وهو يعاني من آلام مبرحة في يده، لكن وليد ضربه أربع لكمات خطافية فطرحه أرضًا للمرة الأخيرة قائلا:

- إنت مكانك على الأرض.

بالفعل لم يستطع شريف الوقوف، ركله وليد بقدمه ثلاث مرات متتالية في فم المعدة حتى انكفأ على وجهه الذي امتلأ بالدماء.. انحنى عليه، أخرج محفظته من جيبه الخلفي، نظر في داخلها، أخرج كارنيه الشرطة، وضعه في جيبه، ثم ركله بقوة مرة أخرى في قدميه قائلا:

- فالح بس تهزّب عربيات، وتنصب، وتعلق نسوان من اللجان.. قوم، قوم يا وسخ، ده أنا حافضح أمك.

بعثر وليد كل محتويات محفظة شريف في أرجاء الغرفة، ثم أخرج «الكلبشات» من جيبه، وضع طرفًا في يد شريف الذي استسلم تماما والطرف الآخر في أحد أعمدة مكتبه قائلًا:

- متنساش يا جوز الست تقولهم مين اللي ضربك.

تحرك وليد بهدوء في اتجاه باب الغرفة، فتح الباب فرأى أمامه عمرو، وأخاه عماد محاطًا بخلف ومحسب.. نظر وليد إلى عمرو آمرًا:

- امشي انت من هنا بسرعة.

ثم أمسك عماد من يده بقوة وأدخله إلى الغرفة دون كلمة واحدة.. كان شريف طريح الأرض، منهكًا ومعدمًا، وعندما حاول عماد الاقتراب للنيل منه اعترضه وليد ومنعه ممسكًا يده قائلًا:

- متوسخش إيدك، حقنا خدناه خلاص.

ثم انتبه وليد فجأة لخلف الذي ارتفع صوته مناديًا:

- وليد بيه.

في هذه اللحظة نظر وليد إلى خلف بينما رفع عماد كرسيًا وقذفه على شريف الذي أصابته حالة أشبه بالإغماء.. أمسك وليد أخاه بقوة في محاولة إخراجه من الغرفة حتى ارتفع صوت محسب راجيًا:

- يا باشا لازم نمشي.. الدنيا بره خربت..

8:40 مساءً.. رصيف 1، محطة الجيزة..

وصل القطار المتجه إلى المنيا في اللحظة التي وضع فيها خلف القفل على باب غرفة شريف.. وضع وليد السماعة في أذنه وهو ينظر إلى المحطة التي تغيرت ملامحها، بينما عشرات المسافرين يشاهدون ما يحدث أمامهم وهم في حالة ذعر تام، مسح وليد المحطة بعينيه ثم تحدث بثبات انفعالي قائلا:

- انسحاب.. كله انسحاب حالا..

توالت الاتصالات من قائدي المجموعات بإتمام الإخلاء «1 تمام، 2 تمام، 3 تمام» إلى أن عقب مغازي قائلا:

- رمضان اتمسك.. ظابط من السياحة مسكه..

وقف وليد في مكانه بعد أن كان متجها إلى بوابة مزلقان العمرانية ثم قال منزعجًا:

- إزاي؟!

عاد وليد بخطوات إلى الخلف قائلا:

- كله ينسحب.. شاكر اتحرك ونفذ.

ثم نظر إلى عماد والقطار قائلا بصوت واضح:

- اركب.. إمشي.

لم يتحرك عماد من مكانه، أراد الاطمئنان على أخيه فارتفع صوته قائلًا:

- أنا مش هامشي من غيرك.

اهتم وليد في هذه اللحظة بأن يبعد أخاه عن مسرح الواقعة، خاصة أنه أصبح أمام موقف صعب.. نظر وليد إلى خلف ومحسب وهز رأسه، ماسكا عماد بعنف ليستقلوا جميعًا القطار الذي تحرك بعد ثوانٍ.

تابع وليد بنظراته أفراد مجموعته حتى اطمأن لانسحاب الجميع ثم سأل في الجهاز باضطراب:

- رمضان فين؟

أجابه مغازي:

- ك فهد.

أعاد وليد الأمر بصوت واضح:

- شاكر.. اتحرك ونفذ.

أجاب مغازي بصوت منخفض:

- بيحاولوا يكسروا قفل باب المحطة.

أضاف مغازي:

- إخلي يا باشا، واحنا هانتصرف.

تحرك القطار من أمام وليد الذي لم يترك مكانه إلى أن قال مغازي:

- خلاص.. فتحوا الباب، شاكر دخل المحطة.. يا باشا إخلي.. الأمن كله داخل.

توارى وليد عن الأنظار وسط حشود المسافرين الغفيرة، وحالة الهرج والمرج التي أصابت المحطة، حتى اقترب وتابع واطمأن لدخول شاكر إلى مكتب مأمور المحطة.

8:40 مساءً.. غرفة المأمور، محطة الجيزة..

أمام مكتب المأمور، وقف العميد شاكر في زيه الجديد وفي يده جهاز لاسلكي، وخلفه رجاله من مجموعة الانسحاب، العسكري ثروت مرتديا هو وكمال زي أمناء شرطة وأربعة عساكر بالزي الميري.. دخل العميد شاكر إلى مكتب المأمور مندفعًا قائلا بلهجة عنيفة:

- إيه اللي بيحصل في المحطة ده يا سيادة المأمور؟

انتشرت البودرة البيضاء في غرفة المأمور التي أصبحت في حالة دمار شامل جراء الهجوم الذي تم بمطفأة الحريق، وقف المأمور بصعوبة وهو يسعل بشدة بعد ما تعرض له، وبعد مجهود كبير قال بصوت ضعيف وهزيل:

- سعادتك.. أنا مش..

قاطعه ضابط السياحة قائلا بفخر وهو يشير إلى رمضان:

- مسكنا واحد منهم يا فندم، بس مش عايز يتكلم.

صمد رمضان أمام الإهانات والضرب الذي تعرض له.

اقترب منه العميد شاكر قائلا بحزم:

- أنا هاعرف اخليه يتكلم.

ثم صفعه على وجهه بعزم، وارتفع صوته داخل الغرفة التي اكتظت برجال الأمن قائلا:

- كله يطلع بره.

ثم قال مناديًا:

- يا زفت يا ابراهيم.

كان الأمين ثروت يقف خلفه:

- تحت أمرك يا باشا؟

- فين الزفت اللي معاك؟

ثم أضاف شاكر مشيرا إلى رمضان الذي وقف خائفا ويده على وجهه:

- حط الكلبشات في إيده.

أخرج ثروت «الكلبشات» من جيبه، ووضعها في يده ويد رمضان، فارتفع صوت الشاويش شاكر قائلا لعساكر مجموعته:

- خدوه على البوكس.

اجتهد المأمور حتى تمالك نفسه وقبل أن ينطق بكلمة واحدة أضاف شاكر:

- فيه عربيتين أمن مركزي اتحركوا من المديرية على هنا.. احصر الخساير اللي عندك وتجيلي على المديرية..

ثم نظر إلى ضابط السياحة قائلا:

- إنت اسمك إيه؟

- حازم مبروك سعادتك.

- براقو عليك، تيجي معاه..

- تحت أمرك يا فندم.

لم يعطِ شاكر فرصة لأحد أن يتكلم أو يسأل أي سؤال، خرج من الغرفة في ثقة وبخطوات سريعة إلى أن تخطى باب مدخل المحطة..

اطمأن وليد على رمضان و شاكر فتحرك في اتجاه بوابة العمرانية، رأى من بعيد عددًا من رجال الأمن وقد أغلقوا جميع المنافذ. في هذه اللحظة قفز وليد من رصيف رقم واحد إلى قضيب القطار ومنه إلى رصيف رقم اثنين، وبمنتهى الرشاقة والسرعة وضع يديه وقدميه على أحد أعمدة كوبري المشاة حتى أصبح فوق سور المحطة. أشار عليه أحد المسافرين لأفراد الأمن للحاق به، إلا أنه اختفى خلف السور بعد ثوانٍ.

ومن على رصيف واحد ارتفع صوت مغازي عاليا:

- أيوه البسكوت، أيوه المناديل!

وفي غرفة المأمور سأل النقيب حازم المأمور عن اسم العميد فأجاب وهو يسعل:

- ماعرفش.

قال حازم لأحد الأمناء:

- الحقه بسرعة، واسأله اسمه إيه وإدارته.

- حاضر يا باشا.

هرول الأمين عندما دخل أحد عساكر أمن المحطة مرتبكا قائلا:

شريف بيه منصاب جامد أوي ومتكلبش في مكتبه يا باشا، ومراد بيه يظهر إيده اكسرت والأمين نافع والأمين فوزي متبهدلين يا باشا.

اكتفى المأمور بالنظر إليه دون أن يبدي أي تعليق.

خرج النقيب حازم مبروك من الغرفة فوجد أمامه الأمين الذي عاد مسرعا قائلا:

- مالحجتهمش سعادتك، مشيوا باليوكس بسرعة يا باشا.

انتشر خبر نجاح الشاويش شاكر في مهمته بعد أقل من دقيقة واحدة.. استقبل الجميع الخبر من مغازي الذي تابع الموقف عن قرب مكررا:

- الحمد لله.. الحمد لله يارب.

8:47 مساءً.. شارع البحر الأعظم الجيزة..

في سيارة هاني ارتفع رنين هاتف وليد فأجاب صارخًا:

- الله عليك يا شاكر، الله عليك، أنا قلت ماحدش هيعرف يعمل الشغلانة ديه غيرك.. عفارم عليك.. خليني اشوف أخبار باقي الرجالة إيه واكلمك تاني.

ثم وجه حديثه إلى هاني قائلا:

- فاضل حاجة واحدة بس.

- إيه؟

- نوصل المنيا قبل ما شريف يتكلم.. ده لو اتكلم.

***

الفصل العشرون 20

نجحت خطة الانسحاب بجدارة، استقل عدد من العساكر القطار، وعاد آخرون في سيارات الميكروباص التي كانت في انتظارهم خلف محطة الجيزة، أما خالد فانطلق في سيارة عمرو وأمامهم سيارة شرطة بيك آب يقودها عسكري من القطاع، وبجانبه شاكر الذي ارتدى زي الشاويش الميري، ومن الكابينة الخلفية ارتفع صوت رمضان معاتبا:

- ماكنش فيه داعي للجلم ده يا باشا، إيدك تجيله جوي.

أجاب الشاويش شاكر ضاحكا:

- حقك عليّا يا رمضان، أصلي اندمجت في الدور.

ومن سيارة هاني، وفي طريق العودة إلى المنيا اطمأن وليد مرة أخرى على رجاله، بدأ أول اتصال بمغازي الذي طمأنه على سليمان، العسكري الذي أدى دور اللص في المحطة، وكان سببا في وقوف شريف وعودته بخطوات إلى الخلف:

- سليمان وصل وركبته ميكروباص يا باشا.

- تمام، أنا كنت قلقان عليه.

- لا يا باشا، سليمان ما يتجلجش عليه.

أجرى وليد اتصالا آخر بخالد سائلا:

- فيه حد معاه صواعق ولا أجهزة؟

- كل الصواعق تمام، وأجهزة الاتصال واحد معاك، وواحد مع نبيل، وواحد مع مغازي والباقي تمام.

- الله ينور.

ومن داخل إحدى سيارات الميكروباص ارتفع صوت إسلام قائلا بفخر:

- أخدنا حقنا يا باشا.

- الحمد لله، الحمد لله، هاكلمك تاني، نبيل معايا ع الناحية التانية.

أجاب وليد على نبيل الذي تحدث من داخل القطار ضاحكا:

- فيه واحد صاحبك هيسلم عليك يا باشا.

- مين؟

أمسك إسماعيل الهاتف قائلا:

- أيوه يا وليد.

- إسماعيل!! إنت بتعمل إيه معاهم يا إسماعيل؟

استقل إسماعيل القطار بحقيبتين بهما زي العساكر.. كان الاتفاق أن يسلمهما إسماعيل لأحد العساكر، على أن يغادر القطار قبل تحركه، ولكن من هول الأحداث أمامه فقد إسماعيل القدرة على التركيز إلى أن أغلق القطار أبوابه وبدأ في التحرك.

انفجر وليد ضاحكا فسأله هاني عن السبب، فأجاب معقبا:

- عمرو مش هيرحمك يا إسماعيل على القصة دي.

ثم نظر إلى هاني ضاحكا:

- بقي فيه اتنين هيرجعوا معاك من المنيا؛ عماد وإسماعيل.

***

وأمام مدخل محطة الجيزة، وقف سائقو سيارات الأجرة والميكروباص، والسيّاس، والمسافرون، والمارة يتحدثون ويتجادلون جراء ما حدث أمامهم. لم يجد أحد تفسيرا منطقيا لهذه المشاجرة العنيفة بين هؤلاء الشباب، أسئلة عديدة، آراء وتكهنات لا منطقية:

- أنا هاموت واعرف جُم منين العيال اللي كانوا بيتخانقوا دول؟!

- دي كانت خناقة موت وفي ثانية اختفوا!!

- ولما حد من الأمن كان بيمسك واحد فيهم كانوا بيتلموا عليه لغاية لما يسيبه.

- دول شكلهم إرهابيين!

- إرهابيين إيه يا عم؟! كلهم ولاد ناس، و باين عليهم لعيبة ملاكمة وكاراتيه.

- دول كانوا مش أقل من 200 واحد.

لم يستطع أحد استيعاب السيناريو البارع الذي وضعه وليد والكابتن حمدي، ولكن أغلب الحاضرين اتفقوا على أن ما حدث خارج المحطة بالطبع ذو علاقة وثيقة بما حدث في داخلها.

- دول جابوا قسم المحطة على الأرض.

- المأمور اتبهدل والظابط الوسخ اللي اسمه شريف شكله كده خد علقة موت، هو والظابط الصغير والأمنا بتوعهم..

لم تتوقف التعليقات أمام عم دسوقي الذي وقف أمام كشكه الصغير مستمعا، وبداخله صوت يقول: «أنا متأكد ان ماكنش اسمه الأستاذ طارق»، وعيناه تجولان في المكان بحثا عن مغازي الذي عاد إلى شقة خوفو لمحو وتطهير كل آثار ومتعلقات المهمة.

وفي مستشفى أم المصريين، استلقى الرائد شريف على فراش متهالك، أجريت له الإسعافات الأولية، وعمل غرز جراحية في الشفتين وفوق الحاجب، تطبيب وتضميد لجراحه، وتجبيس ليده، وأخيرا أشعات مقطعية وعادية على الرأس والبطن، أما العقيد زكريا، فأصيب باختناق شديد وصعوبة في التنفس. أجريت له تحاليل عاجلة ورسم قلب وأشعة على الصدر وتم حجزه بالرعاية المركزة وإعطاؤه أكسجين عن طريق «الماسك»، ثم وضعت له المحاليل بعد تناوله لبعض الأدوية الموسّعة للشُّعب.

وبمرور الوقت تحولت محطة الجيزة إلى ثكنة عسكرية، لواءات وضباط، أمناء وعساكر. كان هناك تخوف شديد أن يكون ما حدث مخططًا إرهابيًا أو ذا بعد سياسي، ولكن من خلال التحريات الأولية أيقن مساعد وزير الداخلية لقطاع النقل والمواصلات واللواء مدير أمن الجيزة أنهما أمام هجوم وحادث شخصي منظم دافعه الانتقام، ولكنهم لم يتمكنوا من تبرير أسبابه.

***

وفي المنيا، عاد وليد إلى القطاع الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة ليلا، أي قبل دقائق قليلة من ميعاد مغادرة اللواء عبد الحميد للقطاع.. دخل مسرعا إلى استراحته، ارتدى ملابسه الميري في ثوان، ثم ذهب مهرولا إلى قائد القطاع الذي كان يتابع أحداث أربع وعشرين ساعة.. طرق وليد الباب، ثم خطا بثبات إلى أن وقف أمام اللواء عبد الحميد الذي نظر إليه قائلا:

- إنت فين يا وليد؟ أنا سألت عليك، هو مش انت نبطشي النهارده؟

لم يرد وليد وإنما أعطى لقائده التحية العسكرية بمنتهى الجدية، ثم مد يده في جيبه وأخرج طبنجة شريف الميري، وكتافات رائد الشرطة والكارنيه الخاص به، ووضعها بيسار اللواء عبد الحميد الذي نظر إليه في ذهول.. ثم أخرج وليد سلاحه الميري، وكتافاته ذات النجوم الثلاث، والكارنيه الخاص به ووضعها بيمين قائده الذي سأل في اندهاش:

- إيه ده يا وليد؟

وعلى مدار عشرة دقائق سرد وليد لسيادة اللواء ما قام به هو ورجال سريته في قسم محطة الجيزة، ثم أنهى حديثه قائلا بشجاعة:

- أنا كده خلاص خدت حقي، واللي حضرتك تشوفه يا فندم.

لم يرد اللواء عبد الحميد لمدة تزيد على ثلاث دقائق، كل دقيقة بمثابة ساعة، الأطول والأصعب في عمر هذا الضابط. خلال هذه المدة وقف وليد بثبات شديد وهو ينظر إلى قائده الذي حار أمام تصرفه الأهوج وتعريض

أفراد سريته للخطر من أجل الانتقام الشخصي، لكنه كان يعي تمامًا أن وليد حاول جاهدًا أخذ حقه بالقانون إلا أنه عجز عن تنفيذ ذلك في دولة الفساد.. كسر أخيرًا اللواء عبد الحميد حاجز الصمت سائلا بحدة:

- إزاي تعمل كده من غير ما تقولي؟

أجاب وليد بصوت واضح:

- يعفي سعادتك من المسئولية يا فندم.

- هو انا كده مابقتش مسئول؟ كان لازم أبقى عارف.

- خُفت سعادتك ترفض، وساعتها مش هاقدر اكسر كلامك يا فندم.

عاد الصمت إلى المكان مرة أخرى إلى أن قال اللواء سائلا:

- فيه حد فيكم اتمسك؟

- لا يا فندم.

- فيه حد اتعرف عليك غير الظابط؟

- لا يا فندم.

- ظبطت دفاترك وبنود الناس اللي شاركت معاك؟

- أيوه يا فندم.

عاد اللواء عبد الحميد إلى الوراء في مقعده وهو يفكر بعمق لثوانٍ ثم أكمل حديثه قائلا:

- إلبس كتافاتك يا وليد وارجع لشغلك وما حدش يتكلم في الموضوع ده نهائي.

- تحت أمرك يا فندم.

وحرصا من اللواء عبد الحميد على عدم تعرض وليد للمساءلة أضاف

قائلا:

- خد كل حاجة، وبكره الطبنجة ترجع.

- تحت أمرك يا فندم.

مد وليد يده، أخذ أغراضه، وسلاح وكتافات وكارنيه الرائد شريف من أمام اللواء عبد الحميد الذي كان مشوشًا. أعطى وليد التحية العسكرية لقائده الذي هز رأسه معاتبا بلغة جادة:

- إنت لازم تتجازى يا وليد.

- اللي سعادتك شايفه يا فندم.

خرج وليد من الغرفة وبعد عشر دقائق ارتفع صوت رنين هاتف عبد الحميد الذي أجاب قائلا:

- أفندم.

- سيادة اللواء عبد الحميد صقر؟

- أيوه مين؟

أجاب المتصل:

- معالي الوزير هيكلم سعادتك.

ارتبك اللواء للحظات، اعتدل في مجلسه قائلًا بنبرة واضحة لا تعكس كم القلق الذي أصابه:

- أؤمر معاليك.

- فيه ظابط عندك اسمه وليد سامي؟

- أيوه يا فندم.

- هو فين؟

- موجود في القطاع معاليك.. خير؟

قاطعه وزير الداخلية سائلا:

- موجود؟! حكالك على اللي عمله في المحطة النهارده؟

- محطة إيه يا فندم؟!

- محطة الجيزة.

- وليد نبطشي النهارده وماغادرش القطاع، تحب معاليك استدعيه واسأله عن أي حاجة؟

تنهد وزير الداخلية، وصمت لثوانٍ ثم أجاب قائلا:

- شكرا يا سيادة اللوا.

***

وفي التحقيقات أقر الرائد شـريف بـأن مرتكب الواقعة هو النقيب وليد في ضوء تقدمه بشكوى ضده إلى قطاع التفتيش، الذي أسند هذا الملف بدوره إلى العميد رؤوف حيث كان مسئولا عن تقديم المذكـرة من قِبَل النقيب وليد سـامي والذي تم استدعاؤه فـورا من قطاع الأمـن المركزي بالمنيا للتحقيق معه في مدى صلته بالواقعة.

وفـي السـاعة الواحدة ظهرا، كان مغازي في انتظـار وليد الذي عاد إلى القاهرة. وفي علبة داخل كيس بلاسـتيك مغلق بإحكام وضع وليد سـلاح الرائد شـريف ومعه ظرف أبيض طبع عليه اسـم مأمور قسـم الجيزة. رحل مغازي مسـرعا إلى الجيزة وبعد دقائق أجرى اتصالا هاتفيا بالعقيد حسـان من هاتف غير معلوم المصدر قائلا:

- فيه سلاح ميري وجواب لسعادتك جوه كيس في صندوق زبالة كبير عند نادي المعلمين في شارع البحر الأعظم.

وقبل أن يسأل العقيد أي سؤال أنهى مغازي حديثه قائلا:

- أنا فاعل خير.

استقل العقيد حسـان سيارة الشرطة في شـارع البحر الأعظم، ثم أشار لقائدهـا بالوقـوف أمـام نـادي المعلميـن. أعطـى تعليماتـه لأفـراد الأمن بالبحـث في صندوق القمامة عن كيس مغلق، فعثروا عليه دون أي مجهود يذكر. ومن على الرصيف المقابـل وقف فاعل الخير يتابع الموقف بتركيز إلى أن رحلت سيارة الشرطة عائدة إلى القسـم.

عاد العقيد حسـان إلى مكتبه، فتح الكيس بشـغف وقلق شـديدين، إلى أن رأى أمامـه طبنجـة ميـري، وخطابًا مغلقًا باسـمه مكتوبا عليه: «خاص

وشخصي». كانت رسالة قصيرة قرأها وليد من قبل وأعجب بها ثم أعاد صياغتها، وأرسلها بعد كتابتها على الكمبيوتر:

«أخي العزيز حسان بيه الشافعي

تحية طيبة وبعد،

بيني وبين مصر وفاء وعهد، ولست بالذي لا يفي بعهده،

وحبذا لو علمت أن هذا الوفاء هو ما علمتني إياه مصر».

قرأ العقيد حسان الرسالة ثلاث مرات ثم أعادها إلى الظرف، ووضعه في جيبه قائلا لنفسه: «لك مني كل احترام يا وليد».

وفي نفس الساعة قام العقيد حسان بتسليم الطبنجة الميري إلى مديرية أمن الجيزة بمذكرة رسمية معلنا العثور على السلاح في شارع البحر الأعظم من خلال مصدر مجهول.

* * *

بعد أول يوم تحقيق عاد وليد إلى مها التي كانت تنتظره بالمنزل.. لم تكن على دراية بما حدث، وعندما سألته عن سبب عودته إلى القاهرة مرارا في توقيتات أخرى خلاف إجازاته أجاب مبتسما:

- أنا باين عليا هاطوّل الأجازة دي.

- يعني خلاص انتقلت القاهرة؟!

- مش متأكد، بس فيه احتمال كبير اني ألبس البيجامة على طول.

- بيجامة؟! أنا مش فاهمة حاجة خالص.

- خليكي هنا ثانية واحدة.

دخل وليد إلى غرفته لثوانٍ، ثم عاد وأعطى لمها كارنيه شريف في يدها سائلا:

- تعرفي مين ده؟

نظرت مها في الكارنيه، وتعرفت على شريف فأجابت باستياء:

- ده الظابط الحيوان.

قاطعها وليد الذي مد يده وأعطاها كتافات رائد الشرطة وأضاف قائلا:

- ودي كمان الكتافات بتاعته.

سألت مها في اندهاش:

- إيه ده؟! جبتهم منين؟!

حكى وليد بالتفصيل ما حدث بداية من الفكرة ووصولا إلى حصوله على الكارنيه والكتافات ومها تستمع وهي تقفز كالأطفال فوق «الكنبة» معقبة بكلمات قصيرة وأسئلة كثيرة:

- إزاي؟!

- مش ممكن؟! بجد؟

- يا نهار أبيض.

- برافو يا وليد.

- عماد شافه كده؟!

دمعت عينا مها من شدة الفرحة؛ إذ وعد وليد فصدق، وارتفع صوتها عاليا:

- أنا بحبك أوي يا وليد، وكنت واثقة انك هترجعلنا حقنا.

وفي لحظة قفزت مها في أحضان زوجها وهي تقول له ولأول مرة في حياتها:

- تعالَ بقى، أنا اللي عاوزاك في موضوع مهم أوي أوي اوي.

وفي طريقهما إلى غرفة النوم أمسكت مها يد وليد الذي ابتسم أخيرا من قلبه قائلا:

- أنا كمان بحبك أوي يا مها.

قضى وليد ومها ليلة رومانسية جميلة، الأولى منذ يوم الحادثة، تدفق خلالها بركان من المشاعر ممزوجا بكلمات الهيام والعشق.

* * *

وعلى مدار أيام دأبت أجهزة البحث كافة في محاولة الوقوف على خلفيات وأسباب تلك الواقعة، والتي نتج عنها التعدي على ضباط وأمناء قسم محطة الجيزة. وعلى صعيد آخر، تم إيقاف الرائد شريف عن العمل لمدة ستة أشهر لإهماله؛ مما تسبب في فقدانه لسلاحه الميري والكارنيه الخاص به، وما حدث في المحطة من تلفيات على خلفية ممارساته غير القانونية، وقد تم أيضا مجازاته إداريا بصورة فورية وخصم عشرة أيام من راتبه. توالت الشكاوى من المواطنين وزملائه بالعمل خاصة عقب علمهم بالواقعة مما أعاد فتح باب التحقيقات في مخالفاته السلوكية والمهنية، وقد كان اللواء هاشم أول من اهتم بتطبيق القانون حيال إهمال ورعونة هذا الضابط.

بعد مرور ثلاثة أسابيع أعلنت تحريات أمن الدولة أن النقيب وليد كان موجودًا بقطاع الأمن المركزي بالمنيا يوم التاسع والعشرين من نوفمبر، على مدار هذا اليوم بالكامل، حيث أثبتت توقيعات الدفاتر والشهود بوجوده بالقطاع، وقد اعتمد ذلك اللواء عبد الحميد صقر رئيس القطاع، بالإضافة إلى ما أفادت به إحدى شركات الاتصالات عن قيام وليد بإجراء ثلاثة عشر اتصالًا هاتفيًا هذا اليوم من خلال برج اتصال واحد بالمنيا، منها ثلاثة اتصالات من الساعة السابعة إلى التاسعة مساءً، أي وقت حدوث الواقعة، وفي النهاية أشارت بعدم الوقوف على مرتكبي واقعة الاقتحام.

وفي آخر جلسة تحقيق بالتفتيش جلس النقيب وليد أمام العميد رءوف الذي أشار للكاتب بالخروج من الغرفة قائلا:

- إستنى بره لغاية لما اندهلك.

مد رءوف يده، أمسك ملف أوراق التحقيقات الكثيرة، طواه إلى أسفل واضعا قلم الكاتب عليه، ثم أزاحهما بيده جانبا قائلا:

- أنا واثق مليون في المية إن انت اللي عملت كده، بس ما فيش حاجة في الورق اللي قصادي تدينك.

وقف العميد من مجلسه، فوقف وليد أمامه وجها لوجه، وبعد لحظة صمت قصيرة ارتفع صوت رءوف قائلا:

- أنا مبسوط انك عرفت تظبط ورقك.

ثم نظر إليه باحترام وأضاف قائلا:

- حفظ التحقيق يا سيادة النقيب.

أعطى وليد التحية العسكرية للعميد الذي أجاب بابتسامة جميلة ودون كلمة واحدة.

وفي التقرير النهائي قرر تفتيش الوزارة حفظ التحقيق في تلك الواقعة لعدم التوصل لمرتكبيها، وعدم إثبات تواجد النقيب وليد خارج القطاع محل عمله يوم ارتكابها، وكذا عدم إثبات وجود أي صلة بين تلك الواقعة والشكوى الخاصة التي تقدم بها النقيب مسبقا؛ حيث تم حفظها من قبل قطاع التفتيش بوزارة الداخلية.

وبعد انتهاء التحريات والتحقيقات، وفي قطاع الأمن المركزي بالمنيا أصدر اللواء عبد الحميد قرارا شفهيًا للنقيب وليد بإلغاء إجازاته لمدة ثلاثة أشهر متتالية لما بدر منه، وقد التزم وليد بذلك عن طيب خاطر.

***

وعلى مدار عدة شهور ساد جو من الارتياح في محطة الجيزة بين العساكر والأمناء والعاملين لما حدث للرائد شريف.. وعقب انتهاء إيقافه تم إلحاقه للعمل بقوات أمن شمال سيناء في إحدى النقاط الحدودية. وفي موقعه الجديد تأقلم شريف سريعا، استطاع بناء شبكة علاقات، تمادى في السهر وشرب الخمر والمخدرات وارتبط بكثير من الفتيات الأجنبيات وخاصة جميلات روسيا حتى أنه أصبح يقضي أيام إجازته في سيناء مستمتعا بعيدا عن ذكريات القاهرة الأليمة.

***

وفي حركة تنقلات الشرطة في العام الجديد، حصل وليد على رتبة رائد، وتم نقله أيضا من المنيا إلى قطاع الأمن المركزي بالدَّرّاسة.. تسلَّم وليد عمله في المقر الجديد إلا أنه قرر بعد شهرين تقديم استقالته من جهاز الشرطة، وكان ذلك قرارًا اتخذه مسبقا منذ تم حفظ التحقيق في إدارة التفتيش بالوزارة.. حاول كثيرون إقناعه بالعدول عن ذلك، ولكنهم فشلوا أمام إصراره.

وبعد قبول الاستقالة سافر وليد ومها إلى السعودية لأداء العمرة. وفي جدة كان في استقبالهما الشيخ عرفان صاحب المؤسسة العملاقة التي ساهم والده محمد سامي – رحمه الله – في تأسيسها.. وفي هذه الرحلة اقترح الشيخ عرفان على وليد العمل معه، وبعد أن وافق وليد مبدئيا اتفقا معًا على تأسيس شركة جديدة في مجال التكنولوجيا.. وبمنتهى السخاء أعطى الشيخ عرفان نسبة من أسهم الشركة إلى وليد الذي وعده ببذل أقصى جهد، وكعادته وفَّى بذلك..

***

وفي شهر يوليو أيضا، تم إحالة اللواء عبد الحميد للمعاش في مفاجأة لم يتوقعها، وقد أشيع أن السبب وراء هذا القرار هو حادث المحطة، بعد أن ساهم في مساندة وتغطية موقف النقيب وليد.. تماسك عبد الحميد بعد هذا الموقف واتجه لمباشرة أرضه التي تقع بعد مدينة الشروق، أما يحيى فأعلن خطبته لزميلته في البنك، وظل يثبت كفاءته في العمل حتى وصل إلى درجة مساعد مدير قطاع تمويل السيارات بالبنك.

***

وفي صيف هذا العام سافر الدكتور رأفت إلى إنجلترا لحضور مؤتمر طبي، وقد رافقه في هذه الرحلة أحمد وعماد.. كانت رحلة ممتعة، انطلق فيها الصديقان، وقبل عودتهما بأيام وقف عماد في قسم استقبال الفندق أمام فتاة صغيرة صارخة الجمال سائلا:

- نفسي اتفرج على ماتش في الدوري الإنجليزي، ممكن تقوليلي أعمل إيه؟!

في اليوم التالي لهذا السؤال ذهب عماد وليزا إلى استاد فريق توتنهام لمشاهدة مباراة بين توتنهام وساندرلاند، وبسرعة البرق تبادلا الإعجاب ونشأت علاقة بينهما. أمام هذا التطور السريع فشل الدكتور رأفت وابنه أحمد في إقناع عماد بالعودة معهما إلى القاهرة.

استقر عماد في لندن، وفي غضون أسابيع ساعده أحد المصريين في الحصول على وظيفة في فندق أربعة نجوم.. تأقلم عماد سريعا على الحياة في لندن وأحبها كثيرا، وقد كانت علاقته بليزا أحد أهم أسباب سعادته واستقراره.. وبعد مرور عام واحد زار عماد وليزا القاهرة ليعلنا معًا خبر خطبتهما وسط فرحة الأهل والأصدقاء.

***

بعد عملية المحطة بأشهر قليلة تزوج عمرو ونور في فرح أقيم في فيلا على حمام سباحة.. وبالرغم من أن عمرو أصبح أبًا بعد سنة من الزواج لابنة أسماها ليلي إلا أنه لم يتغير؛ إذ استمر في أفلامه و«مقالبه»، ولكنه في حقيقة الأمر كان سببًا دائمًا لبهجة وابتسامة كل من حوله.

في اليوم ذاته الذي أنهى فيه مغازي خدمته العسكرية اتصل بعمرو الذي وفى بوعده وضمه إلى فريق عمل شركته.. شهور قليلة وأصبح عمرو يعتمد على مغازي في أشياء عديدة إلى أن أطلق عليه لقب «الجوكر».

***

وبعد مرور عام تزوج إسماعيل وحنان في شقته بالروضة.. فرح حضره الأصدقاء وأخته نورهان، وبعد تسعة أشهر رزقهما الله بمولود أسمياه حسين على اسم جده، وعندما علم حسين قطب بالخبر حن قلبه، وبعد فترة أعطى لنفسه فرصة للقاء ابنه وزوجته وحفيده، ومن هنا عادت العلاقة وقد كان السبب هو «حسين» صاحب الأشهر الثمانية.

***

وبعد عامين، حدثت المعجزة، نجحت والدة هاني مدام ماري في اختيار بنت جميلة اسمها كارولين. ذهب هاني للقائها بالكنيسة وكما يقال «تحصيل حاصل». فوجئ هاني من أول لحظة أنه أمام فتاة بريئة وجميلة وذكية.. في نفس اليوم اعترف هاني بإعجابه بها إلى ماري التي انتهزت الفرصة وطلبت زيارة رسمية من والدتها.

***

وبعد شهور من طلاق بيري اعترفت لها صديقتها رنا بأن صديقهما وزميل الجامعة مازن هو الذي قام بتنفيذ خطة مراقبة شريف.. بعد أن اتصلت به بيري لتشكره اتفق الأصدقاء الثلاثة على العشاء معًا.. وكما قررت الصديقتان من قبل اشترت بيري هاتفًا محمولاً «Armani» هدية لمازن تقديرًا منها للدور الذي قام به.. تقابل الثلاثة في «لابوديجه»

بالزمالك، وأثناء العشاء فتحت بيري حقيبة يدها، أخرجت الهدية ووضعتها أمام صديقها قائلة:

- ميرسي يا مازن، بجد مش عارفه اقولك إيه!

ابتسم مازن، أمسك الهدية ثم وضعها أمام بيري متمتمًا:

- مش هايحصل.. ومن فضلك ما تخلنيش أزعل.

أصرت بيري على موقفها، إلى أن أمسك مازن الهدية قائلا:

- ده موبايل بنات، مبروك على رنا.

بعد عام ونصف العام من هذا اللقاء، تم إعلان خطبة بيري ومازن الذي أحب يارا وسارة من كل قلبه، بل وتعامل معهما كأب حنون، أما رنا فقررت العودة إلى أمريكا للحياة مع والديها وأخيها الصغير في ولاية كاليفورنيا.

* * *

وأخيرا معتز الذي فاجأ الجميع بتغيير جذري مئة وثمانين درجة، أصيب في حادث سيارة على طريق العلمين ونجا من الموت بأعجوبة.. ما من أحد رأى السيارة إلا وتوقع مصرع قائدها، ولحسن حظه أنقذت الوسادة الهوائية حياته.. سافر معتز إلى لندن بعد الحادث واستمر علاجه لمدة تجاوزت السنة.. وبعد عودته إلى القاهرة ذهب للحياة مع والده الذي رحب به كثيرًا بل وكان سعيدا بعودة ابنه إليه وإلى رشده.. وبمرور الشهور وضع معتز كل طاقته في العمل إلى أن أبهر الجميع بمجهوده وذكائه.

* * *

وفي إحدى زياراته للقاهرة ذهب وليد إلى محطة الجيزة، مر على كشك عم دسوقي الذي نظر إليه قائلا بابتسامة جميلة، وبدون تردد:

- الأستاذ وليد.

- إزيك يا عم دسوقي؟

- وهو عمّال يقولّي الأستاذ طارق، وأنا أقوله لأ ماسموش الأستاذ طارق..

أعطى عم دسوقي كوب شاي لوليد قائلا:

- سكرك مظبوط، أنا فاكر.

- صح يا عم دسوقي.

- الناس كلها بتسألني على بلدياتي، قولتلهم سافر ليبيا.. هو صحيح اسمه إيه؟

- اسمه مغازي..

- كان ابن حلال مصفي.. سلم لي عليه..

- يوصل يا عم دسوقي.

ثم فاجأ وليد قائلا:

- عفارم عليك يا بني.. أنا ميعرفش أخزّاه بس بفهم.

- ربنا يديك الصحة يا عم دسوقي.

ثم أعطى وليد ظرفا لعم دسوقي قائلا:

- أشوفك على خير يا عم دسوقي.

صافح وليد بحرارة صديقه عم دسوقي الذي استمر في الدعاء له قائلا بصوت صادق ودافئ:

- ماتغيبش علينا يا أستاذ وليد، والسلام أمانة لبلدينا.

***

بداية

الرياض، المملكة العربية السعودية، 16 مارس 2012

عاد وليد ومها وأولادهما: فريدة، وعمر، وفيروز من المطار إلى المنزل.. كم كانت مها غاضبة من وليد بعد تسببه في عدم لحاقهم بالطائرة.. تأخّر وليد في العمل وازدحام الطريق إلى المطار بسبب حادث سير أديا لوصولهما إلى مطار الرياض قبل إقلاع الطائرة بعشرين دقيقة فقط.. حاول وليد بهدوء شديد إقناع العاملين في المطار بالسماح لهم بالسفر لكنه فشل وعاد إلى زوجته وأولاده قائلا:

- لعله خير.

سألت فريدة ذات الأعوام الثماني والدها:

- الطيارة فاتتنا، لعله خير ازاي بس يا بابا؟!

ابتسم وليد قائلا لنفسه: «الله يمسيك بالخير يا شيخ رجب»، ثم واصل قائلا:

- هاحكيلك حكاية حلوة أوي.. كان فيه ملك ووزير راحوا يصطادوا في الغابة، وهما ماشيين وقع الملك في حفرة، إيده اتعورت وصباعه اتقطع.. الملك اتضايق أوي.. لكن الوزير قاله: «لعله خير».. اتضايق الملك أكتر من كلمة الوزير، وقال لنفسه: «يعني أنا صباعي يتقطع وتقولي لعله خير؟!»،

نادى الملك على الحراس وقالهم: «دخلوه السجن»، والغريب ان الوزير أول ما الحرس مسكوه بص للملك وقاله: «لعله خير».. رد الملك وقال: «أكيد الوزير اتجنن».

مرت الأيام والملك راح يصطاد تاني، بس كان لوحده، طلع عليه مجموعة ناس بيعبدوا الأصنام.. شافوا الملك شكله حلو، ولابس هدوم جميلة وعلى راسه تاج، قالوا ناخده نوديه هدية لأكبر صنم عندنا.. مسكوه ولما الساحر شافه وشاف صباعه المقطوع قالهم: «ماينفعش، ده صباعه مقطوع، ولازم اللي نقدمه للصنم الأكبر يبقى بني آدم سليم».. سابوه فرجع الملك بسرعة على القصر وقرر يطلع الوزير من السجن.. حكى الملك للوزير اللي حصله وقال له إنه عرف ليه «لعله خير» بالنسبة ليه، بس كان نفسه يعرف «لعله خير» بالنسبة للوزير ازاي؟! ابتسم الوزير وقال: «اما انا لو ماكنتش اتسجنت كان زماني رحت معاك الغابة وخدوني أنا علشان يدوني هدية للصنم الكبير بتاعهم»..

نظر وليد إلى ابنته الصغيرة، وقال بحنان:

- فهمتي ليه الواحد لازم يقول دايمًا «لعله خير»؟!

ابتسمت فريدة قائلة:

- حلوة أوي الحكاية دي يا بابا، هي حصلت بجد؟!

احتضن وليد ابنته قائلا:

- مش عارف، لما نرجع مصر هاروح اسلم على الشيخ رجب واسأله.

***

القاهرة، جمهورية مصر العربية، 17 مارس 2012

من مكتبه في الوزارة، ارتفع صوت العقيد شريف قائلا لأحد ضباط إدارته:

- وبعدين في شوية الأُمنا دول؟! هيقرفونا كل شوية.. مش ناقصهم هما كمان.

- دول عايزين يمشّوا الوزير، ومش راضيين يدخّلوا الظباط الأقسام.

- شوية كلاب وطلعلهم صوت.

كان شريف في قمة الغضب من إضرابات ومظاهرات الأمناء احتجاجا منهم على تدني وضعهم المادي والمهني.. وسط هذه الأحداث ارتفع رنين هاتف شريف فأجاب قائلا:

- أيوه مين؟

- أيوه يا شريف بيه، أنا النقيب خليل مذكور من مطار القاهرة.

- أهلا يا خليل.. خير؟

- سعادتك، وليد محمد سامي وأسرته وصلوا القاهرة.

اعتدل العقيد شريف في مقعده وأجاب سائلا:

- وصلوا إمتى؟

- لسه خاتملهم الباسبورات حالا، وشايفهم واقفين على سير الشنط.

ابتسم شريف ساخرًا وأجاب شاكرًا:

- حمد الله على السلامة...

***

كلمة $\frac{1}{2}$

جندي الأمن المركزي يعيش في الشارع من 25 يناير 2011 إلى يومنا هذا هدفا للعدوان والجراح والاستشهاد، إن لم يكن في الشارع، ففي الجبهة على أيدي الإرهابيين، وإذا كانت الدولة مفلسة تفرض عليه كجندي أن يعطي ولا يأخذ إلا ملاليمَ في الشهر فأين ذهبت قلوبنا الرحيمة، وهو واحد من أهالينا الفقراء؟ ولماذا تظل تبرعاتنا بعيدة عن أتعس إنسان في مصر؟

أحمد رجب

***

- نفسك تطلع إيه لما تكبر؟

- نفسي أطلع ظابط..

ورجع حلم الولاد زي زمان.

ساندرا نشأت

***

في دولة الفساد، لا يؤخذ الحق إلا بالقوة.

شريف العبد

***

نـداء

إلـى كل رجـل شـرطة: اجعل هدفـك الوحيد هـو الفوز بثقـة واحترام المواطـن المصـري، واعلـم جيـدًا أن حريتـك مـن حريتـه، وكرامتك من كرامته، وإذا فزت بهذه الثقة وذلك الاحترام فقد حققت أمل مصر فيك.

اللواء/ الريدي عباس

***

إلى جميع أمهات شهداء جهاز الشرطة المصري

أبعـث هذه الكلمات العطرة إلى كل أم فقدت أعز ما تملك في حياتها، فقدت بطلًا بمعنى الكلمة، فقدت شـهيدًا دافع عن أمن وأمان هذا الوطن. أدى دوره على أكمل وجه وتوفي أثناء تأدية واجبه بإخلاص.

أحب أن أقول لكل أم: روح ابنك في جنة الخلد بإذن الله.

م/ إيهاب محمد لهيطة

***

أمضيت ثمانية عشـر عاما من عمري كنت فيها ضابطا بوزارة الداخلية. صـادفت العديد من شـاكلة «شـريف» الذين هـم - رغم قلة عددهم - مثال مكروه ومرفوض يسـيء إلى سـمعة ضباط الوزارة جميعًا. وعلى النقيض، يوجد «وليد» مثال الرجولة والشهامة والقدوة الحسـنة.

حفظ الله مصر وأراحنا من أمثال «شريف» وأكثر الله من أمثال «وليد». بدونهـم قـد تتحـول الحيـاة إلى غابـة يفتـرس فيها القـوي مَنْ لا حـولَ له ولا قوة.

محمد الحكيم

***

تذكرت وأنا أقرأ رواية «٢ ضباط» سنوات الحب الأولى، وأول صورة لفارس الأحلام بالبدلة الميري. وكذلك دعوات أم أحمد التي ارتفع صوتها داعيا: «إن شاء الله يا ست هانم ربنا هيعوض صبري خير على الشقا والتعب واشوف ابني أحمد ظابط قد الدنيا»..

أدركت أن الضابط في وجدان المرأة المصرية ونظرتها ما هو إلا تجسيد لفكرة الأمان والحماية عند البنت ودليل على حسن الرباية عند الأم؛ لهذا فلا يجوز أن يكون فاسدا، ولابد من أن يكون بطلًا..

آيات أبو الفتوح

***

إلى رئيس أكاديمية الشرطة

أنا مؤمن بأن أكبر مشكلة تواجه مصرنا على الإطلاق هي التعليم؛ لذا اخترت أن أطلب منك أن تتأكد وأنت تضع مناهج ضباط شرطة المستقبل أن هذه المناهج تحوي الآتي كفلسفة ومسلك تعليمي: الشرطة جهاز خدمي مهمته حماية المجتمع، وضابط الشرطة مواطن اختار أن يخدم في هذا المجال، وعليه فليس له مزية عن إي مصري آخر إلا بتفوقه في عمله دون جور على الآخر. أرجو أن تُعلّم طُلّابك أن للجميع حقوقًا وأنه ليس من حق أحد امتهان كرامة من يقف أمامه لأي سبب، وأن العنف ليس وسيلة ولا حلًّا.

هشام الخشن

***

عمري مـا تمنيت إن ابني يقابـل بلطجية كل يوم، ولا يتعامل مع تجار مخدرات، ولا يمسـك سلاح ويسـتخدمه، ولا تكون مهنته مخاطرة كبيرة، وفي آخر اليوم ممكن يرجعلي شهيد.. وهي دي شغلة الضابط..

هشام عبد الخالق

***

إن التفتيـش بوزارة الداخلية يعد مكونا أسـاسـيا للنهوض بقطاع العمل، فـي إطـار الالتزام الدقيـق باحترام القانـون، والحرص الشـديد على تعزيز اسـتقلاله، فمـن مهامه السـهر على حسـن الأداء و توحيـد مناهج العمل، والسـعي إلى دمج المؤسسـات الشـرطية في تفعيل هذا المنظـور، وإذكاء الثقـة فـي نفس الضابـط، وجعله يؤمـن بأن مهمـة التفتيـش لا تنحصـر في التنقيـب عن الأخطاء وإقامة الحجة عليه والاجتهاد في إثبات الدليل فقط، بـل إن من مهامه الإرشـاد والتأطير ورصد الشـرفاء النزهـاء منهم واقتراح تحفيزهـم وتشـجيعهم؛ كما أن للتفتيش دورا مهمًـا في الوقوف بكل حزم وصرامـة، وبـدون هـوادة؛ لرصد الإخـلالات المهنية والفسـاد الأخلاقي والسلبيات التي تمس سمعة الحماة بغية تقويمهم إذا مالوا.

ولكن للأسـف أصبح التفتيش يمثل المعنى الأخير فقط، بل ويزيد على ذلك فاقدا الهدف الأساسي في دعم ومسـاندة الضابط إذا انتهكت حقوقه.

ياسر عبد الرحمن مصطفى

***

شعور مفعم بالامتنان ينتابني كلما صادفت ضابطًا من القوات الجوية، ذلك المقاتل الحربي الذي يخترق السحاب بأجنحة من شجاعة وتحدٍّ للأهوال تنحني له الأقدار احترامًا واعتزازًا، وبالمثل مدينة أنا باستقراري الحياتيّ لكيان حرس الحدود البري، تلك التركيبة الفولاذية التي تقف في وجه المعتدي كالجدار العازل، فلا منفذ ينفع منه العبور ولا معبر ينفع منه النفاذ، وبقدر ما يحاصرني الخوف على مستقبل وطني حبيبي الأكبر، وموقعه من الإعراب على خارطة التاريخ، بقدر ما تملؤني الطمأنينة على حدودي الجغرافية كافة برًا وبحرًا وجوًّا؛ لأني محروسة بعين نسرٍ صقريٍّ لا مثيل لبصيرته.

حنان مفيد فوزي

***

البيت المنقسم على ذاته يخرب.

على مدار سنوات طويلة، عاصرت و عاشرت كثيرا من رجال الشرطة الأمناء ولمست بوضوح بعض التشكيك و بعض التجريح لبعضهم بعضًا ووجدت من قيادات الداخلية تميزًا بيّنًا في المرتبات بالقطاعات المختلفة. أتمنى أن أرى في مصر الجديدة جهازًا أمنيًا قويًا متماسكًا نفتخر به جميعا.

عاشت مصر آمنة مستقرة على أيدي رجال الداخلية الشرفاء.

م/ هاني سعد

***

من ضابط شرطة إلى الشعب:

أبكاني احتضان الشعب المصري الثائر لأبنائه من رجال الشرطة، ويشرفني أن أكون فداء أبنائك يا مصر.

المقدم/ أحمد لطفي

***

إلى كل شهيد مصري فقدته أمه..

إلى كل شهيد مصري بذل روحه ليفدي وطنه..

وطن قرر أن يبحث عن حريته وسط أنقاض دولة الظلم.. فلم يجدها.. وغابت أعواما طويلة.

إلى كل فدائي قرر أن يسلم روحه بين ذراعي مصر، فسالت دماؤه على أرضها لتروي كل زهور الحرية باللون الأحمر..

إلى كل شباب الثورة الذين تصدوا يوم 25 يناير بشجاعةٍ وحبٍّ لمبدأ وقضية وحُلم. إلى كل شهداء الداخلية الذين سقطوا مُدافعين عن قَسَم أقسموه يوم تخرجهم، ومبدأ اعتنقوه حين انتصروا لمبدأ الحق، إلى كلّ ضابط ومجند حمل سلاحا ضد الخيانة والسطو والعنف.

إلى كل هؤلاء.. وأنتم خير أجناد الأرض..

طوقتم مصر بالأمل.. ومنحتموها الحرية طوقا من الياسمين.. فذكراكم ستبقى دائما رائحة الكرامة ومذاق الحُلم وعبق الانتصار.

د. رشا سمير

***

إلى أخي ضابط الشرطة: أنتظر منك الحزم والحسم وتنفيذ القانون بإنسانية دون تهاون ...

احترامي لك قائم على احترامك لي، بل واحترامك لكل طبقات المجتمع على السواء..

أعتمد عليك تماما في تحقيق النظام وتنفيذ القانون وحمايتي.. فلا تخذلني.

إلى وزير الداخلية : أرجو منك مراعاة أخي الضابط وإعطاءه كل حقوقه المادية والأسرية من إجازات وساعات عمل، تحقق التوازن بين الوظيفة والأسرة مع كل الحزم في تأدية عمله على أكمل وجه.. كم من كفاءات مهدرة داخل الشرطة في انتظار قيادة ترعاهم وتساعدهم على العطاء وتوفر لهم التدريب الحديث. بدون جهاز قوي وعادل للشرطة لا يمكن قيام أي دولة. وفقكم الله في خدمة الشعب والمحافظة على الوطن.

عمرو عبد الرحيم عبد الله

***

إلى جندي الأمن المركزي:

تخيل حضرتك إن مصر كلها عرفت إنك مفتاح الأمن والأمان من بعد 25 يناير، وقفتك تخلص بين فصيلين؛ واحد معتقد إنه داخل الجنة والآخر قتلاه في النار.

وقفتك على الحدود شرقًا وغربًا تمنع سلاحًا ومخدرات من دول كانت شقيقة وتحاول الآن تخريب مصر وترهيب شعبها، وأكثر ما يؤلمني أعداد شهدائك ومصابيك في كل التحام، حماك الله لمصر يا ولدي.

د. عاطف مبروك

***

أقول لأهلنا شعب مصر العظيم وأقول للمتربصين والمتخوفين والراصدين والمحللين لأداء جهاز الشرطة: لن نقبل سوى أن نكون شرطة الشعب؛ فالشعب هو القائد والمعلم والمانح والمستهدَف.. هذا عهدنا ووعدنا وعقيدتنا، أعاننا الله على الوفاء، مصرون وقادرون، حمى الله مصر وشعبها.. الله، الوطن، الواجب.

عقيد د. أيمن الضبع

***

عزيزي ظابط الشرطة:

أولاً، أنا عارف إن فيه ظباط كتير نضاف وشالوا ذنب ومشاكل الداخلية، وما استتبعها من كراهية الناس قبل الثورة وبعدها. لكن للأسف السيئة تعم، ويكفيك شرفا إنك فضلت نضيف أيها الظابط المحترم.

ثانيا، حتى لو كنت فاسد فأنت لم تكن فاسدا وحدك، مصر كلّها عاشت سنين كلها فساد، والتشويه اللي حصلّك على يد هذه الدولة الفاسدة حصل لملايين المصريين ما هو شبهه وأسوأ. البني آدم للأسف قابل للتشويه! لكن العظيم إنه قابل للإصلاح والتغيير، لمّا يحب يتغيّر، لما يصدّق انه محتاج يتغيّر.

لو مش عايز تتغير خلّي عندك ولو قدر من الكرامة والشجاعة والرجولة واستقيل، إحنا فعلا محتاجين شرطة نضيفة! ولو عايز تبقى أحسن أيا كان حجم أخطائك السابقة فانت ع العين والراس وأيادي الكثيرين ممدودة.

أحمد العسيلي

***

يعاني المواطن المصري من الإسكندرية إلى أسوان، ومن السلوم إلى رفح، من الفوضى والانفلات الأمني، ويشعر أن حياته وحياة أسرته مهددة... ولا يمكن تحقيق الديمقراطية التي نستحقها أو استعادة هيبة الدولة المصرية التي فقدناها دون تحقيق الأمن، ولا يمكن تحقيق الأمن بدون أجهزة أمنية تؤمن بسيادة القانون وترتكز عقيدتها على احترام حقوق الإنسان وصون كرامة كل من يعيش على أرض مصر... أتمنى أن أعيش حتى أرى هذا اليوم، وحتى يستطيع أي إنسان أن يأتي إلى مصر ويستذكر قول سيدنا يوسف - عليه السلام - الذي جاء في كتاب الله المبين:
﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ صدق الله العظيم...

السفير/ هشام يوسف

***

بعد 25 يناير 2011 كان ميدان التحرير محرمًا على رجال الشرطة.. بفعل فاعل.

بعد 30 يونيو 2013 حمل الثوار رجال الأمن على الأعناق وأصبح الميدان في حماية الشرطة.

افهم ما شئت.. فالمفارقة جديرة بالتأمل.

أحمد كمال زكي

***

في هذا العالم المليء بالعجائب، لا تستغرب أبدًا وجود هذا الثنائي المتناقض، مع أنه يرتدي نفس الزي، كلاهما أقسم نفس القسم بأن يحافظ على القانون، لكن شتان بين أن تحافظ على القانون، وأن تعزف عليه.

حازم مبروك

***

«إن فاتك الميري اتمرّغ في ترابه...» ما أشد الفرق بين الأمس واليوم.

توقف القطار أمام القرية المغمورة على طريق الصعيد، وياللعجب فقد كان ذلك لاحتجاج الأهالي على طفح المجاري بالقرية. تذمر الركاب بسبب الساعات الطويلة التي قضوها في القطار، والتي امتدت إلى صباح اليوم التالي. وتذكر الضابط التاريخ القريب عندما كانت رؤية العسكري كفيلة بإعادة الانضباط إلى الشارع المصري. أما زوجة الباشا فلم تعد تتحمل؛ خاصة أنها في شهر الحمل الأخير واستعان سيادته بضابط النقطة القريبة لإرسال سيارة لنقل زوجته وجاءت توصيته بصوت خافت: «لا ترسل السيارة الكحلي».

د. مجدي بسيوني

***

إذا الشعب يوما أراد الحياة　　　فلا بد أن يستجيب القدر

شكرا لرجال الشرطة الذين ساعدوا مصر في رسم قدرها المضيء يوم 6/30، فمن دونهم ما كان ليتحقق حلم الحرية، وتحية لأرواح مئات الشهداء، وآلاف المصابين فدماؤكم مازالت ترسم لمصرنا طريق المستقبل.

كارولين كوسا

***

6/30 يوم سيقف عنده التاريخ بكثير من الرصد والتحليل والتأمل.. ملحمة حقيقية بين الشعب والجيش والشرطة..

كم أنت عظيم يا شعب مصر!

عصام يوسف

***

الكاتب

عصام يوسف.. من مواليد القاهرة.

تخرج في كلية الآداب، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة القاهرة، يعمل مدير عام شركة مونتانا ستوديوز للإنتاج السينمائي..

ومن أعماله قصة وسيناريو مسلسل «ذهاب وعودة»، وله عدة قصص قصيرة أخرى بعنوان: «باك 3»، تحت الطبع.

وقد اختار « $\frac{1}{4}$ جرام» كأول عمل له يتم نشره..

والده الكاتب الأديب: عبد التواب يوسف، رائد كتابة كتب الأطفال في مصر والوطن العربي، وصاحب الألف عنوان.

ووالدته (رحمها الله) الكاتبة الصحفية: نتيلة راشد «ماما لبنى» رئيسة تحرير مجلة سمير، على مدار أربعين عاما.

متزوج.. وأولاده عمر ولبنى ومريم.